



مقالات عقائدية

في الرد على شبهات المخالفين

مهدي الموسوي الجابري



مركز الدليل العقائدي

الدليل العقائدي

عنوان الكتاب: مقالات عقائدية

في الرد على شبهات المخالفين

التأليف: السيد مهدي عبد الإله الجابري

الناشر: مركز الدليل العقائدي

الإخراج الفني: صفاء الشمري

تصميم الغلاف: محمد مهدي الموسوي

سنة الطبع: ١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى
سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَشْرَفِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، سَرَّاجِ الْمُهْتَدِينَ،
وَالْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ،
وَاللَعْنُ الدَّائِمُ الْمُؤَبَّدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ، مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،
وَبَعْدُ:

فمعلومٌ أن إثارة الشبهات حول الإسلام ليست وليدة اليوم،
وإنما بدأت في عصر الرسالة الإسلامية، غير أن الشبهات في عصرنا
الحاضر اختلفت بأمورٍ خطيرةٍ عن شبهات العصر الماضي من حيث
الوسيلة والهدف والجهة والدعم بأنواعه، حيث كان الهدف من إثارة
الشبهات في عصر الرسالة هو صدَّ الناس عن الدخول في الإسلام،
أما اليوم فقد صار الهدف منها تشكيك المسلمين بإسلامهم
وإخراجهم منه!

وكان الذين يثيرون الشبهات في الماضي من المشركين والكفار،
فصار الذين يثيرونها اليوم من المتأسلمين المحسوسين على الإسلام!

والشبهات في الماضي كانت تلقى دعماً شخصياً من أفرادٍ مثل "أبي جهل" و"أبي لهب" و"أمية بن خلف".. فصارت اليوم مدعومةً من أنظمةٍ ترفع شعار الإسلام!

والشبهات في الماضي كانت تلقى دعماً معنوياً بدائياً، فصارت اليوم مدعومةً بالمال والإعلام من قبل أنظمةٍ غنية، تغدق الأموال بلا حساب على المشككين بالإسلام!

ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثوابٍ جديدة، يحاول مروجوها أن يضيفوا عليها طابعاً علمياً زائفاً، فما من عصرٍ أو مصرٍ إلا وجدت فيه جماعاتٍ تعمل في عُرفٍ مظلمة على إعداد الشبهات وكل ما من شأنه أن يزعزع عقيدة المسلمين بالإسلام ومبادئه وتعاليمه، وهذا الإعداد في واقعه حربٌ فكرية، تستهدف العقول والقلوب.

وليس كثرة الشبهات وانتشارها بسبب أن الدين مليءٌ بالثغرات أو نقاط الضعف، بل هو بسبب تفشي الجهل الذي يُعد المصدر الأكبر لها، فالشبهات لا تلقى رواجاً إلا في المجتمعات التي يقبع فيها الجهل، فكلما زاد الجهل، وتشعبت زادت الشبهات، وتشعبت لتشمل كل شيء، ويمكن أن يقال: إن الجهل عنصرٌ مشتركٌ في كل شبهة تُثار.

وقد ساعد في سرعة انتشار الشبهات -مع وجود عامل الجهل في المجتمع- وجودُ بعض منصّات الشهرة؛ كمواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك وتويتر) وغيرها، التي يسّرت لكثيرٍ من أعداء

الدين - كالتواصب والملحدین وأشباههم - نشر أفكارهم، والترويج لها، واستغلال امتلاك الأعم الأغلب من أفراد المجتمع لحسابات إلكترونية على المواقع المذكورة.

وقد جمع بعض المعنّين بالشبهات من المؤمنین عدة شبهات رأى أنّ لها رواجاً في المواقع الإلكترونية، فأرسلها إليّ عبر البريد الإلكتروني الخاص بـ «مركز الدليل العقائدي» وطلب مني الردّ عليها بأسلوب مفصّل وواضح، وكانت الشبهات بالمضامين الآتية:

- إثبات رؤية الله يوم القيامة في القرآن.
- أن القرآن ينفي الاختلاف الكثير فيه، ويثبت اليسير.
- تناقض القرآن بين غرق فرعون ونجاته.
- أن القرآن لا يكرّم حامل الأمانة، ويصفه بالظلم الجاهل.
- تأكيد الإمام علي عليه السلام معصية آدم عليه السلام.
- إقرار نبيّ الله موسى عليه السلام بالنسيان وبشهادة القرآن.
- دلالة معاتبة الله لرسوله في القرآن على وقوعه في أخطاء تمنع من اتّباعه.
- دلالة خلة الرسول على الأفضلية والخلافة.
- عدم دلالة فضل مَنْ باهل بهم النبي ﷺ وأفضليّته.
- أن إخراج النبي ﷺ أهل بيته عليه السلام للمباهلة لا يدلُّ على أنّهم

- شركاؤه في رسالته.
- أن مصطلح (آل البيت) دخيلٌ على اللغة العربية.
- أن أهل البيت هم جميع قرابة النبي ﷺ.
- المماثلة بين آية التطهير وآية ١١ من سورة الأنفال.
- نزول آية التطهير في خصوص نساء النبي ﷺ.
- تفضيل عائشة على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأمها السيدة خديجة عليها السلام.
- أن الله ذكر في القرآن الأنبياء والصالحين، ولم يذكر الأئمة المعصومين.
- أن الأنبياء والرسل كان لهم النصر، وشهدوا هلاك الطغاة، وأئمة الشيعة ليسوا كذلك.
- عدم دلالة (إنما) على الحصر في آية الولاية، وإن دلتُ فعلى بطلان إمامة الأئمة بعد علي عليه السلام.
- مخالفة علي عليه السلام للكتاب والسنة، لتصدُّقه بخاتمه في أثناء الصلاة.
- خطورة حديث (حبّ عليّ حسنةٌ، لا يضرّ معها سيئة) على المجتمع الإسلامي.
- مبايعة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية.

- إمارة معاوية على الإمام الحسن بن علي عليه السلام بمقتضى معاهدة الصلح.
- كتابة معاوية للوحي.
- أن البكاء على الحسين عليه السلام لغو وباطل؛ لأنه سيد الشباب في الجنة.
- الشيعة ليست مذهباً إسلامياً، وإنما حزبٌ تحزّب لعلّي عليه السلام.
- فارسية التشيع.
- أن عمل الشيعة الإمامية بالتقية هو دليل ارتباطها بالماسونية العالمية.
- أن البهائية ثاني أكبر دين انتشاراً في العالم.
- وقوع الحروب والمقاتلات في المسجد الحرام تخالف إخبار القرآن ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.
- دلالة تعدد الأديان على بشريتها.
- أن ابليس كان كافراً، وليس بمشرك، فيدخل تحت المشيئة في آية المغفرة.
- اضطهاد الإسلام للمرأة وتحقيره مكانتها.

وقد وفقني الله عز وجل للرد عليها وتفنيدها، ومن هنا قويت
النية، وانعقد العزم على تأليف هذا الكتاب، فجمعت فيه تلك
الشبهات وأجوبتها، ورتبتها بعد إعادة صياغتها، وقدمت لكل
شبهة جواباً إجمالياً وتفصيلاً، ثم الخلاصة إن وجدت لها ضرورة.
والله المستعان في ما قصدته، وهو حسبي، ونعم الوكيل، وأستغفر
الله، وأتوب إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مهدي الموسوي الجابري

النجف الأشرف

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



مقالة في رد شبهة إثبات رؤية الله يوم القيامة في القرآن

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الأدلة العقلية والروائية على استحالة رؤية الله تعالى.
- كلمة (ناظرة) في الآية ليست مأخوذة من النظر.
- القرآن الكريم يثبت استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

مقالة في رد شبهة إثبات رؤية الله يوم القيامة في القرآن

يتساءل بعضهم فيقول: «أليس قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ^(١) إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» فيه دلالة على رؤية الله يوم القيامة؟».

ونجيب عن هذه المسألة بجوابين إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - لقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي الصريح تنزيه الله تعالى عن الحدّ والجهة والمكان، وبه جاء كل الأنبياء عليهم السلام وإليه دعوا الناس، ولا خلاف في ذلك بين نبيٍّ وآخر.

أما الدليل العقلي على تنزيه الله تعالى عن الحدّ والجهة والمكان فهو أنّ وجوب الوجود يقتضي نفي التركيب، والدليل على ذلك أنّ كلّ مركّب فإنه مفتقر إلى أجزائه لتأخره وتعليله بها، وكل جزء من المركب فإنه مغاير له، وكل مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان الواجب تعالى مركّباً كان ممكناً، وهذا خلف، فوجوب الوجود يقتضي نفي التركيب، ولما كان كذلك انتفى كونه محدوداً في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان،

(١) القيامة: ٢٢-٢٣.

فاستحال سبحانه أن يكون شيئاً واقعاً تحت الحواس، فتدركه، ومعلوم أنّ الجسم له أبعاد مكانية وزمانية منها الطول والعرض والعمق، ومن دونها لا يكون الجسم جسماً، والله سبحانه حقيقة بسيطة، لا تفتقر إلى أجزاء كما يفتقر المركب في وجوده إلى أجزاء وأبعاد، وهو جلّ وعلا غني مطلق، لا يحويه مكان، ولا يحده زمان.

وأما الدليل النقلى فقد روى المبرّد في الكامل: «قال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ فقال عليّ عليه السلام: أين، سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان»^(١).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام، في جواب من سأله: هل يمكن مشاهدة الله يوم القيامة؟ فقال: «.... إنّ الأبصار لا تدرك إلّا ما له لون وكيفية والله تعالى خالق الألوان والكيفية»^(٢).

٢- ليس المراد بـ (ناظرة) في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ إلى ربّها ناظرة^(٣)، النظر المادي (الجسمي) لله سبحانه وتعالى، وإنما المراد به الانتظار، فكأنه قال: لثواب ربها منتظرة، ومثله قوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٤)، أي منتظرة، وليس النظر بمعنى الرؤية في شيء من كلام العرب.

ويقول صاحب "تفسير المنار": «أما رؤية الرب تعالى فربما قيل:

(١) الكامل، ج ٢، ص ٥٩.

(٢) نور الثقلين، ج ١، ص ٧٥٣.

(٣) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٤) النمل: ٣٥.

إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢)، فيها أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾^(٣) إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ^(٤)، على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب، كقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^(٥) ^(٤) ^(٥).

٣- القرآن الكريم يثبت استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، فقد جاء في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٦).

وجاء في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾^(٧)، إن هذه الآية من الآيات التي تشهد بقوة وجلالة أن الله غير قابل للرؤية والمشاهدة مطلقاً؛ لأن كلمة «لن» حسب ما هو مشهور بين اللغويين للنفي الأبدي.

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٤) يس: ٤٩.

(٥) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٣٦.

(٦) الأنعام: ١٠٢.

(٧) الأعراف: ١٤٣.

الجواب التفصيلي:

أولاً: الأدلة العقلية والروائية على استحالة رؤية الله تعالى.

لقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي الصريح تنزيه الله تعالى عن الحدِّ والجهة والمكان، وبه جاء كل الأنبياء عليهم السلام وإليه دعوا الناس، ولا خلاف في ذلك بين نبيٍّ وآخر.

١ - الدليل العقلي:

إنَّ وجوب الوجود يقتضي نفي التركيب، والدليل على ذلك أنَّ كلَّ مركَّب فإنه مفتقر إلى أجزائه لتأخره وتعليقه بها، وكل جزء من المركب فإنه مغاير له، وكل مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان الواجب تعالى مركباً كان ممكناً، وهذا خلف، فوجوب الوجود يقتضي نفي التركيب.

والتركيب قد يكون عقلياً، وهو التركيب من الجنس والفصل، وقد يكون خارجياً كتركيب الجسم من المادة والصورة وتركيب المقادير من غيرها، والجميع منفي عن الواجب تعالى لاشتراك المركبات في افتقارها إلى الأجزاء، فلا جنس له، ولا فصل له، ولا غيرهما من الأجزاء العقلية والحسية^(١).

ولما كان كذلك انتفى كونه محدوداً في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، فاستحال سبحانه أن يكون شيئاً واقعاً تحت الحواس

(١) يُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، ص ٤٠٥.

فتدركه، إنّما هو سبحانه وتعالى حقيقة تُدرك بالعقول، ومعلوم أنّ الجسم له أبعاد مكانية وزمانية منها الطول والعرض والعمق، ومن دونها لا يكون الجسم جسمًا، والله سبحانه حقيقة بسيطة، لا تفتقر إلى أجزاء كما يفتقر المركب في وجوده إلى أجزاء وأبعاد، وهو جلّ وعلا غني مطلق، لا يحويه مكان، ولا يحده زمان.

٢- الدليل النقلی:

روى المُبرّد في "الكامل": «قال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أين كان ربّنا قبل أن يخلق السّماوات والأرض؟ فقال عليّ عليه السلام: أين، سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان»^(١).

ونقرأ في نصّ آخر جاء في "بحار الأنوار"، أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر، فقال له: «أنت خليفة نبيّ هذه الأمّة؟ فقال له: نعم، فقال: إنّنا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أمهم، فأخبرني عن الله سبحانه أين هو في السماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش، فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكان دون مكان؟ فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أعزب عني، وإلاّ قتلتك، فولّى الخبر متعجبًا يستهزئ بالإسلام. فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أُجبت به، وإنّا نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان، بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علمًا بما فيها،

(١) الكامل، ج ٢، ص ٥٩.

ولا يخلو شيء منها من تدبيره»^(١).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام، في جواب من سأله: هل يمكن مشاهدة الله يوم القيامة؟ فقال: «.... إِنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَدْرِكُ إِلَّا مَا لَهُ لَوْنٌ وَكَيْفِيَّةٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ الْأَلْوَانِ وَالْكَفِيَّةِ»^(٢).

فتلخص مما تقدم عقلاً ونقلاً أن الله تعالى ليس بمرئي بحاسة البصر في الدنيا والآخرة، بدليل أنه تعالى مجرد؛ ولأن كل مرئي لا بد أن يكون له الجسم والجهة، والله تعالى منزّه عنهما؛ ولأنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٣)، وقال عزّ ذكره: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٤).

ثانياً: كلمة (ناظرة) في الآية ليست مأخوذة من النظر.

وبناءً على ما تقدم في "أولاً" بفرعيه، فليس المراد بـ (ناظرة) في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ إلى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ^(٥)، النظر المادي (الجسمي) لله سبحانه وتعالى، وإنما المراد به الانتظار، فكأنه قال: لشواب ربها منتظرة، ومثله قوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاضِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٦)، أي منتظرة، وليس النظر بمعنى الرؤية في شيء من كلام العرب، ألا ترى أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال، فلم

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٤٨.

(٢) نور الثقلين، ج ١، ص ٧٥٣.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٦) النمل: ٣٥.

أره، فيثبتون النظر، وينفون الرؤية؟ ولو كان معناه الرؤية لكان ذلك مناقضة، ويقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيته، ولا يقولون: ما زلت أراه حتى رأيته، ولو سُلّم أن النظر بمعنى الرؤية لجاز أن يكون معناه: إلى ثواب ربها رائية، وثواب الله تصح رؤيته^(١)، كما روي هذا المعنى عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٢)، قال عليه السلام: «يعني مشرقة، تنتظر ثواب ربها»^(٣).

ويقول الشيخ محمد عبدة: «أما رؤية الرب تعالى فربما قيل: إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الإثبات، كقوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٥)، فهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٦)، على الإثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب، كقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾^(٧)»^(٨).

وأورد السيوطي في "الدر المنثور" روايتين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، وهما:

(١) يُنظر: الاقتصاد في ما يتعلق بالاعتقاد.

(٢) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٣) التوحيد، للصدوق، باب: ٨، ح: ١٩، ص: ١١٦.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٧) يس: ٤٩.

(٨) تفسير المنار، ج ٩، ص ١٣٦.

١- أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي صالح رضي الله عنه في قوله ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾، قال: حسنة، إلى ربها ناظرة: قال: تنتظر الثواب من ربها.

٢- وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾، قال: تنتظر منه الثواب^(١).

إذن فالمقصود من النظر في الآية الكريمة، هو انتظار الرحمة الإلهية، لأنّ في الآية شاهدين على ذلك:

١- إن النظر في هذه الآية نُسِبَ إلى الوجوه، وقال ما معناه: إنّ الوجوه المسرورة تنظرُ إليه. ولو كان المقصود هو رؤية الله بالبصر لُنُسِبَ النظر إلى العيون لا إلى الوجوه.

٢- إن الكلام في هذه السورة عن فريقين: فريق يتمتع بوجوهٍ مسرورةٍ مشرقةٍ، وقد بيّن ثوابها بقوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾. وفريق يتسم بوجوه حزينه مكفهرة، وقد بيّن جزاءها وعقابها بقوله: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

والمقصود من الفقرة الثانية واضح، وهو أنّ هذا الفريق يعلم بأنّه سيصيبه عذابٌ يفقر الظهر، ويكسره؛ ولهذا فهو ينتظر مثل هذا العذاب الأليم.

وبقرينة المقابلة بين هذين الفريقين يمكن معرفة المقصود من الآية

(١) الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٩٠.

الأولى، وهو أنَّ أصحاب الوجوه المسرورة تنتظر رحمة الله، فقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ كنايةٌ عن انتظار الرَّحمة الإلهية، ولهذا النوع من التكنية بذكر شيء وإرادة شيء آخر كنايةً نظائر في المحاورات العرفية، فيقال: فلانٌ عينه على يد فلان، أي أنه ينتظر إفضاله وإنعامه عليه^(١).

ثالثاً: القرآن الكريم يثبت استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

جاء في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، قال الطبرسي: «أي لا تراه العيون؛ لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية كما أنه إذا قرن بآلة السمع، فقليل: أدركت بإذني، لم يفهم منه إلا السماع، وكذلك إذا أضيف إلى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه، فقولهم: أدركته بفمي، معناه: وجدت طعمه، وأدركته بأنفي، معناه: وجدت رائحته»^(٣).

وجاء في سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾^(٤)، فإن هذه الآية من الآيات التي تشهد بقوة وجلالة أن الله غير قابل للرؤية والمشاهدة مطلقاً؛ لأن كلمة «لن» حسب ما هو مشهور بين اللغويين للنفي

(١) يُنظر: العقيدة الإسلامية، للسبحاني، ص ٨٣.

(٢) الأنعام: ١٠٢.

(٣) مجمع البيان، ج ٤، ص ١١٣.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

الأبدي، وعلى هذا الأساس يكون مفهوم جملة (لن تراني) أنّك لا تراني لا في هذا العالم ولا في العالم الآخر^(١).

وغيرها من الآيات الدالة على استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، لا يسعنا ذكرها في هذا المختصر.



(١) تفسير الأمثل، ج ٥، ص ٢١١.



مقالة في رد شبهة أن القرآن ينفي الاختلاف الكثير فيه، ويثبت اليسير

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- المراد من كلمة (اختلافًا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.
- المراد من كلمة (كثيرًا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

مقالة في رد شبهة أن القرآن ينفي الاختلاف الكثير فيه، ويثبت اليسير

كتب بعضهم يقول: «أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)، مشعر بوجود الاختلاف القليل في القرآن، وهذا لا يساعد في دفع شبهة من يقول: إن القرآن من عند غير الله طالما أن هناك اختلاف موجود لم يرفع». ويجاب على ذلك بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه وأسلوبه. وأفصح الفصحاء إذا تكلم بكلام طويل تجد في كلامه أو أشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة. وأيضاً لا اختلاف في معانيه، ولا تناقض في مبانيه. ولو كان متحلاً ومفترى لكثير فيه التناقض والتضاد، فإن الكاذب تخونه ذاكرته، ويبدو عواره.

٢ - قوله سبحانه: ﴿اٰخْتَلَفَا كَثِيْرًا﴾، كلمة (كثيرًا) قيد توضيحي لا احترازي، فيكون معنى الآية الكريمة: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا، وكان ذلك الاختلاف كثيرًا على حدّ الاختلاف الكثير الذي يوجد في كل ما هو من عند غير الله، ولا تهدف الآية إلى أنّ المرتفع عن القرآن هو الاختلاف الكثير دون اليسير.

٣ - أنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة، هو ما إذا كان حقيقياً في ظرف الواقع، أما إذا كان شكلياً وفي ظاهر الأمر - كما بُيِّن في النسخ والمنسوخ - فلا تناقضه الآية إطلاقاً، فيُشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمور ثمانية، منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في النسخ، فإن ظرفه متأخر، وملاكه مصلحة أخرى، تبدلت عن مصلحة سابقة، كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ، إذن فالتنافي بين النسخ والمنسوخ بدوي ظاهري، أما بعد التعمق وملاحظة زمني نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الأولى ثم الثانية، فإن هذا التنافي والاختلاف يرتفع نهائياً.

الجواب التفصيلي:

أولاً: المراد من كلمة (اختلافًا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

الاختلاف هو امتناع أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر في ما يرجع إلى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض، وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة، جهة الخلف، والقدام واليمين، والشمال^(١).

وذكرت عدة معانٍ في بيان المراد من كلمة الاختلاف في الآية:

الأول: أن معناه: "لوجدوا فيه اختلاف تناقضٍ من جهة حقٍّ وباطل"، ورد ذلك عن قتادة، وابن عباس.

الثاني: أن معناه: "الاختلاف في الإخبار عما يُسرون". ورد ذلك عن الزجاج.

الثالث: أن معناه: "من جهة البلاغة والردالة"، ورد ذلك عن أبي علي.

الرابع: أن معناه: "التناقض الكثير"، ورد ذلك عن ابن عباس.

وذلك أن كلام البشر إذا طال، وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن، لم يخلُ من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ، وكل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ وهذه الآية تضمنت الدلالة على معانٍ كثيرة، منها: أنه لو كان من عند غير الله لكان

(١) التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، للطوسي، ص ٢٧١.

على وزن كلام عباده، ولوجدوا الاختلاف فيه، وإن المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله؛ لأنه لو كان من فعله، لكان من عنده، لا من عند غيره، والاختلاف في الكلام، يكون على ثلاثة أضرب: اختلاف تناقض، واختلاف تفاوت، واختلاف تلاوة: واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح، والخطأ والصواب، ونحو ذلك، مما تدعو إليه الحكمة، وتصرف عنه، وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة، كما لا يوجد اختلاف التناقض، وأما اختلاف التلاوة: فهو ما يتلاءم في الجنس، كاختلاف وجوه القرآن، واختلاف مقادير الآيات والسور، واختلاف الأحكام في النسخ والمنسوخ، فذلك موجود في القرآن، وكله حق، وكله صواب^(١).

قال محمد هادي معرفة في التمهيد: «فلا تجد فيه مع هذا الطول كلمة خالية من الفصاحة خارجة عن نظمه وأسلوبه. وأفصح الفصحاء إذا تكلم بكلام طويل تجد في كلامه أو أشعاره غاية الاختلاف في الجودة والرداءة. وأيضاً لا اختلاف في معانيه، ولا تناقض في مبانيه. ولو كان متحلاً ومفترى - كما زعمه الكفار - لكثرت فيه التناقض والتضاد، فإن الكاذب تخونه ذاكرته ويبدو عوّاره»^(٢).

وقال الشوكاني: «﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: تفاوتاً وتناقضاً، ولا يدخل في هذا اختلاف مقادير الآيات والسور؛ لأن المراد اختلاف التناقض والتفاوت، وعدم المطابقة للواقع، وهذا شأن كلام البشر لا سيما إذا طال، وتعرض قائله للإخبار بالغيب،

(١) يُنظر: تفسير مجمع البيان، ج ٣، للطبرسي، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٠٠.

فإنه لا يوجد منه صحيحاً مطابقاً للواقع إلا القليل النادر»^(١).

ثانياً: المراد من كلمة (كثيراً) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

يمكن بيان المطلب ببيانين:

١ - إن كلمة (كثيراً) في قوله سبحانه: (اختلافًا كثيرًا)، قيد توضيحي لا احترازي، والمقصود بالقيد التوضيحي هو القيد الذي يدلّ عليه الكلام وإن لم يذكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٢)، ف (بغير حق) قيد توضيحي؛ لأنه ليس هناك نوعان لقتل الأنبياء، أحدهما: قتل الأنبياء بحق، والآخر قتل الأنبياء بغير حق، ومع ذلك جيء بهذا القيد لنكته خاصة، كما هو الحال في كل قيد توضيحي في كلام البلغاء.

ومعنى القيد الاحترازي هو القيد الذي له مدخلية في الحكم، ولا يحكم على الموضوع بحكم إلا معه كالدخول في قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾^(٣)، فإنّ الدخول بالأُم شرط لحرمة الربيبة، فلو لم يدخل بها، وطلقها يتوقّف في الحكم. فلا يحكم عليه لا بجواز التزويج ولا بعدمه.

(١) فتح القدير، ج ١، ص ٤٩١.

(٢) آل عمران: ١١٢.

(٣) النساء: ٢٣.

فإذن قوله سبحانه: (اختلافًا كثيرًا)، كلمة (كثيرًا) فيه قيد توضيحي لا احترازي، فيكون معنى الآية الكريمة: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا، وكان ذلك الاختلاف كثيرًا على حدّ الاختلاف الكثير الذي يوجد في كل ما هو من عند غير الله، ولا تهدف الآية إلى أنّ المرتفع عن القرآن هو الاختلاف الكثير دون اليسير^(١).

٢- أنّ التقييد بوصف الكثرة للمبالغة في إثبات الملازمة، فكأنه قال: لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا فضلًا عن القليل، لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف كثير ولا قليل، فكيف يكون من عند غير الله؟ فهذا هو المقصود من التقييد بوصف الكثرة، لا أنّ القرآن مشتمل على اختلاف قليل، وبيان ذلك:

أنّ (لو) في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، حرف امتناع لامتناع، وللتقريب نأتي بمثال: لو زارنا زيد لوهبناه مالا كثيرًا. فقولنا (كثيرًا) نوع من المبالغة أي الإكثار من الشيء، والعرب تستعمل المبالغة لهذا المعنى، مثل: غفر غافر، والمبالغة غفور وغفار، فقولنا: لو زارنا زيد لوهبناه مالا كثيرًا، نعني إكرامه بكثرة، لكنه ما زارنا، إذن ما وُهب مالا لا قليلا ولا كثيرا، فامتنعت الهبة لامتناع الزيارة، فما أخذ من المال قليله فضلًا عن كثيره، فقولته تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ ولكنه من عند الله، فامتنع الاختلاف قليله وكثيره لامتناع كونه من عند غير الله، وقيد الكثرة للمبالغة، وأصل الاختلاف ممتنع لامتناع كونه من عند غير الله، كما في المثال الذي ذكرناه (لو زارنا زيد لوهبناه مالا كثيرًا) حيث امتنعت هبة

(١) يُنظر: محاضرات في الإلهيات للسبحاني، ص ٣١٩.

المال قليله وكثيره لامتناع الزيارة. وقلنا: إنّ (لو) حرف امتناع لامتناع، فلا يقال: إنّ القرآن فيه اختلاف قليل؛ لأنّ الاختلاف قليله وكثيره منفي عنه بعد ثبوت كونه من عند الله سبحانه وتعالى، قال الخطيب الشربيني في تفسيره «والمراد من التقييد بالكثير المبالغة في إثبات الملازمة أي: لو كان من عند غير الله للزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل»^(١).

فإن قلت: إن الاختلاف متحقق في القرآن من قبيل الناسخ والمنسوخ، وهو من الاختلاف القليل.

قلنا: إن الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة، هو ما إذا كان حقيقياً في ظرف الواقع. أما إذا كان شكلياً وفي ظاهر الأمر - كما بين في الناسخ والمنسوخ - فلا تناقضه الآية إطلاقاً، مثلاً يشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمور ثمانية، منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخر، وملاكه مصلحة أخرى، تبدلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ.

إذن فالتنافي بين الناسخ والمنسوخ بدوي ظاهري، أما بعد التعمق ولحاظ فترتي نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الأولى ثم الثانية، فإن هذا التنافي والاختلاف يرتفع نهائياً^(٢).

(١) تفسير السراج المنير، ج ١، ص ٢٥٥.

(٢) يُنظر: التمهيد في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٩٦.



مقالة في رد شبهة تناقض القرآن بين غرق فرعون ونجاته

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- بيان معنى التناقض.
- دعوى التناقض بين الآيتين.
- تأكيد القرآن على غرق فرعون وجنوده.

مقالة في رد شبهة تناقض القرآن بين غرق فرعون ونجاته

يتنامى إلى أسماعنا بين الحين والآخر مزاعم بعضهم بوجود تناقض بين بعض آيات القرآن الكريم، فكتب يقول: «تناقض القرآن في نهاية فرعون. ففي سورة الذاريات: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ وهذا يدل على غرقه، وفي سورة يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ﴾ وهذا يدل على نجاته من الغرق، ففي الآية الأولى يغرق فرعون، وينجو في الآية الثانية!».

وفي ما يأتي سنقف على معنى التناقض وبيان حكمه وشروطه، ثم نبين معاني المفردات في الآيتين المدّعى تناقضهما.. وسيوضح بجلاء أن هناك بونا شاسعا بين التناقض الذي زعمه الكاتب وبين الآيتين. وبادئ ذي بدء نقدم الجواب الإجمالي ثم نردفه بالجواب التفصيلي.

الجواب الإجمالي:

التناقض هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب على جهة تقتضي لذاتها أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة، وهذا الاختلاف غير متحقق بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ﴾، فالآية الأولى غاية في الوضوح، إذ تقرر غرق

فرعون وجنوده وهلاكهم، أما الآية الثانية فجاء فيها كلمة (ننجيك)، الأمر الذي جعل كاتب الشبهة ومن على شاكلته يتوهم نجاة فرعون؛ ولهذا قال بالتناقض بين الآيتين، والحق أن القرآن لم يقل: (ننجيك) وسكت، وإنما قال: (ننجيك ببدنك) أي ننجي بدنك، والنجاة بالبدن لا يراد منها نجاة النفس، ولو أراد ذلك واحد من الناس لعدّه أهل اللسان من الغالطين، ألا ترى أنه لو قال شخص: أنجيت بدن فلان من البحر، أو أنجيت ببدنه من البحر، لما فهمت منه - إن كنت من أهل اللسان - أنه أنجاه حيًّا، وأنجى نفسه من الهلكة، بل إنما تفهم بواسطة التقييد بالبدن أنه أنجى ذات بدنه المجرد عن النفس من صدمات البحر وحيواناته، فافهم.

الجواب التفصيلي:

للرد على هذه الشبهة على نحو مفصل نتبع الخطوات الآتية:

الأولى: بيان معنى التناقض:

التناقض: هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب على جهة تقتضي لذاتها أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة.

إن الاختلاف بين القضايا قد يكون بسبب اختلاف أجزائها، أو اختلاف الحكم بالكم أو كيف أو الجهة، أو سائر اللواحق كالمكان والزمان وغيرها، والمؤثر من تلك الاختلافات هو الاختلاف بالسلب والإيجاب، فإن السلب والإيجاب هما اللذان يمتنع اجتماعهما لذاتهما، بل ترجع إليهما

سائر الاختلافات، فإنه يقال للقضيتين (زيد عالم، وعمرو عالم) أنها مختلفتان في الموضوع، ولكن مرد الاختلاف بينهما إلى أن زيداً ثابت في الأولى مسلوب عن الثانية، وهكذا عمرو مسلوب عن الأولى ثابت في الثانية.

واختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب قد لا يقتضي أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، كما في قولنا (زيد عالم، ليس زيد شاعراً) وقد يقتضي ذلك، ولكن لا لأجل نفس الاختلاف بينهما، بل لأمر آخر، كمن يقول: (زيد إنسان، ليس زيد حيواناً) فإن اقتسام الصدق والكذب بينهما لأجل أن مفهوم الحيوان أعم صدقاً من مفهوم الإنسان بالعموم المطلق، فكان الواقع يفرض أن كل ما يقال عليه الإنسان يقال عليه الحيوان، ولا يصح سلبه عنه.

وتارة يكون اقتسام الصدق والكذب لأجل نفس الاختلاف بين القضيتين بالسلب والإيجاب، كقولنا: (زيد إنسان، زيد ليس بإنسان) فمثل هذا يكون الاقتسام فيه لأجل نفس الاختلاف بالصدق والكذب، ولكن بشرط أن تُعلم الجهة التي يجب أن يكون عليها ذلك الاختلاف ليكون مقتضياً بنفسه لاقتسام الصدق والكذب.

وتقابل التناقض بين القضيتين -وهو تقابل السلب والإيجاب- إنما يكون إذا روعي التقابل بين القضيتين بأن يحصل سلب السالبة منهما بسلب الموجبة وبالعكس، وذلك بأن يُراعى في إحدى القضيتين ما قد روعي في الأخرى، من وحدة الموضوع والمحمول في كليهما، والشرط والإضافة، ومراعاة الجزء والكل والقوة والفعل، والمكان والزمان.

الثانية: دعوى التناقض بين الآيتين.

إنَّ ما تقدّم من بيانٍ موجزٍ لمعنى التناقض وذكر ملخصٍ لأحكامه مع إيراد أمثلة توضيحية، قد يُسهّم في إيضاح ما استعجم على بعض من لم يعِ معنى التناقض، فيلقي الكلام على عواهنه، وحسبنا في هذا المقام أن نورد ما يُثبت عدم التناقض بين قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ﴾^(٢)، وإليك بيان ذلك:

١ - قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(٣)، النبذ طرح الشيء من غير أن يُعتدَّ به، واليَمّ البحر، والمليم الآتي بما يلام عليه، من ألام بمعنى أتى بما يلام عليه، كأغرب إذا أتى بأمر غريب. والمعنى: فأخذناه وجنوده، وهم ركنه، وطرحناهم في البحر، والحال أنه أتى من الكفر والجحود والطغيان بما يلام عليه، وإنما خص فرعون بالملامة مع أن الجميع يشاركونه فيها؛ لأنه إمامهم الذي قادهم إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾^{(٤)(٥)}.

٢ - قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ﴾^(٦) «نُنَجِّيكَ» مِنَ النَّجْوَةِ، وَالنَّجَاةُ ما ارتفع من الأرض، فلم يَعْلُه السَّيْلُ، فظنته نجاءك، والجمع

(١) الذاريات: ٤٠.

(٢) يونس: ٩٢.

(٣) الذاريات: ٤٠.

(٤) هود: ٩٨.

(٥) تفسير الميزان، ج ١٨، ص ٣٨٤.

(٦) يونس: ٩٢.

نَجَاءٌ^(١). «بِبدنك» وبدن الإنسان جسده، والْبَدَنُ: الدرْعُ القصيرة، والْبَدَنُ الرجل إذا ضَخُمَ^(٢).

قال الأخفش: نُنَجِّيكَ من النِّجَاءِ والإنجاء، وقال بعضهم: نرفعك على نجوة من الأرض، قال: بِيَدَنِكَ، أي لا روح فيك^(٣).

فيكون معنى الآية: نلقي بدنك على مرتفع من الأرض.

ولا مساع لمن يعرف مفردات الكلام، ويفهم تراكيبه أن يفسر الآية الكريمة بغير ما قاله المفسرون، فإنه مع تعليق النجاة بالبدن لا يحسن في الكلام أن يراد منها نجاة النفس، ولو أراد ذلك واحد من الناس لعداه أهل اللسان من الغالطين.

ألا ترى أنه لو قال شخص: أنجيتُ بدن فلان من البحر أو أنجيتَه ببدنه من البحر، لما فهمتَ منه -إن كنت من أهل اللسان- أنه أنجاه حيًّا، وأنجى نفسه من الهلكة، بل إنما تفهم بواسطة التقييد بالبدن أنه أنجى ذات بدنه المجرد عن النفس من صدمات البحر وحيواناته.

وكذا قولك: أنجيتُ بدن زيد أو جثته من المعركة، أو أنجيتَه ببدنه أو بجثته من المعركة^(٤).

فلم يقل: (ننجيك)، وإنما قال: (ننجيك ببدنك) ومعناه ننجي

(١) يُنظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٠٤.

(٢) يُنظر: الصحاح في اللغة، ج ١، ص ٣٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ج ٢، ص ١٥٧.

(٤) يُنظر: الهدى إلى دين المصطفى، للشیخ محمد جواد البلاغي، ج ٢، ص ٢١٢.

بدنك، والباء للآلية أو السببية، والعناية هي الاتحاد الذي بين النفس والبدن، وتنجيته ببدنه تدل على أن له أمرًا آخر وراء البدن، وهو النفس التي يخبر عنها الإنسان بقوله: (أنا) والتي بها تتحقق للإنسان إنسانيته، وهي التي تدرك، وتريد، وتفعل الأفعال الإنسانية بواسطة البدن، بما له من القوى والأعضاء المادية.

فمعنى (ننجيك ببدنك) نخرج بدنك من اليم، وننجيه، وهو نوع من تنجيتك؛ لما بين النفس والبدن من الاتحاد القاضي بكون العمل الواقع على أحدهما واقعًا بنحو ما على الآخر، وهو نظير قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، فإن الذي يعاد إلى الأرض هو جسد الإنسان دون الإنسان التام، فليست نسبة الإعادة إلى الإنسان إلا لما بين نفسه وبدنه من الاتحاد^(١).

وقد يقال: ما فائدة قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، والتنجية لا تكون إلا بالبدن.

فيجواب: أن المراد أنا ننجيكَ خاصة دون غيرك.

(١) يُنظر: تفسير الميزان، ج ١٠، ص ١١٣-١١٤.

الثالثة: تأكيد القرآن على غرق فرعون وجنوده.

ومن نافلة القول هنا أن يقال: إنه لم يرد في آية واحدة من آيات القرآن الكريم ذكر لنجاة فرعون لا تصریحًا ولا تلويحًا، بل على العكس من ذلك، فقد وردت عدة آيات تدل على موته وهلاكه غرقًا؛ إذ وردت مادة «غرق» في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعًا تدل بأجمعها على موت فرعون ومن معه غرقًا وغمراً بالمياه، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۖ وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾^(٤).

٥- قوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٣٦.

(٣) يونس: ٩٠.

(٤) الدخان: ٢٣-٢٤.

فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٥﴾.

فالمراد من لفظ (أجمعين) عموم الحكم لجميع أفراده أي (فرعون) و(جنده) معاً، وليس طرفاً دون آخر. ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنِ مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ (٢).

وقد أشار الكاتب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" (٣) بقوله: وقد ذكر القرآن موت فرعون في نهاية ملاحقة اليهود: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٤). فنجا اليهود، وهلك فرعون، وعثر على بدنه، وهو التفصيل المهم جداً الذي لم تأتِ على ذكره الرواية التوراتية. وذكره القرآن في سورة يونس الآيات ٩٠-٩٢: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَلَا نَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، هذا النص يجرُّ إلى حقيقتين:

• أ- البغي والعدوان المذكوران يفهمان بالنسبة لمحاولات الإقناع التي مارسها موسى لدى فرعون.

(١) الزخرف: ٥٤ - ٥٦.

(٢) الإسراء: ١٠٣.

(٣) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٢٦٣، ط ٣، ١٩٩٠ م.

(٤) طه: ٧٨.

• ب- ونجاة فرعون تنطبق على بدنه فقط؛ لأن من المؤكد جداً في الآية ٨٩ من سورة هود بأن فرعون وصحبه قد ماتوا: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾. انتهى.

• وقال -أيضاً-: إن التوراة تذكر أن جثة فرعون ابتلعها البحر، أما القرآن فيذكر أن الجثة سوف تُنقذ من الماء كما قال: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة؛ إذ إنها لم تظهر عليها أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل في الماء^(١).

ونختم بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).



(١) يُنظر: القرآن والعلم الحديث (محاضرة أقيمت بمعهد الكومنولث البريطاني بلندن)، نقلاً عن: آيات الإعجاز العلمي من وحي الكتاب والسنة، عبد الرحمن صبي الدين، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١١٦.

(٢) النساء: ٨٣.



مقالة في رد شبهة

أن القرآن لا يكرم حامل الأمانة، ويصفه بالظلم الجاهل

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- معنى الأمانة لغةً واصطلاحاً.
- بيان دلالة مفردة (الأمانة) الواردة في سياق الآية الكريمة.
- وصف الإنسان بالظلم الجاهل على رغم حمله الأمانة.

مقالة في رد شبهة أن القرآن لا يكرم حامل الأمانة، ويصفه بالظلم الجهول

كتب بعضهم يقول: «جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١)، فهل الذي يحمل الأمانة ظلم جهول كما يقول القرآن، أو إنه محسن أمين كما تُعرف بين العقلاء؟!»

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - أن الأمانة لغة واصطلاحاً تصدق على الأمانة المادية والمعنوية، وذكرت عدة معانٍ لمفردة (الأمانة) في تفاسير علماء الشيعة والسنة غير متنافية، وهي تتفق على أن المراد بالأمانة هو التكليف الشرعية، فالأمانة المذكورة في هذه الآية الكريمة، هي التكليف الشرعي بالطاعات وتجنب المعاصي، وجاء في روايات عديدة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، من تفسير هذه الأمانة بقبول ولاية أمير المؤمنين عليٍّ

(١) الأحزاب: ٧٢.

عليه السلام، وولده، وهو لا يتنافى مع التفاسير الواردة في المقام؛ لأن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية الأئمة الكرام من ولده عليه السلام، هي مما أوجبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته، فقد جاء في الحديث الصحيح: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (١).

٢- أن تفسير الأمانة بمعنى التكليف الشرعي بالطاعات وتجنب المعاصي، يقودنا لا محالة إلى وجود فئتين من الناس، إحداهما تمثل الطاعات، وتجنب المعاصي، والأخرى تترك الطاعات، وترتكب المعاصي.

٣- أن الإنسان إنما يكون ظلوماً جهولاً في ما إذا تخلى عن أداء الأمانة بعد حملها؛ لأن الآية التي تلتها بينت أن أفراد البشر قد انقسموا بعد حمل هذه الأمانة إلى ثلاث فئات: المنافقين والمشركين والمؤمنين، والصفتان ﴿ظُلُومًا جَهُولًا﴾، إنما تناسبان المنافق والمشرک، فالمنافق ظالم؛ لأنه يتظاهر بأنه أمين في حين أنه خائن، والمشرک جهول؛ لأن خيانتة ظاهرة ومكشوفة.

أما الإنسان المؤمن الذي حمل الأمانة، وأداها، فلا يشملها الوصف، ولا يناسبه، ولو كان للزم تفضيل سائر الخلق عليه، الأمر الذي يتنافى مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٢).

(١) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث ١٧٢٦ - ٢٤٥٨.

(٢) الإسراء: ٧٠.

الجواب التفصيلي:

يتحتم علينا -بادئ ذي بدء- الوقوف على المراد من الأمانة في الآية الكريمة لغةً واصطلاحاً، ثم بيان دلالتها في الآية القرآنية المذكورة في نص الشبهة، ليتضح هل حقاً أن القرآن الكريم يصف حامل الأمانة بالظلم والجھول، فنقول:

أولاً: معنى الأمانة لغةً واصطلاحاً.

الأمانة لغة: ضد الخيانة وهي مصدر مشتق من مادة (أمن) ^(١). قال في اللسان: «(أمن) الأمان والأمانة بمعنى» ^(٢). يقال: أمن أمناً وأماناً وأمانةً وإمناً وأمنةً، بمعنى: اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين ^(٣)، فمادة (أمن) تدور حول معنيين: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان متدانيان ^(٤).

والأمانة اصطلاحاً: هي كل حقّ لزمك أدائه وحفظه ^(٥)، وقيل: هي التعفف عما يتصرّف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردّ ما يستودع إلى مودعه ^(٦).

(١) مختار الصحاح، الرازي ص ٢٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٢١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٢٨.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ١، ص ١٣٣.

(٥) فيض القدير، المناوي، ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ص ٢٤.

ونخلص من ذلك أن الأمانة لغةً واصطلاحاً تصدق على الأمانة المادية والمعنوية.

ثانياً: بيان دلالة مفردة (الأمانة) الواردة في سياق الآية الكريمة.

ذكرت عدة معاني لمفردة (الأمانة) في تفاسير علماء الشيعة والسنة غير متنافية، وهي تتفق على أن المراد بالأمانة هو التكاليف الشرعية، فقد قال بعضهم أن المراد من الأمانة في الآية الدين والفرائض والحدود، وذهب آخرون إلى أنها أمانات الناس، وقال غيرهم بأنها الصلاة، والصوم، والغسل من الجنابة، ونذكر لك في ما يأتي بعض أقوالهم:

أقوال علماء الشيعة، فقد جمعها تفسير "الأمثل" وهذه بعضها:

«أن المراد من الأمانة: هي الولاية الإلهية، وكمال صفة العبودية، والذي يحصل عن طريق المعرفة والعمل الصالح.

أن المراد: صفة الاختيار والحرية والإرادة التي تميّز الإنسان عن سائر الموجودات.

أن المراد: العقل الذي هو ملاك التكليف، ومناط الثواب والعقاب.

أن المراد: أعضاء جسم الإنسان، فالعين أمانة الله، ويجب الحفاظ عليها وعدم استعمالها في طريق المعصية، والأذن واليد والرجل واللسان كلّها أمانات يجب حفظها.

أن المراد: الأمانات التي يأخذها الناس بعضهم من بعض، والوفاء

بالعهد.

أنَّ المراد: معرفة الله سبحانه.

أنَّ المراد: الواجبات والتكاليف الإلهية كالصلاة والصوم والحج.

لكن يتّضح من خلال أدنى دقة أن هذه التفسير لا تتناقض مع بعضها، بل يمكن إدغام بعضها في البعض الآخر، فبعضها أخذت جانباً من الموضوع، وبعضها الآخر كلّهُ^(١).

أما علماء أهل السنة فقد صرح ابن كثير بعد أن ذكر جملة من الأقوال في بيان معنى المراد من "الأمانة" قائلاً: «وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عُوقِبَ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه، إلا مَنْ وفق الله»^(٢).

وعن الطبري في تفسيره: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِيَ بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخص بقوله: ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾، بعض معاني الأمانات لما وصفنا»^(٣).

وجاء عن القرطبي في تفسيره: «الأمانة تعم جميع وظائف الدين

(١) تفسير الأمثل، ج ١٣، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٦، ص ٤٨٩.

(٣) تفسير الطبري، ج ٢٠، ص ٣٤٢.

على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»^(١).

وجاء عن السعدي في تفسيره: «جميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾»^(٢).

والخلاصة أن الأمانة المذكورة في هذه الآية الكريمة -والتي عرضها الله سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان- هي التكليف الشرعي بالطاعات وتجنب المعاصي، وجاء في روايات عديدة وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، من تفسير هذه الأمانة بقبول ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، وولده، وهو لا يتنافى مع التفاسير الواردة في المقام؛ لأن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وولاية أهل بيته الكرام عليهم السلام هي مما أوجبه النبي صلّى الله عليه وآله على أمته، وطلب منهم التمسك بها من بعده، فقد جاء في الحديث الصحيح: (أني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٢٥٢.

(٢) تفسير السعدي، ص ٥٤٧.

(٣) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث ١٧٢٦ - ٢٤٥٨.

ثالثاً: وصف الإنسان بالظلم الجهول على رغم حمله الأمانة.

إنّ تفسير الأمانة بمعنى التكليف الشرعي بالطاعات وتجنب المعاصي، يقودنا لا محالة إلى وجود فئتين من الناس، إحداهما تمثل الطاعات، وتجنب المعاصي، والأخرى تترك، وتخالف الطاعات، وترتكب المعاصي، وعليه، فقد طرح العلماء عدة أجوبة على هذا الإشكال، منها:

١ - أنّ فعل (كان) في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ إشارة إلى أن ظلم الإنسان وجهله وصفان متأصلان فيه؛ لأنها الغالبان على أفراد الملازمان لها كثرة أو قلة.

كما أنّ قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يؤذن بكلام محذوف يدل هو عليه؛ إذ التقدير: وحملها الإنسان، فلم يف بها؛ إنه كان ظلوماً جهولاً، فكأنه قيل: فكان ظلوماً جهولاً، أي ظلوماً، أي في عدم الوفاء بالأمانة؛ لأنه إجحاف بصاحب الحق في الأمانة أيّاً كان، وجهولاً في عدم تقديره قدر إضاعة الأمانة من المؤاخذة المتفاوتة المراتب في التبعة بها، ولولا هذا التقدير لم يلتئم الكلام؛ لأن الإنسان لم يحمل الأمانة باختياره، بل فُطر على تحملها، ويجوز أن يراد ظلوماً جهولاً في فطرته، أي في طبع الظلم، والجهل فهو معرّض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها^(١).

٢ - أنّ الآية التي تلي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾،

(١) يُنظر: التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٣٠.

وهي الآية ٧٣ من قوله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، قرينة واضحة على أن الصفتين الظلوم والجهول هما لخصوص من لم يؤدّ الأمانة؛ إذ إنّ الآية أشارت إلى أن أفراد البشر قد انقسموا بعد حمل هذه الأمانة إلى ثلاث فئات: المنافقين والمشرّكين والمؤمنين، وفي معنى «اللام» في قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ﴾، يوجد احتمالان:

الأوّل: أنّها «لام الغاية» التي تذكر لبيان عاقبة الشيء ونهايته، وبناءً على هذا يكون معنى الآية: كانت عاقبة حمل هذه الأمانة أن سلك جماعة طريق النفاق، وجماعة سبيل الشرك، وهؤلاء سيبتلون بعذاب الله لخيانتهم أمانته، وجماعة هم أهل الإيمان الذين ستشملهم رحمته لأدائهم هذه الأمانة والقيام بواجباتهم.

والثاني: أنّها «لام العلة»، فتكون هناك جملة مقدرة، وعلى هذا يكون تفسير الآية: كان الهدف من عرض الأمانة أن يوضع كلّ البشر في بوتقة الاختبار، ليظهر كلّ إنسان باطنه، فيرى من الثواب والعقاب ما يستحقّه^(١).

وبلحاظ ما تقدّم يمكن أن نقول: إنّ الإنسان إنّما يكون ظلومًا جهولًا في ما إذا تخلّى عن أداء الأمانة بعد حملها؛ لأنّ الآية التي تلتها بينت أن أفراد البشر قد انقسموا بعد حمل هذه الأمانة إلى ثلاث فئات: المنافقين والمشرّكين والمؤمنين، والصفتان ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾، إنّما تناسبان

(١) يُنظر: تفسير الأمل، ج ١٣، ص ٣٧٣.

المنافق والمشرك، فالمنافق ظالم؛ لأنه يتظاهر بأنه أمين في حين أنه خائن، والمشرك جهول؛ لأن خيانتة ظاهرة ومكشوفة.

أما الإنسان المؤمن الذي حمل الأمانة، وأداها، فلا يشملها الوصف، ولا يناسبه، ولو كان للزم تفضيل سائر الخلق عليه، الأمر الذي يتنافى مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).



(١) الإسراء: ٧٠.



مقالة في رد شبهة

تأكيد الإمام علي عليه السلام معصية آدم عليه السلام

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- حكم العقل بعصمة الأنبياء عليهم السلام.
- الأوامر والنواهي الإلهية: مولوية وإرشادية.
- حمل الظاهر على مضمون الدليل.
- النهي عن الأكل من الشجرة نهي إرشادي لا مولوي.
- بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فباع اليقين بشكه».

مقالة في رد شبهة تأكيد الإمام علي عليه السلام معصية آدم عليه السلام

كتب بعضهم يقول:

«في قصة آدم عليه السلام قال تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾. فالعلماء يقولون هذا من باب ترك الأولى، ولكن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة يصف آدم عليه السلام: «ثم أسكن آدم داراً، أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجلد وجلاً، وبالاغترار ندماً» ألا يدل قول الإمام علي عليه السلام (باع اليقين بشكه) على أنها معصية، وليس من باب ترك الأولى».

ويجاب على هذه بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

أولاً: النهي عن الأكل من الشجرة نهي إرشادي لا مولوي، كالطبيب الذي يصف الدواء للمريض، فإن امتثل المريض أمر الطبيب ترتب عليه البرء والشفاء، وإن خالف لم يترتب على مخالفته سوى تلك المضاعفات المترتبة على العمل نفسه.

ثانيًا: العمدة في الدليل على عصمة الأنبياء المطلقة هو حكم العقل القاضي بوجوبها ولزومها، حيث إنّ الغاية والغرض من إرسال الأنبياء إنّما هو هداية الناس وإيصالهم إلى الله تعالى لبلوغ مرتبة الكمال المطلوب، لأجل ذلك يحكم العقل بانسداد باب احتمال طرؤ الخطأ والغفلة والذهول على الأنبياء عليهم السلام في كل أقوالهم وأفعالهم وفي جميع حالاتهم، وعليه، فيلزم حمل الظاهر في المقام لصالح الدليل العقلي الدال على عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقًا.

ثالثًا: قول أمير المؤمنين عليه السلام: (فباع اليقين بشكه)، هذه العبارة «بيع اليقين بالشك» من الأمثال القديمة عند العرب، يضرب لمن عمل عملاً، لا يفيده، وترك ما ينبغي له أن يفعله، تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام هاهنا، ولم يُرد أنّ آدم شكّ في أمر الله، ويمكن إجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوة إبليس وبالشك الشك فيها، والمراد ببيعه به تبديله به.

رابعًا: وردت عشرات الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، جميعها تفسّر معصية آدم عليه السلام بترك الأولى، فمن غير الصحيح في مجال الاستدلال والاحتجاج ترك هذا الكم الكبير من الروايات التي تنزه آدم عليه السلام، وتبرئ ساحته من ارتكاب معصية، توجب دخول النار والتمسك بظاهر قول أمير المؤمنين عليه السلام في تأكيد نسبة المعصية لآدم عليه السلام، ولو أخذنا بهذا النهج من الاستدلال - أي الوقوف على الظاهر - لكنا في مصافّ الفرقة الوهابية، فمن نهجهم المتطرف الذي عُرفوا به الوقوف على الظواهر النقلية والأخذ بها وإن خالفت دليل العقل، وعليه: فلا ينبغي الوقوف والجمود على الظواهر مع مخالفتها الدليل العقلي، بل لا بدّ من حمل الظاهر لصالح الدليل العقلي.

الجواب التفصيلي:

إنَّ الإجابة عما ورد في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام تنبني على بيان ثلاث مقدمات، وهي:

المقدمة الأولى: حكم العقل بعصمة الأنبياء عليهم السلام.

معلوم أنَّ الله عزَّ ذكره أمر الناس باتِّباع الأنبياء، ولازم ذلك الأمر أن يكون كلُّ قول وفعل يصدر منهم مطابقاً للواقع والحقيقة وفي حالاتهم جميعها لا في التبليغ كما يدعي بعض المتعالمين، وإلَّا فلو كان من المحتمل أن يخطئ النبيَّ فمن أين لنا أن نعرف أنَّ ما يقوله أو يفعله هو صحيح ومطابق للواقع كي نأخذ به، ولا يكون خطأً أو نسياناً أو غفلةً؟ والمخلص من هذا الاحتمال هو حكم العقل، فالعقل يحكم بانسداد باب احتمال طرؤ الخطأ والغفلة والذهول على الأنبياء عليهم السلام في كل أقوالهم وأفعالهم وفي جميع حالاتهم.

المقدمة الثانية: الأوامر والنواهي الإلهية: مولوية وإرشادية.

إنَّ الأوامر والنواهي الإلهية على نوعين: أوامر ونواهي مولوية، وأوامر ونواهي إرشادية.

أما المولوية فالأوامر والنواهي هي مما يجب امتثالها والانتهاز عنها بما يترتب عليها من الثواب والعقاب.

وأما الإرشادية فهي مما لا يترتب على أوامرها ونواهيها ثواب أو عقاب.

وهذا النوع من الأوامر والنواهي إنما يصبّ في مصلحة الإنسان من جهة نفعه وضرره، وهي بمثابة الإرشادات التي يوجهها الطبيب إلى المريض، فإنه إذا وُصف دواء لمريض، وأمره بتناوله واجتناب أمور أخرى وجب عليه الطاعة، فلو امتثل المريض أمر الطبيب ترتّب عليه البرء والشفاء، وإن خالف لم يترتب على مخالفته سوى تلك المضاعفات المترتبة على العمل نفسه؛ وذلك لأنّ الطبيب لم يكتب له ذلك الدواء إلا بوصفه طبيباً ناصحاً ومعالجاً مشفقاً.

المقدمة الثالثة: حمل الظاهر على مضمون الدليل.

مما لا شكّ فيه أنّ الخطابات القرآنية هي خطابات متنوعة بتنوع الأسلوب العربي الذي نزلت به، فيوجد في الأساليب العربية العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والحقيقة والمجاز، ومنه أيضاً النص والظاهر، وهذه المطالب تجد تفاصيلها على نحو واضح في كتب البلاغة العربية، فالنص مثلاً هو ذلك الخطاب الذي لا يحتمل لفظه معنى ثانياً، بل يكون نصّاً في معناه، كما في دلالة كلمة (أبداً) على معنى التأييد من الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ففي هذه الآية الكريمة استفاد من كلمة

(أبداً) حرمة قبول شهادة الذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء حرمة مؤبدة، وذلك لانحصار كلمة (أبداً) في الدلالة على التأيد والاستمرار؛ لأنها نص في معنى التأيد.

أما الظاهر فهو ذلك الخطاب الذي يحتمل أكثر من معنى، ويكون أحدها راجحاً لقرائن متعددة، بعضها سياقية، وبعضها عرفية، كما في قوله: «أقم الصلاة»، فإن إرادة الوجوب منه أو إرادة الاستحباب، ممكنة بحسب الأساليب العامة في التعبير، ولكن الذي ينسب إلى الذهن منه هو الوجوب، فيكون قوله: «أقم الصلاة» ظاهراً في وجوب الصلاة، ولكن إن دلّ دليل من الخارج على خلاف المعنى الظاهر فإنه لا محالة يحمل الظاهر على مضمون ذلك الدليل.

فإذا عرفنا هذه الأساليب البيانية نأتي إلى مطلب آخر، وهو التعارض بين هذه الأساليب، ففي بعض الأحيان يحصل التعارض بين النص والظاهر في موضوع ما، ويحصل التعارض بين العام والخاص أيضاً، والمطلق والمبين وغير ذلك، فما العمل في المقام؟

قال أهل البلاغة والأصول في مثل هذه الموارد -أي الموارد التي يحصل التعارض فيها بين هذه الأساليب المختلفة- يُحمل الظاهر على مضمون النص، والعام على مضمون الخاص، والمطلق على مضمون المقيد، وهكذا، وقد أطلقوا على هذه الطريقة من الحمل: قاعدة الجمع العرفي.

الرد على الشبهة مما تقدم:

أولاً: النهي عن الأكل من الشجرة نهى إرشادي لا مولوي.

جاء في سورة طه، قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فقوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، ظاهر في الحرمة، أي أن النهي هنا نهى مولوي، والحمل على الظاهر إنما يجري في حال عدم وجود قرينة أو دليل يدلان أو أحدهما على الخلاف وقد بينا في المقدمة الثالثة، إلا أن الحمل على الظاهر - وهو حرمة الاقتراب - متعذر في المقام لوجود قرينتين توجبان الحمل على خلافه، وهو النهى الإرشادي.

القرينة الأولى: الآيتان من سورة طه: من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى^(٣) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى^(٤)، فإن قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى^(٥)، كاشف عن أن الغاية من النهي عن أكل الشجرة هو صيانة آدم عليه السلام من الشقاء، وقد بين القرآن الكريم المراد من الشقاء في سورة البقرة آية ٣٥ في قوله تعالى من الآية ١١٨-١١٩ من سورة طه: ﴿أَلَّا

(١) طه: ٣٥.

(٢) طه: ١١٧-١١٩.

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴿٦٦﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿٦٧﴾، فيكون هذا دليلاً على أَنَّ النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١) نهياً إرشادياً - وقد مرّ بيانه في المقدمة الثانية - غايته صيانة آدم عليه السلام عما يترتب على مخالفته من عواقب غير محمودة، وقد مثلنا له بمثال الطبيب الذي يصف الدواء للمريض، فإن امتثل المريض أمر الطبيب ترتّب عليه البرء والشفاء، وإن خالف لم يترتب على مخالفته سوى تلك المضاعفات المترتبة على العمل نفسه.

القرينة الثانية: حكم العقل، فالعمدة في الدليل على عصمة الأنبياء المطلقة هي حكم العقل القاضي بوجوبها ولزومها، حيث إنّ الغاية والغرض من إرسال الأنبياء إنّما هو هداية الناس وإيصالهم إلى الله تعالى لبلوغ مرتبة الكمال المطلوب، فلا يجوز أن يصدر منهم ما يناقض غرض إرسالهم وبعثتهم، ممّا ينفر الناس، ويبعدهم عنهم؛ ولأجل ذلك يحكم العقل بانسداد باب احتمال طرؤ الخطأ والغفلة والذهول على الأنبياء عليهم السلام في كل أقوالهم وأفعالهم وفي جميع حالاتهم.

وعليه، فليزّم حمل الظاهر في المقام على مضمون الدليل العقلي الدال على عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، فيكون النهي أظهر في الإرشاد.

ثانياً: بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فباع اليقين بشكه».

أما قول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المقطع من خطبته: (فباع اليقين بشكه)، فيجاب عنه بثلاثة أجوبة:

١- قوله عليه السلام (فباع اليقين بشكه)، مأخوذ من المثل العربي القديم «بيع اليقين بالشك» الذي يُضرب لمن عَمَلَ عملاً لا يفيد، وترك ما ينبغي له أن يفعله، تمثّل به أمير المؤمنين عليه السلام هاهنا، ولم يُرد أن آدم شكّ في أمر الله.

٢- يمكن إجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوة إبليس، وبالشك الشك فيها، والمراد ببيعه به تبديله به؛ وذلك لأنّ إبليس لما أبى، واستكبر عن السجود، وأظهر الفضيلة على آدم عليه السلام وجعل مطروداً تيقن آدم بعداوته له، وقد أعلمه الله سبحانه به حينئذ أيضاً، فقال: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾. ولما وسوس إليهما الشيطان: ﴿وَقَاَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾. ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، وثقا بقوله وشكّا في عداوته لمكان ذلك^(١).

٣- وردت عشرات الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما في تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين وتفسير الميزان وتفسير الأمثل وغيرها، جميعها تفسّر معصية آدم عليه السلام بترك الأولى، فمن غير الصحيح في مجال الاستدلال والاحتجاج ترك هذا الكم الكبير من الروايات

(١) يُنظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٩.

التي تنزه آدم عليه السلام وتبرئ ساحته من ارتكاب معصية توجب دخول النار والتمسك بظاهر قول أمير المؤمنين عليه السلام، ولو أخذنا بهذا النهج من الاستدلال - أي الوقوف على الظاهر - لَكُنَّا في مصافّ الفرقة الوهابية، فمن نهجهم المتطرف الذي عُرفوا به الوقوف على الظواهر النقلية والأخذ بها وإن خالفت دليل العقل، من قبيل أخذهم بظاهر قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)، فقالوا بأن الله له يدٌ لا كأيدي الناس، في حين يتنافى قولهم هذا مع الدليل العقلي القاضي باستحالة كون الله سبحانه جسمًا، ولو كان كذلك - تعالى الله عما يصفون - للزم أن الله محتاج، والحاجة من لوازم الممكن، والله واجب الوجود لذاته، إذن فلا بدّ من حمل الظاهر على مضمون الدليل العقلي، وقد بينّا ذلك في المقدمة الثالثة، وعليه تؤوّل اليد بالقدرة أو السلطنة الإلهية.

وكذلك في الآيات التي ظاهرها أن آدم عليه السلام قد ارتكب معصية، ومفاد الظاهر من قول أمير المؤمنين عليه السلام (فباع اليقين بشكه) أن آدم شكّ في أمر الله، فلا ينبغي الوقوف والجمود على الظواهر مع مخالفتها الدليل العقلي، بل لا بدّ من حمل الظاهر لصالح الدليل العقلي.





مقالة في رد شبهة

إقرار نبي الله موسى عليه السلام بالنسيان بشهادة القرآن

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- النسيان مشترك لفظي.
- الاستهداء بالقرائن على تحديد المعنى المقصود من المشترك اللفظي.
- الدليل العقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً.
- نسيان موسى عليه السلام نسيان ترك لا سهو ببيانات العلماء.

مقالة في رد شبهة إقرار نبي الله موسى عليه السلام بالنسيان بشهادة القرآن

كتب بعضهم يقول: «قال تعالى في قصة الخضر: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ وحسب رأي الإمامية أنّ الأنبياء معصومون من النسيان، علماً أنّ النبي موسى كررها ثلاث مرات، وظاهر الآية أنّ النبي موسى يعترف بنسيانه من سياق الآية، فلماذا يبحث العلماء عن آراء تؤول هذا الأمر».

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - أن لفظ «النسيان» يطلق في اللغة على أحد معنيين، فتارة يطلق، ويراد به ما يقابل التذكر، وأخرى على ترك الشيء، وبحسب علماء اللغة فإن أصل النسيان الترك، وأنّ لفظ النسيان هو مشترك لفظي بين ترك الشيء عن ذهول وغفلة، والثاني ترك عن عمد وقصد، فالنسيان إذن على وجهين: نسيان ترك، ونسيان سهو وغفلة، وهذا يعني أنّ الناسي لأمر ما لا يلزم أن يكون غافلاً عما نسيه، بل قد يكون تاركاً إياه عن عمد وقصد.

٢ - أن المشترك اللفظي يُحدد بالقرائن، فالنسيان في قوله ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي

بِمَا نَسِيتُ ﴿١﴾، مشترك لفظي بين الترك والسهو ولا يتعين أحد المعنيين إلا عبر النظر إلى ما تقدم اللفظة أو الآية وإلى ما تأخر عنها، فلا بد إذن من الالتفات إلى السياق بلحاظ الآيات المتقدمة على الآية - محل البحث - والآيات اللاحقة لها، وبلحاظ ذلك نجد الآتي:

أَنَّ موسى عليه السلام لم يتعهد أن لا ينهى - كما يعتقد - عن منكر ظاهر، كيف؟ وهو يرى أن من واجبه الحفاظ على أرواح الناس وأموالهم، ومن أولويات وظائفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتراضه المتكرر على ما شاهده من أفعال منكرة في ظاهرها قام بها العالم (الخضر)، الأمر الذي يحتم عليه عدم السكوت إزائها، فأين محل السهو والغفلة عن عهود وشروط الاتباع؟!

وإن القول بأن اعتذار موسى عليه السلام عن استنكاره واعتراضه على الأفعال التي قام بها الخضر إنما كان بسبب غفلته وسهوه عن عهوده وشروطه يلزم منه أن لا يعترض، ولا يُنكر هذه الأفعال في ما لو كان ذاكرًا غير غافل، وإلا لما اعتذر، وهذا أشد قدحًا في عصمة ونبوة الكليم موسى عليه السلام، لأنه لا يعلم أن قتل الغلام كان بأمر من الله تعالى، ولا يعلم أن خرق السفينة كان بأمر من الله تعالى أيضًا، وقد بين القرآن على لسان الخضر في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٢).

وفي قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٣)،

(١) الكهف: ٧٣.

(٢) الكهف: ٦٨.

(٣) الكهف: ٦٧.

فإنَّ حرف (لن) يفيد النفي المؤبد، أي نفي استطاعة موسى عليه السلام على الصبر أمام ما سيشهده من مواقف وأفعال تجسد الظلم في ظاهرها، لا نفي التذكر وحفظ ما وعده به، فلا يقال الاستطاعة على الصبر إلا على ما يقابلها، فافهم.

وفي قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(١)، إنما وعده الصبر مقيّدًا بالمشيئة، فلم يكذب إذ لم يصبر، وكذلك وعده بعدم معصية أمره ولكنه -أيضًا- قيده بالمشيئة، ولم يُخلف الوعد إذ لم ينته بنهيهِ عن السؤال، ودلالة هذه الجملة من الآية: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ تحدد بوضوح أن المراد من النسيان هو الترك، ومعلوم أن عسيان الأمر معناه ترك الاتباع والخروج عن الطاعة عن عمد وقصد.

وإنَّ اعتراض موسى عليه السلام المتكرر على ما قام به الخضر لثلاث مرات، واعتذاره عنه لمرة واحدة، يكشف بوضوح أن النسيان الذي اعتذر به في الأولى لم يكن نسيان سهو وغفلة، وإنما كان نسيان ترك عن عمد وقصد، مقارعة لما كان في الظاهر ظلمًا، وقد كشف عن ذلك اعتراضه في الثالثة وعدم اعتذاره أيضًا حتى قال الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾^(٢).

وكلمة النسيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، المتعلقة بموسى عليه السلام، حملت عند أغلب علماء المسلمين على النسيان بمعنى الترك، والمعنى يكون: لا تؤاخذني بما تركت من تعهدي بالصبر وعدم السؤال، المفهوم من قوله تعالى ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، وقوله تعالى ﴿فَلَا

(١) الكهف: ٦٩.

(٢) الكهف: ٧٨.

تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١﴾، أي لا تؤاخذني لتركي الصبر والسؤال عن الأمر أو الاعتراض عليه.

هذا بالإضافة إلى حكم العقل بانسداد باب احتمال طرو الخطأ والغفلة والذهول على الأنبياء عليهم السلام في كل أقوالهم وأفعالهم وفي جميع حالاتهم، وهذا الدليل يُثبت وبقوة أنّ النسيان الذي اعتذر به الكليم موسى عليه السلام هو نسيان الترك لا نسيان الغفلة والذهول والسهو.

الجواب التفصيلي:

ويجاب على هذه الشبهة تفصيلاً من أربعة وجوه:

أولاً: النسيان مشترك لفظي.

الاشتراك في الألفاظ قد يكون معنوياً، وقد يكون لفظياً، والمعنوي هو الذي تشترك أفراده في معنى واحد، وإن اختلفت في الخصوصيات، مثل كلمة: "إنسان"، وأما اللفظي فهو الذي لا اشتراك بين أفرادها إلا في اللفظ فقط، مثل كلمة "العين"، وبلحاظه يكون النسيان مشتركاً لفظياً.

فلفظ "النسيان" يطلق في اللغة على أحد معنيين، فتارة يطلق، ويراد به ما يقابل التذكر، وأخرى على ترك الشيء، وبحسب علماء اللغة أن أصل النسيان الترك، وأن لفظ النسيان هو مشترك لفظي بين ترك الشيء عن ذهول وغفلة، والثاني ترك عن عمد وقصد، وهذا

استعراض سريع لما نصت عليه أقوالهم:

قال ابن فارس في المقاييس: «(نسي) النون والسين والياء أصلان صحيحان: يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك شيء»^(١).
وقال ابن الأثير في النهاية: «أن أصل النسيان الترك»^(٢).

وقال الرازي في الصحاح: «(النسيان) الترك قال الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(٤)»^(٥).

وقال ابن منظور في لسان العرب: «وقوله عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، قال ثعلب: لا ينسى الله عز وجل، إنما معناه تركوا الله فتركهم، فلما كان النسيان ضرباً من الترك وضعه موضعه، وفي التهذيب: أي تركوا أمر الله فتركهم من رحمة. وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾، أي تركتها فكذلك تترك في النار. ورجل نسيان، بفتح النون: كثير النسيان للشيء. وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾، معناه أيضاً ترك؛ لأن الناسي لا يؤخذ بنسيانه، والأول أقيس. والنسيان: الترك. وقوله عز وجل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، أي نأمركم بتركها. يقال: أنسيته أي أمرت بتركه. ونسيته: تركته. وقال الفراء: عامة القراء يجعلون قوله أو نساها من النسيان،

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، ج ٥، ص ٤٢١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٥٠.

(٣) التوبة: ٦٧.

(٤) البقرة: ٢٣٧.

(٥) مختار الصحاح، ص ٣١٠.

والنسيان هاهنا على وجهين: أحدهما الترك نتركها فلا ننسخها كما قال عز وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، يريد تركوه فتركهم، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، والوجه الآخر من النسيان الذي ينسى كما قال تعالى: واذكر ربك إذا نسيت»^(١).

وقال الفيومي في المصباح المنير: «نسيت الشيء أنساه نسياناً مشترك بين معنيين أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له، والثاني الترك على تعمد وعليه ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾»^(٢)، أي لا تقصدوا الترك والإهمال، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، ونسيت ركعة أهملتها ذهولاً، ورجل نسيان وزان سكران كثير الغفلة»^(٣).

وقال الزبيدي في التاج: «ثم إن تفسير النسيان بضد الحفظ والذكر هو الذي في الصحاح وغيره. قال شيخنا: وهو لا يخلو عن تأمل، وأكثر أهل اللغة فسروه بالترك، وهو المشهور عندهم»^(٤).

وقال ابن عبد البر: «والنسيان في لسان العرب يكون الترك عمداً، ويكون ضدّ الذكر»^(٥).

(١) لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٢٤.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) المصباح المنير، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٤) تاج العروس، ج ٢٠، ص ٢٤٠.

(٥) الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ٧٦.

ومما تقدم يتضح أن النسيان في اللغة يأتي بمعنيين:

١ - بمعنى الترك.

٢ - ضد الحفظ والذكر.

فالنسيان إذن على وجهين: نسيان ترك، ونسيان سهو وغفلة، وهذا يعني أن الناسي لأمر ما لا يلزم أن يكون غافلاً عما نسيه، بل قد يكون تاركاً إياه عن عمد وقصد.

ثانياً: الاستهداء بالقرائن على تحديد المعنى المقصود من المشترك اللفظي.

إن لفظ النسيان مشترك لفظي كما أثبتته علماء اللغة، والمشارك اللفظي يُحدد بالقرائن، فالنسيان في قوله ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾^(١)، مشترك لفظي بين الترك والسهو - وقد اتضح في "أولاً" - ولا يتعين أحد المعنيين إلا عبر النظر إلى ما تقدم اللفظة أو الآية وإلى ما تأخر عنها.

فلا بد إذن من الالتفات إلى السياق بلحاظ الآيات المتقدمة على الآية - محل البحث - والآيات اللاحقة لها، فهي التي تحدد ما إذا كان نسيان الكلیم موسى ﷺ نسيان ترك أو نسيان سهو وغفلة، ونحن نذكر في ما يأتي عدة قرائن محددة لمعنى النسيان في سياق القصة:

(١) الكهف: ٧٣.

١ - أن موضوع اتباع موسى عليه السلام، للعالم الرباني غايته التعلم مما عُلِّمَ رشدًا، وهو علم الباطن المتواري خلف ظواهر الأفعال والأقوال، وإذا لحظنا الآيات نجد أن موسى عليه السلام لم يتعهد أن لا ينهى - كما يعتقد - عن منكر ظاهر، كيف؟ وهو يرى أن من واجبه الحفاظ على أرواح الناس وأموالهم، ومن أولويات وظائفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتراضه المتكرر على ما شاهده من أفعال منكرة في ظاهرها قام بها العالم (الخضر)، الأمر الذي يحتم عليه عدم السكوت إزاءها، فأين محل السهو والغفلة عن عهود وشروط الاتباع؟!

٢ - أن القول بأن اعتذار موسى عليه السلام عن استنكاره واعتراضه على الأفعال التي قام بها الخضر - من قتله الغلام وخرقه السفينة لإغراقها وإغراق أهلها - إنما كان بسبب غفلته وسهوه عن عهوده وشروطه، يلزم منه أن لا يعترض، ولا يُنكر هذه الأفعال في ما لو كان ذاكرًا غير غافل، وإلا لما اعتذر، وهذا أشدّ قدحًا في عصمة ونبوة الكليم موسى عليه السلام، لأنه لا يعلم أن قتل الغلام كان بأمر من الله تعالى، ولا يعلم أن خرق السفينة كان بأمر من الله تعالى أيضًا، وقد بين القرآن على لسان الخضر في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾^(١)، فهل يحق لنبي كموسى عليه السلام أن يلزم جانب الصمت إزاء هذه الأفعال التي جسدت صورة الظلم والاعتداء على أرواح الناس وأموالهم بحسب الظاهر، وهنا يرد إشكال مفاده: كيف لنبي أن يسكت على ما يظهر أنه ظلم واعتداء على الأرواح والأموال، وهو لا يعلم بما وراء الظاهر

وقد نص القرآن على ذلك. فأى وزن للوعود والشروط إذا أدت إلى ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسكوت على الظلم ظلم.

٣- في قوله تعالى على لسان الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(١)، حرف (لن) يفيد النفي المؤبد، أي نفي استطاعة موسى عليه السلام على الصبر أمام ما سيشهده من مواقف وأفعال تجسد الظلم في ظاهرها، لا نفي التذكر وحفظ ما وعد به، فلا يقال الاستطاعة على الصبر إلا على ما يقابلها، فافهم.

٤- قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾^(٢)، إنما وعده الصبر مقيداً بالمشيئة، فلم يكذب إذ لم يصبر، وكذلك وعده بعدم معصية أمره ولكنه -أيضاً- قيده بالمشيئة، ولم يخلف الوعد؛ إذ لم ينته بنهيهِ عن السؤال، ودلالة هذه الجملة من الآية: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ تحدد بوضوح أن المراد من النسيان هو الترك، ومعلوم أن عصيان الأمر معناه ترك الاتباع والخروج عن الطاعة عن عمد وقصد.

٥- اعترض موسى عليه السلام المتكرر على ما قام به الخضر لثلاث مرات، واعتذاره عنه لمرة واحدة، ففي الأولى لما خرق السفينة، اعترض عليه بقوله: ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾^(٣)، فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ

(١) الكهف: ٦٧.

(٢) الكهف: ٦٩.

(٣) الكهف: ٧١.

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا^(١)، فاعتذر موسى عليه السلام عن اعتراضه بالنسيان، وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا^(٢)﴾، وفي الثانية لما قتل الخضر الغلام اعترض عليه، وقال: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا^(٣)﴾، وهنا لم يعتذر موسى عليه السلام عن اعتراضه بالنسيان، وإنما قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا^(٤)﴾، وهذه الآية تكشف بوضوح أن النسيان الذي اعتذر به في الأولى لم يكن نسيان سهو وغفلة، وإنما كان نسيان ترك عن عمد وقصد، مقارعة لما كان في الظاهر ظلمًا، وقد كشف عن ذلك اعتراضه في الثالثة وعدم اعتذاره أيضًا حتى قال الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا^(٥)﴾.

ثالثًا: الدليل العقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقًا.

معلوم أن الله عز ذكره أمر الناس بالتّباع الأنبياء، ولازم ذلك الأمر أن يكون كلّ قول وفعل يصدر منهم مطابقًا للواقع والحقيقة وفي جميع حالاتهم لا في التبليغ كما يدعي بعض المتعالمين، وإلاّ فلو كان من المحتمل أن يخطئ النبيّ، فمن أين لنا أن نعرف أنّ ما يقوله أو يفعله هو صحيح ومطابق للواقع كي نأخذ به، أم هو خطأ ونسيان وغفلة

(١) الكهف: ٧٢.

(٢) الكهف: ٧٣.

(٣) الكهف: ٧٤.

(٤) الكهف: ٧٦.

(٥) الكهف: ٧٨.

منه؟ والمخلص من هذا الاحتمال هو حكم العقل، فالعقل يحكم بانسداد باب احتمال طرو الخطأ والغفلة والذهول على الأنبياء عليهم السلام في كل أقوالهم وأفعالهم وفي جميع حالاتهم.

وهذا الدليل يثبت وبقوة أن النسيان الذي اعتذر به الكليم موسى عليه السلام هو نسيان الترك لا نسيان الغفلة والذهول والسهو.

رابعاً: نسيان موسى عليه السلام نسيان ترك لا سهو ببيانات العلماء.

كلمة النسيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، المتعلقة بموسى عليه السلام، حملت عند أغلب علماء المسلمين على النسيان بمعنى الترك.

قال العلامة المجلسي في البحار: قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، أي بما تركت من أمرك^(١).

قال الطبري، وابن كثير، والسيوطي: «أي بما تركت من عهدك»^(٢).

قال الماوردي: «بما تركته من عهدك، قاله ابن عباس، مأخوذ من النسيان الذي هو الترك لا من النسيان الذي هو من السهو»^(٣).

وقال ابن الجوزي: «قال ابن عباس: لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني»^(٤).

(١) بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٨٩.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٨، ص ٦٧، تفسير ابن كثير، ج ٥، ص ١٧٩، الدر المنثور، ج ٥، ص ٤١٥.

(٣) تفسير الماوردي، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٤) زاد المسير، ج ٣، ص ١٩٦.

وبالمعنى الذي تقدم يفسر النسيان في قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ بالترك، فيكون معنى الآية أي بما تركت من شرطي وعهدي لك، ويجري هذا المعنى مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِي﴾^(١)، أي ترك، وكذلك مجرى قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢)، إذ لا يتصور أن يكون نسيانه تعالى عن ذهول وغفلة، وهذا يعني أنه عن قصد وتعمد والتفات، ومعناه تركه تعالى لهم بالذكر والرحمة. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُجُورًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^(٣)، أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا^(٤).

ولما كانت لا تصح نسبة السهو والنسيان إلى الأنبياء، وجب حملها على ما ذكرنا لقيام الأدلة القطعية على أنه لا يجوز على الأنبياء السهو ولا النسيان، وليس تفسير النسيان بالترك آتٍ من فراغ كما يعتقده بعضهم.

فالنسيان فيها بمعنى الترك، والمعنى لا تؤاخذني بما تركت من تعهدي بالصبر وعدم السؤال، المفهوم من قوله تعالى ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾، وقوله تعالى ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، أي لا تؤاخذني لتركي الصبر والسؤال عن الأمر أو الاعتراض عليه.

(١) طه: ١١٥.

(٢) التوبة: ٦٧.

(٣) الأعراف: ٥١.

(٤) يُنظر: تفسير الميزان، ج ٩، ص ٣٤٧.



مقالة في رد شبهة دلالة معاتبه الله لرسوله في القرآن على وقوعه في أخطاء تمنع من اتباعه

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- ظاهر الآية لا يدل على توجه الخطاب إلى النبي ﷺ.
- مضامين السورة لا تتناسب مع حديث القرآن عن شخصية النبي ﷺ.
- فرض توجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

مقالة في رد شبهة دلالة معاتبه الله لرسوله في القرآن على وقوعه في أخطاء تمنع من اتباعه

مضمون الشبهة:

«كيف نتبع الرسول، ونأخذ بقوله، والله قد عاتبه، وصحح له بعض أفعاله، وأنزل في ذلك آيات كما في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ عندما عبس الرسول في وجه ابن أم مكتوم، وهو يكلم رؤوس قريش، إذن الرسول يخطئ، فليس أهلاً للاتباع».

الجواب الإجمالي:

وجوه إبطال الشبهة:

١ - ظاهر الآية لا يدل على أن المخاطب هو شخص النبي الكريم ﷺ، فالعبوس ليس من صفاته مع أعدائه، فكيف به مع المؤمنين المسترشدين! ووصف التصدي للأغنياء والتلهي عن الفقراء مما يزيد المنع تأكيداً، بل ومما يزيد تأكيد المنع يقيناً وصف الله سبحانه وتعالى أخلاق النبي ﷺ بالعظمة، فقال عز ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٌ^(١)، ويزداد الأمر وضوحاً أكثر إذا علمنا أن هذه الآية نزلت قبل سورة عبس، فإذا قلنا: إنّ المقصود بقوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ هو النبي ﷺ فهذا يستلزم التناقض بين الخلق العظيم وصدور هذا الفعل منه، وهذا لا يمكن الالتزام به لعدم وجود الاختلاف في آيات القرآن الكريم عقلاً ونقلاً، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢)، فضلاً عن المحذور الأصولي بأنه لا يصح أن تترك الصريح الواضح - وهو كون النبي على خلق عظيم، وقد شهدت به الآية الكريمة الصريحة - للمجمل غير الواضح، وهو أنّ المراد بآية "عبس وتولى" هو النبي ﷺ.

٢- مضامين السورة (العبوس، والتلهي، والتصديّة، وعدم الاهتمام بالتركية) لا تتناسب مع حديث القرآن عن شخصية النبي ﷺ، والعبوس في وجوه الفقراء من المؤمنين والتلهي عنهم بالتصدي للأغنياء يتنافى مع رأفته ورحمته التي وصفه الله سبحانه وتعالى بها في كتابه الكريم، فقال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

٣- لو فرضنا جدلاً - ولا نسلم - صحة نزول قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أن جاءه الأعمى^(٤)، في معاتبة النبي ﷺ، فسياق الآية يمثل دليلاً على عظمة شأن النبي ﷺ، فالقرآن المعجز قد حدد لنبي

(١) القلم: ٤.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) عبس: ١-٢.

الإسلام أرفع مستويات المسؤولية، حتى عاتبه على عدم اعتناؤه اليسير
برجل أعمى، وهو ما يدل على أن القرآن الكريم كتاب إلهي وأن
النبي ﷺ صادق فيه؛ إذ لو كان الكتاب من عنده - كما يزعم المناوئون
للإسلام - فلا داعي لاستعتاب نفسه.

الجواب التفصيلي:

أولاً: ظاهر الآية لا يدل على توجه الخطاب إلى النبي ﷺ.

الآية لا تدل صراحة على أن المخاطب هو شخص النبي الكريم
ﷺ، حيث إنَّ العبوس ليس من صفاته مع أعدائه، فكيف به مع
المؤمنين المسترشدين! ووصف التصدي للأغنياء والتلهي عن الفقراء
مما يزيد المنع تأكيداً، فهذا الفعل ليس من أخلاقه ﷺ التي وصفها
الله سبحانه وتعالى بالعظيمة، فقد أكد ذلك الوصف مرتين في آية
واحدة، فأكد به (إِنَّ)، وأكد به (اللام) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ﴾^(١)، ويزداد الأمر وضوحاً أكثر إذا علمنا أن هذه الآية نزلت
قبل سورة عبس، فإذا قلنا: إِنَّ المقصود بقوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾
هو النبي ﷺ فهذا يستلزم التناقض بين الخلق العظيم وصدور هذا
الفعل منه، وهذا لا يمكن الالتزام به لعدم وجود الاختلاف في آيات
القرآن الكريم عقلاً ونقلاً، يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١﴾، فضلاً عن المحذور الأصولي بأنه لا يصح أن تترك الصريح الواضح - وهو كون النبي على خلق عظيم، وقد شهدت به الآية الكريمة الصريحة - للمجمل غير الواضح، وهو أن المراد بآية "عبس وتولى" هو النبي ﷺ.

وترجيح غنى الغني على كمال الفقير قبيح عقلاً ومنافٍ لكريم الخلق الإنساني، ولا يحتاج إلى تشريع نهى للاجتناب عنه، الأمر الذي لا يقدم على فعله عاقل من البسطاء، فكيف ينسب فعله إلى سيد العقلاء وخاتم الأنبياء ﷺ؟!

وقد ورد عن أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم ما يدفع الشبهة في مورد السؤال، وبيّنوا عليهم السلام أن الآيات قد نزلت في رجل من بني أمية، وبعض الروايات قد صرحت باسمه أيضاً^(٢).

والروايات التي تحدثت عن أن النبي ﷺ هو الذي عبس في وجه ابن أم مكتوم إنما رواها غير الشيعة، وقد طرحها الرازي، معللاً ذلك بأنها أخبار آحاد، وبأنها تخالف القواعد العقلية^(٣).

(١) النساء: ٨٢.

(٢) يُنظر: تفسير القمي ج ٢، ص ٤٠٥، وتفسير البرهان ج ٤، ص ٤٢٧ و ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٠٨ و ٥٠٩، ومجمع البيان ج ١٠، ص ٤٣٧.

(٣) يُنظر: عصمة الأنبياء، للرازي، ص ١٠٨.

ثانياً: مضامين السورة لا تتناسب مع حديث القرآن عن شخصية النبي ﷺ

(العبوس، والتلهي، والتصدي للأغنياء، وعدم الاهتمام بالفقراء) مضامين لا تتناسب مع حديث القرآن الكريم عن شخصية النبي ﷺ. والعبوس في وجوه الفقراء من المؤمنين والتلهي عنهم بالتصدي للأغنياء يتنافى مع رأفته ورحمته التي وصفه الله سبحانه وتعالى بها في كتابه الكريم، فقال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، بل إن صدور الصدود من النبي ﷺ عن المؤمنين لازمه المعصية؛ لأنه مأمور باستقبالهم والتواضع لهم في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وظاهر قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ﴾ فأنّت له تصدّي ❖ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ❖ أنّ المعنيّ بهذه الآيات شخص دأبه التصدي للأغنياء وعدم الاهتمام بتزكيتهم، وهذا مخالف صريح لقوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣).

ووصفه عزّ وجلّ بخلق الرحمة ولين الجانب، ونفى عنه ما

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الشعراء: ٢١٥.

(٣) الجمعة: ٢.

يقابلهما من سوء الأخلاق، فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

ثالثاً: فرض توجه الخطاب إلى رسول الله ﷺ

لو فرضنا جدلاً صحة نزول قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أن جاءه الأعمى^(٢)، في معاتبة النبي ﷺ، وأنه صح ما رواه المفسرون أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله، وهو يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأبياً وأمياً ابني خلف، يدعوهم إلى الله، ويرجو إسلامهم؛ فقال عبد الله: أقرئني، وعلمني مما علمك الله، فجعل ينادي، ويكرّر النداء، ولا يدري أنه مشغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعييد، فعبس ﷺ، وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآيات، وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي^(٣)، ويقول: هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين^(٤).

لكن اللافت للنظر قول الراوي: (وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعييد، فعبس ﷺ، وأعرض

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) عبس: ١-٢.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٥٢.

(٤) مجمع البيان: ١٠/٤٣٧ وغيره من التفسير.

عنه)، وأحسب أن كل عاقل سيقف بروية عند قول الراوي (وقال في نفسه)، فيعلن شكوكه، ويتساءل عن كيفية وقوف الراوي على ما خطر في نفس النبي ﷺ؟! الأمر الذي يدل على أنها أقصوصة مختلقة، باطلة في أصلها وفصلها، وأكذوبة خبيثة في جذورها وأغصانها، واتخذ أعداء الإسلام منها سلاحًا للطعن في عصمة رسول الله ﷺ، وذريعة إلى عدم اتباعه.

وهذا التساؤل يؤكد تساؤل آخر حول نوع الخطأ الذي صدر من النبي ﷺ؟!!

فإن قيل: إنه أخطأ لما تصدى للأغنياء.

قلنا: من البداهة أنه ﷺ لم يتصدَّ لهم لغناهم، بل لكونهم رؤساء أقوامهم وساداتهم، فإن دخلوا للإسلام تبعهم في ذلك جميع أقوامهم، فيأمن المسلمون، ويتشر الإسلام ليلبغ أبعد مدياته.

إذن فالنبي ﷺ كان في مقام الدعوة إلى الله عز وجل، وكان قاصدًا هداية جماعة من علية القوم راجيًا بذلك هداية أناس كثيرين تبعًا لهم، لذلك أعرض عن الرجل الأعمى، غير أن الله تعالى يريد لرسوله أعلى مستوى من الخلق، ومن أجل ذلك عوتب ﷺ.

فسياق الآيات يمثل دليلاً على عظمة شأن النبي ﷺ، لا على تحجيم مقامه وإظهاره بمظهر المذنب كما فهمه بعضهم، فالقرآن المعجز قد حدد لنبي الإسلام أرفع مستويات المسؤولية، حتى عاتبه على عدم اعتناؤه السير برجل أعمى، مع أنه ﷺ كان في مقام الدعوة إلى الله،

وهو مما يدل على أن القرآن الكريم كتاب إلهي وأن النبي ﷺ، صادق فيه، إذ لو كان الكتاب من عنده - كما يزعم المناوئون للإسلام - فلا داعي لاستعتاب نفسه.

ويمثل السياق - أيضًا - دليلاً على أن الوحي لا يكاد يفارق النبي ﷺ لحظة واحدة إلا وأبلغه أمر الله تعالى ونهيه في مطلق الأحوال، سواء في تبليغ الدين وتشريع الأحكام أو غيرها من الأمور العامة الخارجة عن إطار التشريع والتبليغ كقصة الرجل الأعمى هذه، إذ ليس المقام فيها مقام تشريع أحكام أو تبليغ دين الله، وهو واضح، ومع ذلك أنزل الله سبحانه وحيه على رسوله ﷺ، فما بالك في ما لو كان في مقام التشريع وتبليغ أحكام الدين؟! وهذا مما لا شك يكون أكثر مدعاة إلى اتباعه والانقياد إليه لا العكس كما يزعم صاحب الشبهة.





مقالة في رد شبهة دلالة خلة الرسول على الأفضلية والخلافة

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- صراحة الحديث في نفي الخلة لا إثباتها.
- إشكال الحافظ ابن حجر على الحديث يدل على اختلاقه وبطلان أغراضه.
- من لا يكون مؤهلاً للأخوة فبالأولى لا يكون مؤهلاً للخلة.
- الاستدلال بالحديث حجة على الخصم.

مقالة في رد شبهة دلالة خلة الرسول على الأفضلية والخلافة

تعدّ المواقع الإلكترونية ومنصات التواصل الاجتماعي في عصرنا الحاضر من أحدث وسائل الإعلام الفاعلة والمؤثرة في المجتمع - وذلك غير خافٍ على أحد - لما تتميز به من سرعة انتشار المعلومة انتشاراً واسعاً على مستوى رقعة المعمورة؛ الأمر الذي يوفر فرصة سانحة لأصحاب النفوس المريضة والأقلام الرخيصة ممن وقعوا في أسر التقليد والتعصب لآراء الرجال، أن تكون غالب كتاباتهم اليوم منصبة في إثارة الشبهات وتفجير القضايا العقدية الحساسة بتزييف الحقائق وتشويه المعالم وتحريف الوقائع.

ووجدنا من هؤلاء من كتب يقول: «نقول للشيعنة في البخاري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل" وهذا دليل على أفضليته وخلافته، فيتركون الحديث في البخاري، ويقصدون الموضوعات عند أهل السنة». انتهى.

إلا أنّ هذا الكاتب المسكين لا يدرك ما يقول؛ لأنه من غير الممكن أن يلزمنا بمروياته - سواء الصحيحة منها أو الموضوعة -؛ لأنها ليست حجة علينا، ومروياتنا ليست حجة عليه، فهذا خلل منهجي منه في طريقة الاحتجاج بين الأديان والمذاهب، فالاحتجاج يكون على وفق قاعدة الإلزام، أي إلزام الخصم بالأدلة الصحيحة من كتبه لا من كتب غيره، والكاتب يريد

أن يفعل العكس هنا.. وعلى أية حال سنجيب على هذه المدّعيات بجوابين، إجمالي وتفصيلي، فنقول:

الجواب الإجمالي:

إنّ حديث الرسول ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا» الذي رواه البخاري هو صريح بعدم اتخاذ أبي بكر خليلًا؛ وذلك لمكان حرف الامتناع (لو)، الذي هو حرف امتناع لامتناع وهو ثابت في كتب النحو، فيكون الحديث نصًّا صريحًا في نفي الخلّة لا إثباتها، فلو سلّمنا لكم تماميّة الحديث وأنّه غير مختلق فهذا الاستدلال الذي جئتم به من الحديث هو حجة عليكم لا لكم، فأنتم تقولون -بحسب هذا الحديث- أنّ رسول الله ﷺ لو أراد أن يتخذ صديقًا وحبیبًا له لاتخذ أبا بكر صديقًا وحبیبًا له -وهو معنى الخلّة في اللغة- والحال أنّه لم يتّخذ خليلًا له، وقد جاءت أحاديثكم تقول بامتناع أن يتّخذ رسول الله ﷺ أحدًا من الناس خليلًا له، فالضابطة التي جعلتكم تعتقدون بأهليّة أبي بكر للخلافة هي أهليته لمحبة رسول الله ﷺ واتّخذه خليلًا له مع أنّه لم يكن خليلًا له بالفعل، نقول: فما قولكم بمن اتّخذ الله حبیبًا، واتّخذ رسول الله ﷺ أخًا وحبیبًا له بالفعل، ألا يستحق الخلافة بحسب ضابطة التي جئتم بها؟! فهذا هو النبي ﷺ يخبرنا بأنّ عليًّا عليه السلام هو حبیب الله ورسوله، كما جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري: (لأعطين الراية أو قال: لياخذن غدًا رجل يحبّه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه، فإذا نحن بعليّ) (١).

(١) صحيح البخاري ج ٤، ص ١٢؛ صحيح مسلم ج ٥، ص ١٩٥.

الجواب التفصيلي:

أولاً: صراحة الحديث في نفي الخلّة لا إثباتها.

حديث رسول الله ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً لا تتخذت أبا بكر خليلاً) الذي رواه البخاري في صحيحه هو صريح بعدم اتخاذ أبي بكر خليلاً؛ وذلك لمكان حرف الامتناع (لو)، الذي هو حرف امتناع لا امتناع وهو ثابت في كتب النحو، فيكون الحديث نصّاً صريحاً في نفي الخلّة لا إثباتها.

بل غاية ما يدل عليه الحديث -على فرض التسليم بصحته- أن النبي ﷺ لو أراد أن يتخذ خليلاً لا يتخذ أبا بكر، والخلّة في اللغة: هي الصداقة والمحبة، والخليل هو الصديق.

قال في لسان العرب: وفي الحديث: إني أبرأ إلى كل ذي خُلّة من خُلّته؛ الخُلّة، بالضم: الصداقة والمحبة التي تخلّت القلب، فصارت خِلاله أي في باطنه.

والخليل: الصديق، فعيل بمعنى مفاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، قال: وإنما قال ذلك؛ لأن خُلّته كانت مقصورة على حب الله تعالى^(١). انتهى.

فيكون معنى الحديث: لو أردت أن اتخذ صديقاً لا تتخذت أبا بكر صديقاً.

ولا دلالة في الحديث على أفضلية أبي بكر فضلاً عن الاستدلال به على استحقاق الخلافة، بل ورد عندكم من الأحاديث ما يدل على نفي الخلّة من

(١) لسان العرب، ج ١١، ص ٢١٧.

النبي ﷺ لأحد من الناس، منها: أنه ﷺ قال قبيل وفاته: (إني أبرأ إلى كل خليل من خلّته)^(١)، وقد استدل ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على بطلان اتخاذ النبي ﷺ خليلاً، بقوله: «وهذا يعارضه ما في رواية جندب عند مسلم كما قدمته أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بخمس: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل»^(٢).

واستدل الذهبي - أيضاً - في ترجمة إسحاق بن نجيح على بطلان حديث أبي هريرة الذي ينص على أن النبي ﷺ اتخذ عثمان خليلاً له، بقوله: «وهذا باطل، ويدل على ذلك قوله عليه السلام: لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً»^(٣).

ثانياً: إشكال الحافظ ابن حجر على الحديث يدل على اختلاقه وبطلان أغراضه.

جاء في ذيل الحديث قول رسول الله ﷺ: (ولكن أخوة الإسلام أفضل)^(٤)، وهنا أشكل شارح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني، وقال: «وفيه إشكال فإن الخلّة أفضل من أخوة الإسلام فإنها تستلزم ذلك وزيادة»^(٥).

نقول: هذا الإشكال من ابن حجر العسقلاني يدل على أن الحديث

(١) رواه مسلم في صحيحه، ج ٢، ص ٣٣١.

(٢) يُنظر: فتح الباري، ج ٧، ص ٢٣.

(٣) ميزان الاعتدال ج ١، ص ٢٠١.

(٤) صحيح البخاري ج ٤، ص ١٩١.

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٣.

مختلق، وإلا كيف يتجرأ أن يرد كلاماً قاله رسول الله ﷺ، فيكون قد علم ما لا يعلمه رسول الله بأن الخلّة تستلزم الأخوة وزيادة؟!!

ثالثاً: من لا يكون مؤهلاً للأخوة فبالأولى لا يكون مؤهلاً للخلّة.

أفاد ابن حجر العسقلاني في كلامه المتقدّم بأن الخلّة تستلزم الأخوة وزيادة، وبحسب هذا البيان من شارح صحيح البخاري وجدنا أحاديثاً عندكم يستفاد منها أن أبا بكر - بل الصحابة جميعهم خلا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - لم يكونوا مؤهلين لأخوة رسول الله ﷺ، والذي لا يكون مؤهلاً للأخوة فبالأولى لا يكون مؤهلاً للخلّة.

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة: «أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنّا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»^(١).

ورواه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرئوط محقق المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم^(٢).

وفي الرياض النضرة للمحب الطبري عن أنس: «كنا في بيت عائشة رضي الله عنها، أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وأنا يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا

(١) صحيح مسلم ١: ١٥٠.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٠٠.

أبا بكر، ليت أني لقيت إخواني، فإني أحبهم، فقال أبو بكر: يا رسول الله من إخوانك؟ قال: إخواني الذين لم يروني، وصدقوني، وأحبوني حتى أني لأحب أحدهم من ولده ووالده، قال: يا رسول الله نحن إخوانك؟ قال: لا، أنتم أصحابي^(١).

رابعاً: الاستدلال بالحديث حجة على الخصم.

لو سلّمنا لكم تمامية الحديث وأنه غير مختلق -بحسب إشكال ابن حجر المتقدم عليه- فهذا الاستدلال الذي جئتم به من الحديث هو حجة عليكم لا لكم، فأنتم تقولون -بحسب هذا الحديث- إن رسول الله ﷺ لو أراد أن يتخذ صديقاً وحبیباً له لاتخذ أبا بكر صديقاً وحبیباً له -وهو معنى الخلّة في اللغة- والحال أنه لم يتّخذ خليلاً له، وقد جاءت أحاديثكم تقول بامتناع أن يتّخذ رسول الله ﷺ أحداً من الناس خليلاً له، فالضابطة التي جعلتكم تعتقدون بأهلية أبي بكر للخلافة هي أهليته لمحبة رسول الله ﷺ واتّخاذه خليلاً له مع أنه لم يكن خليلاً له بالفعل.

نقول: فما قولكم بمن اتّخذ الله حبیباً له، واتّخذ رسول الله ﷺ أخاً وحبیباً له بالفعل -لا بالقوة كما في حديث الخلّة المتقدم- ألا يستحق الخلافة بحسب ضابطة التي جئتم بها؟!

فها هو النبي ﷺ يخبرنا بأن علياً عليه السلام هو حبيب الله ورسوله،

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة ١: ٢٠٦.

كما جاء في الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري: (لأعطين الراية أو قال: ليأخذن غداً رجل يحب الله ورسوله أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه، فإذا نحن بعلي) (١).

وكذلك روي بالاتفاق أن النبي ﷺ اتخذ أمير المؤمنين علياً عليه السلام أخاً له، قال ابن عبد البر في "الدرر": «والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى المدينة أنه آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت، وآخى بين علي بن أبي طالب وبين نفسه صلى الله عليه وسلم، فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة» (٢).

وقال في الاستيعاب بعد ذكره لحديث المؤاخاة وحديث الراية يوم خيبر والغدير: «وهذه كلها آثار ثابتة» (٣).

وعن الزرقاني المالكي في "شرحه على المواهب اللدنية": «وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي، وقد روى الترمذي، وحسنه الحاكم، وصححه عن ابن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: "أما ترضى أن أكون أخاك"؟ قال: بلى، قال: "أنت

(١) صحيح البخاري ٤: ١٢، صحيح مسلم ٥: ١٩٥.

(٢) الدرر: ٩٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣: ١١٠٠.

أخي في الدنيا والآخرة»^(١).

وعن الخطيب التبريزي في "الإكمال" بعد ذكره لحديث المؤاخاة، قال: «فالحديث صحيح بشواهده. وأخرجه المؤلف في المناقب والحديث أخرجه الترمذي والحاكم»^(٢).

وعن محب الدين الطبري في "الرياض النضرة في مناقب العشرة": «ومن أدل دليل على عظيم منزلته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صنيعة في المؤاخاة كما تقدّم، فإنّه - صلى الله عليه وسلم - جعل يضم الشكل إلى الشكل يؤلف بينهما إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وادّخر علياً لنفسه، وخصّه بذلك، فيا لها من مفخرة وفضيلة»^(٣).



(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج ٢ ص ١٩١.

(٢) الإكمال في أسماء الرجال: ١٧٧.

(٣) الرياض النضرة ٣: ١٨٧.



مقالة في رد شبهة

عدم دلالة فضل وأفضلية من باهل بهم النبي ﷺ

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- يوم المباهلة يعد اللحظة الحاسمة بين مبدأ التوحيد ومبدأ الشرك.
- استدعاء علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تدبير إلهي وقرار رباني.
- ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لـ علي عليه السلام.

مقالة في رد شبهة عدم دلالة فضل وأفضلية من باهل بهم

النبي ﷺ والدعوة

كتب بعضهم يقول: «عن أي فضيلة يتحدث الرافضة في المباهلة؟! فالأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية أنه مجرد أخذ النبي علياً وفاطمة والحسن والحسين في المباهلة، وهو حديث صحيح، رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال في حديث طويل: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»، ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة لا تصمد أمام فضائل الصحابة.

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١- أن ابن تيمية كفانا مؤونة البحث لأجل اقتناعه بصحة الحديث واعترافه بانحصار القضية بالأربعة الأطهار: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأنهم هم بأعيانهم من جلالهم رسول الله ﷺ، بكسائه؛ الأمر الذي من شأنه أن يكون بمثابة صفة في

وجوه المحرّفين وسيفٍ يقطع شبهات المتهوّكين، وسهّل علينا أيضًا الخوض في دحض شبهته الواهية التي يقول فيها: «لا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة لا تصمد أمام فضائل الصحابة».

٢- أن يوم المباهلة يُعدُّ اللحظة الحاسمة بين مبدأ التوحيد ومبدأ الشرك، وأنها اللحظة الأبرز في تاريخ جميع الأنبياء والمرسلين، حيث اختارت السماء لهذا اليوم العظيم هؤلاء الأربعة الأطهار (الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام) في حين كان جميع من شهد ذلك اليوم من المسلمين يتمنى أن لو يختاره الله في من يختاره للمباهلة؛ وما ذاك إلا لعلمهم بأن الاختيار لا يكون إلا اختيارًا سماويًا، ومن بين أولئك المتمنين من الصحابة «سعد بن أبي وقاص»، فقد تمنى أن لو كان واحدًا من الذين باهل بهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، في ذلك الموقف الحاسم^(١)، فلو كانت هذه القضية لا فضيلة فيها لعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كما ادّعى ذلك ابن تيمية، لما تمنى سعد بن أبي وقاص أن تكون له مثلها، وسعدٌ هذا كما لا يخفى هو أحد الصحابة الذين ادّعى ابن تيمية أن من باهل بهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، لا يقتضي أن يكونوا أفضل منه!!

٣- أن العاقل إذا أمعن النظر بصحيح الفكر والاعتبار يجد أن

(١) فتح الباري، لابن حجر، ج ٧، ص ٧٤، شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ج ٧، ص ٤١٤، الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر، ج ١، ص ٣٤٨، الجمع بين الصحيحين، للحميدي، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٠٩.

الآية الشريفة ظاهرة في عموم الأبناء والنساء والأنفس، ثم لا يخفى على من له اليد الطولى في علم البيان أن الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق، فلماذا اقتصر النبي ﷺ في دعوة الأبناء على الحسن والحسين عليهما السلام، وفي دعوة النساء على البضعة الطاهرة فاطمة عليها السلام، وعلى الأنفس بعليٍّ عليه السلام، في حين كان له ﷺ، أن يأتي بكل من يصدق عليه أنه ابن له، وبكل من يصدق عليها نساءه، وبكل من نزل منزلة نفسه، فاقتصره ﷺ، على الإتيان بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، ما كان إلا إعلاناً منه ﷺ، بأن هؤلاء الأطهار هم من يمثلون الإسلام، وهم صفوة هذا العالم، وأنهم الخيرة من الخلق بعده ﷺ، من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة.

٤ - أمّا زعم كاتب الشبهة «بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة لا تصمد أمام فضائل الصحابة»، لا نقول له دلنا على تلك الفضائل، لأننا وجدنا أكثرها في مصنفات الأحاديث المكذوبة والموضوعة، ووجدنا في قبال ذلك ما شهد به أساطين علماء أهل السنة على صحة المروي من فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام، دون ما روي من فضائل من سواه من الصحابة.

الجواب التفصيلي:

ونجيب عن هذه الشبهة تفصيلاً من وجوه:

وأقول قبل ذكر وجوه الرد على الشبهة: إن ابن تيمية كفانا مؤونة البحث لأجل اقتناعه بصحة الحديث واعترافه بانحصار القضية بالأربعة الأطهار: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأنهم هم بأعيانهم من جللهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بكسائه؛ الأمر الذي من شأنه أن يكون بمثابة صفة في وجوه المحرّفين وسيفٍ يقطع شبهات المتهوّكين.

إلا أن ابن تيمية حين لم يجد بداً من الإقرار بصحة الحديث وأن علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، هم من اختصهم الله ورسوله في هذه القضية، وهم من جللهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكسائه، وجّه قوارصه نحوهم وأثار شبهته ضدهم، قاصداً بذلك سلب ما أضفته إليهم آية المباهلة من الفضل الجسيم والذي لا يكاد يخفى على عوام الناس فضلاً عن علمائهم.

فإذا كان ابن تيمية قد اعترف بالذي تقدّم ذكره في أعلاه كما نقله لنا كاتب الشبهة، فقد سهّل علينا الخوض في دحض شبهته الواهية التي يقول فيها: «ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة لا تصمد أمام فضائل الصحابة.»^(١)

(١) نقله الكاتب بتصرف من منهاج السنة لابن تيمية، ج ٧، ص ١٢٧.

أولاً: يوم المباهلة يُعد اللحظة الحاسمة بين مبدأ التوحيد ومبدأ الشرك.

لا يخفى أن يوم المباهلة يُعدُّ اللحظة الحاسمة بين مبدأ التوحيد ومبدأ الشرك، وأنها اللحظة الأبرز في تاريخ جميع الأنبياء والمرسلين، حيث اختارت السماء لهذا اليوم العظيم هؤلاء الأربعة الأطهار (الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام) في حين كان جميع من شهد ذلك اليوم من المسلمين يتمنى أن لو يختاره الله في من يختاره للمباهلة؛ وما ذاك إلا لعلمهم بأن الاختيار لا يكون إلا اختياراً سهاوياً.

وعلى رغم ذلك فقد كانوا يتوقعون خروج النبي صلّى الله عليه وآله، بمن هم أقرب إلى الله تعالى وإلى رسوله، وهم عترته وأهل بيته عليهم السلام، ومن بين أولئك المتمنين من الصحابة «سعد بن أبي وقاص»، فقد تمنى أن لو كان واحداً من الذين باهل بهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، في ذلك الموقف الحاسم، فقد روى المحدثون من علماء أهل السنة ما نصّه: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّى الله عليه وآله فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدةً منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول له، وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبوة بعدي، وسمعتُه يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً، فأوتي به أرمداً، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا

رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(١).

فلو كانت هذه القضية لا فضيلة فيها لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقد ادعى ذلك ابن تيمية، لما تمنى سعد بن أبي وقاص أن تكون له مثلها، وسعد هذا - كما لا يخفى - هو أحد الصحابة الذين ادعى ابن تيمية أن مَنْ باهل بهم النبي ﷺ، لا يقتضي أن يكونوا أفضل منه!! هذا فضلاً عن أن سعداً ذكر ذلك في مجلس معاوية بن أبي سفيان حين استدعاه لسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولست أدري أَمَا أدرك معاوية الذي أدركه ابن تيمية؟! أَمَا كان معاوية قادراً على أن يقول لسعد أن لا فضل لمن باهل بهم رسول الله ﷺ، على جميع الصحابة؟!!

ثم إن ابن تيمية ذكر في معرض كلامه عن آية المباهلة وبيان ما لمن باهل بهم النبي ﷺ، من فضل - في محاولة منه لتحجيم فضل المباهل بهم - مستدرگاً ما نصه: «بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة»^(٢)، وهنا سؤال يطرح نفسه: إذا كانت المباهلة نوع فضيلة لأهل البيت عليهم السلام، في قبال ما للصحابة من فضائل فلماذا لم يتمن سعد بن أبي وقاص أن تكون له واحدة من تلك الفضائل المزعومة بدلاً من أن يتمنى نوع فضيلة؟! ولو كان للصحابة فضائل بحسب ابن تيمية، ترى هل سيبقى معاوية صامتاً ويترك سعداً يفوه بما لا يطيق سماعه عن علي عليه السلام، في الوقت الذي كان قد عقد ذلك المجلس للنيل منه عليه السلام، لا لسماع فضائله وفضائل أهل بيته عليهم السلام؟! بل كان له أن يبين للحضور بأن ما

(١) فتح الباري، لابن حجر، ج ٧، ص ٧٤، شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ج ٧، ص ٤١٤، الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر، ج ١، ص ٣٤٨، الجمع بين الصحيحين، للحميدي، ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٠٩.

(٢) منهاج السنة، ج ٧، ص ١٢٦.

يتمناه سعد من فضيلة لعلّي إنما هو نوع فضيلة لا أكثر؟!

ثانياً: استدعاء علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تدبير إلهي وقرار رباني.

ذكرنا آنفاً ونؤكد أنّ حادثة المباهلة هي من أبرز وأعظم الأحداث في التاريخ الإسلامي، بل في تاريخ جميع الشرائع السماوية، إذ هي مفاضلة بين المسيحية المحرّفة وشريعة الإسلام الخاتمة؛ لتبيان هل الحق إلى جانب سيد الأنبياء محمد صلّى الله عليه وآله، أو أنّه إلى جانب من يدّعي ألوهية عيسى عليه السلام.

فالنصارى كانوا مصرين على نفي بشرية عيسى عليه السلام، ويزعمون أنه إله، في حين أنّ نبيّ الإسلام محمد صلّى الله عليه وآله، أثبت بشريته ونفى الألوهية عنه، هذا ولما بان إصرارهم على ذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه صلّى الله عليه وآله، أن يقول لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.. فاختار النبي صلّى الله عليه وآله، لمباهلة النصارى خيرة أهل الأرض وصفوتهم عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ليحضروا تلك الوظيفة الإلهية التي أنيطت بهم دون سواهم.

والعاقل إذا أمعن النظر بصحيح الفكر والاعتبار يجد أنّ الآية الشريفة ظاهرة في عموم الأبناء والنساء والأنفس، ثم لا يخفى على من له اليد الطولى في علم البيان أنّ الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق،

فلماذا اقتصر النبي ﷺ، في دعوة الأبناء على الحسن والحسين عليهما، وفي دعوة النساء على البضعة الطاهرة فاطمة عليها، وعلى الأنفس بعليٍّ عليهما، في حين كان له ﷺ أن يأتي بكل من يصدق عليه أنه ابن له، وبكل من يصدق عليهن نساءه، وبكل من نزل من منزلة نفسه، فاقتصراره ﷺ، على الإتيان بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما، ما كان إلا إعلاناً منه ﷺ، بأن هؤلاء الأطهار هم من يمثلون الإسلام، وهم صفوة هذا العالم، وأنهم الخيرة من الخلق بعده ﷺ، من لدن آدم عليهما، إلى قيام الساعة.

فمجيء الأمر في الآية بإخراج الأبناء والنساء والأنفس من جهة النبي ﷺ، هو تدبير إلهي وقرار ربّاني يُعطي لهذه الصفوة الطاهرة رفيع المكانة وسامي المنزلة عند الله عزّ ذكره، ويبين أنّهم عليهما أهل فضل وكرامة عنده سبحانه، فما كان اختصاص القرآن لفاطمة عليها إلا لعدم النظر لها في النساء، وما كان اختصاصه لعليٍّ عليهما إلا لعدم النظر له في الأنفس، فكان وجودهما يغني عمّن سواهما من الخلق في ذلك الموقف الحاسم، لكن الأمر الذي يلفت النظر هو أنّ الحسن والحسين عليهما لم يكن وجود أحدهما يغني عن الآخر، لذلك اختصهما القرآن، ودعاهما كلاهما لتساويهما وتكافئهما كما ورد عنه ﷺ، قوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، وفي ذلك دلالة واضحة على أنّه لو كان حضور الزهراء عليها غير كاف في ذلك الموقف لاستدعي من يتم بها معها الاكتفاء، وكذلك بالنسبة لأمير المؤمنين الإمام عليٍّ عليهما، لو لم يُكتف بحضوره لاستدعي من سواه، إلا أنّ الحسن والحسين

عليهما، استدعيا معاً لما علمتُ.

قال الزمخشري في "الكشاف" في سياق كلامه عن المباهلة بأصحاب الكساء عليه السلام: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليه السلام»^(١).

ثالثاً: ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي عليه السلام.

أمّا زعم كاتب الشبهة «بل لهم بالمباهلة نوع فضيلة لا تصمد أمام فضائل الصحابة»، فلا نقول له: دلّنا على تلك الفضائل؛ لأننا وجدنا أكثرها في مصنفات الأحاديث المكذوبة والموضوعة، ولكننا سنذكر ما شهد به أساطين علماء أهل السنة على صحة المروي من فضائل الإمام علي عليه السلام، دون ما روي من فضائل من سواه من الصحابة.

نصّ على ذلك الإمام أحمد بن حنبل الذي طالما ظل ابن تيمية عاكفاً على تعظيمه ومتبعاً منهجه ومقتدياً به، حتى قال فيه: «الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزَيَغَ الزائغين، وشكَّ الشاكِّين»^(٢)، فالإمام أحمد هذا نصّ على أنه لم يرد في حق أحد من الصحابة من الأحاديث المعتمدة ما ورد في حق علي، والذي روى ذلك

(١) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٣٧٠.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ج ٣، ص ٣١٢.

عنه -أيضاً- ممن يعتمدهم ابن تيمية في منهجه، ويقتدي بهم، وهو الحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧، فقد روى: «سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول: ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لـعلي رضي الله عنه»^(١).

وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في آخر ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، وبعد ذكر طرف من مناقبه: «وقد روي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لم يرو لأحد من الصحابة من الفضائل ما روي لـعلي، وكذا قال النسائي وغير واحد. وفي هذا كفاية»^(٢).

وذكره الحافظ ابن عبد البر بقوله: «وقال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب. وكذلك قال أحمد بن شعيب بن علي النسائي، رحمه الله»^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «ومناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصّحابة ما نقل لـعلي، وقال غيره... وتتبع النسائي ما خصّ به من دون الصّحابة فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جيا»^(٤).



(١) مناقب أحمد بن حنبل، الباب العشرون، ص ٢٢٠.

(٢) تهذيب التهذيب - الترجمة ٥٦٥، علي بن أبي طالب، ج ٧، ص ٣٣٤ - ٣٣٩.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الترجمة ١٨٥٥ علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ١١١٥.

(٤) الإصابة، الترجمة ٥٧٠٤، علي بن أبي طالب الهاشمي، ج ٤، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.



مقالة في رد شبهة

أن إخراج النبي ﷺ أهل بيته عليه السلام للمباهلة لا يدل على أنهم شركاؤه في رسالته.

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- المباهلة طلب اللعنة من الله على الكاذبين.
- لا شك في صدق النبي ﷺ، كما لا شك في كذب النصاري.
- إخراج النبي ﷺ أهل بيته للمباهلة إرادة إلهية.
- ما الذي يراد إثباته في المباهلة؟

مقالة في رد شبهة أنّ إخراج النبي ﷺ أهل بيته عليه السلام للمباهلة لا يدلُّ على أنهم شركاؤه في رسالته.

كتب بعضهم يقول: إنّ علة عدم اصطحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للمباهلة غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم إنّما هو لاحتمال وقوع المخاطر بالمُباهل بهم؛ لأنّه ليس له صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بغير هؤلاء، فليس له أن يأتي بأبناء غير أبنائه ونساء غير نسائه وأنفس غير نفسه؛ ولهذا الأمر يُستبعد أن يكونوا -أي الحسنان وأبواهما- شركاءه في رسالته.

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - المباهلة هي طلب اللعنة من الله على الكاذبين، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، أي نختار ترك التمايلات الشخصية والتوجّهات النفسانية، ونتوجّه إلى الله المتعال متضرّعين، ونطلب في تلك الحالة الخالصة اللعنة من الله على الكاذبين، فإذا كانت المباهلة بهذا المعنى فكيف احتمل كاتب الشبهة وقوع المخاطر على المُباهل بهم في جنب النبي ﷺ

وهم أهل بيته عليه السلام، وبمجموعهم يمثلون جانب الصدق والحق (صلوات الله عليهم)؟! ثم إن مخاطر الموقف - كما هو معلوم - لا تحيط إلا بالكاذبين، وهم نصارى نجران؟! أ فهل يشكك الكاتب في صدق النبي صلوات الله وسلامته عليه ودعوته؟!!

٢- لا إشكال ولا شبهة في أن نسبة تعرض النبي صلوات الله وسلامته عليه، للمخاطر المهلكة إثر مباہلته مع النصارى معدومة في المقام وغير متصورة البتة؛ لأن مَنْ دعاه إلى هذا الأمر هو الله عزّ ذكره، فهل ياترى يُريد إلحاق الضرر بنبيه؟! كلا وحاشا، ثم هل من شك في صدق دعواه صلوات الله وسلامته عليه، حتى يُقال باحتمال نسبة وقوع المخاطر المهلكة؟!!

٣- أن اختيار الصفوة الطاهرة من أهل بيت النبي صلوات الله عليهم كان بإرادة إلهية، وهذا يدل وبوضوح جلي لا يلحقه شك على أن لهم خاصية الشراكة مع النبي صلوات الله وسلامته عليه، في رسالته وأنهم امتداد لنبوته، ولو فرضنا جدلاً أنه كانت هناك نسبة محتملة لوقوع الضرر والخطر على المباهل بهم، فهل يحق للنبي صلوات الله وسلامته عليه، أن يُعرض أهله لذلك الضرر والخطر، ولا يحق له أن يُعرض لذلك من الناس من ليس بأهله؟! .. أ فهل أهل الرجل ملكٌ له، فيُعطى حق التصرف بهم بالطريقة التي يُنزل بهم الضرر، ويُلحق بهم الخطر؟!!

وإن قيل: إن نسبة وقوع الضرر ولحوق الخطر بالمباهل بهم إنما ذلك بنظر النصارى من باب إلزامهم لا إلزام المسلمين إذ ليس من داعٍ لإشراك غير أهل بيته (صلوات الله عليهم) في التباهل مع

النصارى.

قلنا: مَنْ أَمَعَنَ النظر في مفردات الآية الشريفة من قوله سبحانه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ يرى أنها جاءت بصيغ تتيح للنبي ﷺ، أن يأتي بغير علي وفاطمة والحسين عليهم السلام، أو يضم إليهم مَنْ سِوَاهُمْ من الأصحاب أو الأقارب أو النساء؛ حيث أن الأمر الوارد في الآية تضمن دعوة الأبناء والنساء والأنفس من دون تحديد مصاديق لهذه الصيغ، الأمر الذي يعطي النبي ﷺ، فسحة المجال لدعوة كل من هؤلاء غير أهل بيته (صلوات الله عليهم)، أو يضم إليهم من سِوَاهُمْ.

٤- أن الذي يراد إثباته في المباهلة هو بشرية عيسى عليه السلام ونفي الألوهية عنه، وهذا أمر بحد ذاته يدل دلالة قاطعة على أن المباهل بهم لإثبات ذلك ليسوا فقط ذوي منزلة رفيعة ومكانة عظيمة وحسب، بل إنهم بلغوا أعلى مراتب الفضل والكرامة والسؤدد؛ لأن في حضورهم مع النبي ﷺ أعظم البراهين التي من شأنها التدليل على صدق النبي في ما يدعيه، لذا جوبه ﷺ بالامتناع من قبل النصارى لما رأوا مَنْ اصطحب معه من أهل بيته لمباهلتهم، ومَنْ قال غير ذلك، قلنا له ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وإن لم يأت به، فيكون ممن قد ردّ على رسول الله ﷺ قوله.

الجواب التفصيلي:

ويجاب على هذه الشبهة تفصيلاً من أربعة وجوه:

أولاً: المباهلة طلب اللعنة من الله على الكاذبين.

قال صاحب "المصباح": «بهله بهلاً من باب نفع: لعنه، واسم الفاعل باهل، والأنثى باهلة، وباهله مباهلة: لعن كلّ منهما الآخر»^(١).

وقال ابن فارس: «بهل: أصول ثلاثة: أحدها التخلية، والثاني جنس من الدعاء، والثالث قلة في الماء. فأما الأول فيقولون بهلته إذا خلّيته وإرادته، ومن ذلك الناقة الباهل. وأما الآخر: فالابتهاال والتضرّع في الدعاء، والمباهلة يرجع إلى هذا، فإنّ المتباهلين يدعو كلّ واحد منهما على صاحبه»^(٢).

وقال جار الله الزمخشري: «بهله: لعنه، وعليه بهلة الله، وباهلت فلاناً مباهلة إذا دعوتما باللعن على الظالم منكما، وتباهلا وابتهالا: التعنا»^(٣).

وقال الجوهري: «البهل: اللعن. ويقال بهلته وأبهلته إذا خلّيته وإرادته. والمباهلة: الملاعنة. والابتهاال: التضرّع، ويقال في ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ﴾: أي نخلص في الدعاء»^(٤).

وقال الراغب الأصفهاني: «أصل البهل كون الشيء غير مراعى.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، ج ١، ص ٦٤.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج ١، ص ٣١٠ - ٣١١.

(٣) يُنظر: أساس البلاغة، للزمخشري، ج ١، ص ٨٥.

(٤) يُنظر: الصحاح، للجوهري، ج ٤، ص ١٦٤٢ - ١٦٤٣.

والباهل: البعير المخلّى عن قيده أو عن سمة أو المخلّى ضرعها عن صرار. والابتهال في الدعاء التضرّع والاسترسال فيه، ومن فسّر الابتهال باللعن: فلاجل أنّ الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن^(١).

ومما تقدم يظهر أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، أي نختار ترك التمايلات الشخصية والتوجّهات النفسانية، ونتوجّه إلى الله المتعال متضرّعين، ونطلب في تلك الحالة الخالصة الصافية اللعنة من الله على الكاذبين.

وإذا كانت المباهلة بمعنى طلب اللعنة من الله على الكاذبين، فكيف احتمل كاتب الشبهة وقوع المخاطر على المباهل بهم في جنب النبي ﷺ وهم أهل بيته عليه السلام، وبمجموعهم يمثلون جانب الصدق والحق (صلوات الله عليهم)، ثم إنّ مخاطر الموقف - كما هو معلوم - لا تحيط إلا بالكاذبين، وهم نصارى نجران؟! أ فهل يشكك الكاتب في صدق النبي ﷺ ودعوته؟!!

ثانياً: لا شك في صدق النبي ﷺ، كما لا شك في كذب النصارى.

لا إشكال ولا شبهة في أنّ نسبة تعرض النبي ﷺ للمخاطر المهلكة إثر مباهلتهم مع النصارى معدومة في المقام وغير متصورة البتة؛ لأنّ مَنْ دعاه إلى هذا الأمر هو الله عزّ ذكره، فهل يأتري يُريد إلحاق الضرر ببنيه؟! كلا وحاشا، ثم هل من شك في صدق دعواه ﷺ، حتى يُقال باحتمال نسبة وقوع المخاطر المهلكة؟!!

(١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ج ١، ص ١٢٢.

كيف؟ وصریح القرآن يشير إلى أنّ اللعنة ستقع على الكذابين، وأي دلالة أوضح من ذلك على صدقه ﷺ، وصدق أهل بيته عليه السلام، ومن هنا قلنا يلزم التصديق بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم)، ولا ينبغي منازعتهم في حقوقهم على الإطلاق، كالخلافة والإمامة، ولكن للأسف فالتأريخ يُطالعنا بالأحداث التي جرت على أهل بيت النبي (صلوات الله عليهم)، أصحاب الكساء والمفترض من الله على العباد طاعتهم ومودتهم، فبعد رحيله ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، أوّل ما فعلته الأمة أن كذّبت عليّاً عليه السلام، في دعواه الخلافة، فغُصبت منه، وتلاها كسرُ ضلع ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وإسقاط جنينها، وبعدها غُصبت خلافة الإمام الحسن عليه السلام وقتل مسموماً بدس من معاوية بن أبي سفيان، وأعظمها قتل الإمام الحسين عليه السلام وولده وأصحابه وسبي نسائه... فكيف يُنازعون في ذلك، ويُقتلون، وقد شهد لهم القرآن الكريم بالطهارة من الرجس والصدق في القول؟!!

ثالثاً: إخراج النبي ﷺ أهل بيته للمباهلة إرادة إلهية.

لو فرضنا - مع عدم التسليم، وفرض المحال ليس بمحال - أنه كانت هناك نسبة محتملة لوقوع الضرر والخطر على المباهل بهم، فهل يحق للنبي ﷺ أن يُعرّض أهله لذلك الضرر والخطر، ولا يحق له أن يُعرّض لذلك من الناس من ليس بأهله؟!.. أ فهل أهل الرجل ملكٌ له، فيُعطى حق التصرف بهم بالطريقة التي يُنزل بهم الضرر، ويُلحق بهم الخطر؟!!

فإن قيل: إن ذلك جائز للنبي ﷺ باعتبار كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فيُجاب: لو صحَّ لجاز ذلك له مطلقاً لا في خصوص أهله.

هذا مضافاً إلى أن اختيار هذه الصفوة الطاهرة - كما ذكرنا - كان بإرادة إلهية، وهذا يدلُّ وبوضوح جلي لا يلحقه شك، على أن لأهل البيت عليه السلام خاصية الشراكة مع النبي ﷺ في رسالته وأنهم امتداد لنبوته.

إذن، فكون الاختيار اختياراً ربانياً وقراراً إلهياً يقطع على المعارض طريق اعتراضه من أن إخراج علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام للمباهلة، ما هو إلا لعدم إمكان النبي ﷺ إخراج غيرهم من أبناء المسلمين أو نسائهم أو... وهذا الاعتراض مردود بما ذكرناه آنفاً من أن الاختيار كان قراراً ربانياً بدليل قوله سبحانه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ ومن قرأ الآية الشريفة بتدبر، وبعد عن التقليد الأعمى أدرك تماماً أن ذلك الذي بيناه هو الحق الذي لا يُمارى فيه إلا عنيدٌ جهول.

رابعاً: ما الذي يراد إثباته في المباهلة؟

ثم الذي يراد إثباته في المباهلة هو بشرية عيسى عليه السلام ونفي الألوهية عنه، وهذا أمر بحد ذاته يدل دلالة قاطعة على أن المباهل بهم لإثبات ذلك ليسوا فقط ذوي منزلة رفيعة ومكانة عظيمة وحسب، بل إنهم بلغوا أعلى مراتب الفضل والكرامة والسؤدد؛ لأن في حضورهم مع النبي ﷺ أعظم البراهين التي من شأنها التدليل على صدق النبي

في ما يدّعيه، لذا جوبه صلى الله عليه وآله بالامتناع من قبل النصارى لما رأوا مَنْ اصطحب معه من أهل بيته لمباهلتهم.

فإن قيل: إن نسبة وقوع الضرر ولحوق الخطر بالمباهل بهم إنما ذلك بنظر النصارى من باب إلزامهم لا إلزام المسلمين؛ إذ ليس من داع لإشراك غير أهل بيته (صلوات الله عليهم) في التباهل مع النصارى، وعليه، فلا دليل في دعوتهم إلى ذلك على أنهم شركاؤه في دعوته وأمناؤه على رسالته، وأنهم امتداد لنبوته صلى الله عليه وآله، بل غاية ما في الأمر هو إلزام غير المسلمين!

قلت: مَنْ أَمَعَن النظر في مفردات الآية الشريفة يعرف أنها جاءت بصيغ تتيح للنبي صلى الله عليه وآله، أن يأتي بغير علي وفاطمة والحسين عليهم السلام، أو يضم إليهم مَنْ سواهم من الأصحاب أو الأقارب أو النساء؛ حيث أن الأمر الوارد في الآية تضمن دعوة الأبناء والنساء والأنفس من دون تحديد مصاديق لهذه الصيغ، الأمر الذي يعطي النبي صلى الله عليه وآله فسحة المجال لدعوة كل من هؤلاء غير أهل بيته (صلوات الله عليهم)، أو يضم إليهم مَنْ سواهم، وغير هذا وذاك إن تعليم القرآن وبيانه للناس كان من الوظائف الرئيسة الملقاة على عاتق النبي صلى الله عليه وآله، كما صرح القرآن الكريم بذلك، قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فيكون صلى الله عليه وآله أعلم بمراد الله عز وجل من دون شك وريب في ذلك - كما لا يخفى على مسلم - فعلم أن مراده سبحانه من الأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، ومن النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن الأنفس علي عليه السلام، ومنه تعرف أن استدعاء النبي صلى الله عليه وآله لهم عليهم السلام في

المباهلة فيه إلزام النصارى وغيرهم بتصديق الرسالة وصدق المدعّوين، ثم لا يخفى عليك أنّ المباهلة إنّما كانت لأجل إثبات بشرية عيسى عليه السلام ونفي الألوهية عنه؛ لذا تُعدّ من أعظم المواقف التي شهدها الإسلام، بل إنّها الفيصل بين الحق والباطل والصادق والكاذب، فإثبات صدق ما يدّعيه النبي الخاتم صلّى الله عليه وآله بالتباهل مع النصارى إنّما يستلزم ذلك دعوة الصادقين لمباهلة الكاذبين، وهذا بحدّ ذاته يثبت للمدعّوين -عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - عظيم الشأن ورفيع المنزلة، بل يدل بوضوح لا غبار عليه مشاركتهم للنبي صلّى الله عليه وآله، في رسالته الخاتمة، ومنّ قال غير ذلك، قلنا له هات الدليل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وإذا لم يأت به فيكون ممن قد رد على رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله.





مقالة في رد شبهة أن مصطلح (آل البيت) دخیل على اللغة العربية

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد باتفاق أهل اللغة.
- الشرع طارئ على اللغة وناسخ لها والحمل على الناسخ المتأخر أولى.
- استعمال الآل في الأتباع ليس على وجه الحقيقة بل المجاز.

مقالة في رد شبهة أن مصطلح (آل البيت) دخيل على اللغة العربية

كل يوم تظهر على الساحة الإسلامية بعض الكتابات التي تمثل ذلك الاتجاه المناوئ لعقائد الشيعة الإمامية، وبين الحين والآخر يجترّ بعضهم الشبهات القديمة، وي طرحها بثوب جديد، ومن هذه الكتابات قول بعضهم:

«لا يوجد شيء اسمه (آل البيت) فهذا مصطلح دخيل على اللغة العربية، وهناك مصطلح (أهل البيت)، وهم الذين يسكنون البيت، أما (آل الرجل) فهم الأتباع، فأتباع فرعون عبّر عنهم في القرآن بلفظ (الآل)، والذين آمنوا مع نبي الله لوط عليه السلام عبّر عنهم بلفظ (الآل)، وآل سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم هم أتباعه، وليست حكرًا على سيدنا عليّ ولا على سيدنا الحسين وذريتهم». انتهى.

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

(الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد باتفاق أهل اللغة، ف (آل البيت) لفظ مركب من كلمتين (آل) و (البيت)، واتفقت كلمة أهل اللغة على أن (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد، بل إنَّ الآل مقلوب من الأهل؛ ولذلك

يصغر على أهيل؛ لأن النسبة والتصغير يردان الألفاظ على أصولها، والآل: أهل البيت. وقد تقرر عند علماء الأصول أن الشرع طارئ على اللغة وناسخ لها، والحمل على الناسخ المتأخر أولى؛ لأن النبي ﷺ بُعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية، والنبي ﷺ، قد بين وصرح في عدة مواطن أن أهل بيته هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

أما زعم أن: (آل الرجل هم الأتباع فأتباع فرعون عُبر عنهم في القرآن بلفظ الآل والذين آمنوا مع نبي الله لوط عليه السلام عُبر عنهم بلفظ الآل)، نجيب عنه: أن المراد بـ (آل فرعون) رَحْمُهُ وقربته؛ وليس استعمال الآل في الأتباع على وجه الحقيقة بل المجاز، فإن الرجل إذا قال: آل زياد، وآل مروان، وآل عباس، لا يفهم من هذا إلا أولادهم، لا رعاياهم وأصحابهم، ثم إن جميع آل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم إمّا أنبياء أو أوصياء، ولم يجرِ آل في أمة نبي قط، وعليه فال محمد ﷺ هم أصحاب الكساء، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا أتباعه ولا غيرهم.

الجواب التفصيلي:

والجواب عن هذه الشبهة على نحو التفصيل أن يقال:

أولاً: (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد باتفاق أهل اللغة.

آل البيت لفظ مركب من كلمتين (آل) و(البيت)، واتفقت كلمة أهل اللغة على أن (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد، بل إن الآل مقلوب من الأهل؛ ولذلك يصغر على أهيل؛ لأن النسبة والتصغير يردان الألفاظ على أصولها، قال ابن هلال العسكري في الفروق ناقلاً قول المبرد: «إذا صغرت العرب الآل قالت: أهيل، فيدل على أن أصل الآل الأهل»^(١)، وقال ابن منظور: «آل الرجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أوليائه، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة، فصارت في التقدير آل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمن وأزر... فلما كانوا يخصصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقال رجل مؤمن من آل فرعون»^(٢).

وقال الراغب في مفرداته: «الآل: مقلوب من الأهل، ويصغر على أهيل إلا أنه خص بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجل ولا آل زمان كذا،

(١) الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٨١.

(٢) لسان العرب: ج ١١، ص ٣٠، فصل الألف.

أو موضع كذا، ولا يقال: آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان. والأهل يضاف إلى الكل، يقال: أهل الله وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كذا»^(١).

وقال الفيومي في المصباح: «والآل أهل الشخص، وهم ذوو قرابته»^(٢)، وقال ابن فارس: «والآل: أهل البيت»^(٣).

ثانياً: الشرع طارئ على اللغة وناسخ لها والحمل على الناسخ المتأخر أولى.

إنّ هذا المركب اللفظي -أهل البيت- كما أنّ له معنى لغويّاً وحقيقة لغوية، فإنّ له معنى شرعيّاً وحقيقة شرعية، وثمة اختلاف بين الحقيقتين، ولا خلاف في تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي، قال الشوكاني: «لا إجمال في ما كان له مسمى لغوي ومسمى شرعي كالصوم والصلاة عند الجمهور، بل يجب الحمل على المعنى الشرعي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بُعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية، والشرع طارئ على اللغة وناسخ لها، فالحمل على الناسخ المتأخر أولى»^(٤).

قال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري": «وفي ذكر البيت معنى

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٩٨.

(٢) المصباح المنير: ج ١، ص ٢٩.

(٣) مجمل اللغة: ج ١، ض ١٠٩.

(٤) إرشاد الفحول، ج ٢، ص ٢٢.

آخر؛ لأنّ مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها (أي إلى خديجة)؛ لما ثبت في تفسير قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قالت أمّ سلمة: لما نزلت دعا النبي فاطمة وعلياً والحسن والحسين، فجلّلهم بكساء، فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، الحديث، أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأنّ الحسين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعليّ نشأ في بيت خديجة، وهو صغير، ثمّ تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبويّ إلى خديجة دون غيرها»^(١).

وقال فخر الدين الرازي: «وأنا أقول: آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل»^(٢).

وقال ابن قيّم الجوزيّة، في تفسيره: «قوله في عليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين: اللهم هؤلاء أهل بيتي، رواه مسلم، فإن هذا لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت، ولكنّ هؤلاء أحقّ من دخل في لفظ أهل بيته»^(٣).

وقال ابن النجار الحنبلي، في "شرح الكوكب المنير": «وأهل

(١) فتح الباري، ج ١١، ص ١٣٤.

(٢) تفسير الرازي: ج ٢٧، ص ٥٩٥.

(٣) تفسير ابن القيم: ج ٢، ص ٢٧٥.

البيت هم: عليٌّ وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم ونجلاهما، هما حسنٌ وحسينٌ رضي الله تعالى عنهم، لما في الترمذي (أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أدار النبي ﷺ الكساء، وقال: "هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً" (١).

وقال الصفدي، في "الوافي بالوفيات"، في ترجمته للإمام الحسين عليه السلام: «الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ريحانة رسول الله ﷺ وابن ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأحد سيدي شباب أهل الجنة هو وأخوه وأمه وأبوه أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» (٢).

وقال الذهبي في "تاريخ الإسلام": «وفي فاطمة وزوجها وبنيتها نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء، وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" (٣).

وقال جلال الدين السيوطي في "الإتقان في علوم القرآن": «﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قال صلى الله عليه - وآله - وسلم: هم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين» (٤).

(١) شرح الكوكب المنير: ج ١، ص ٣٩٩.

(٢) الوافي بالوفيات: ج ٤، ص ٢٦١.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي، ج ١، ص ٣٧٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٠٥.

ثالثًا: استعمال الآل في الأتباع ليس على وجه الحقيقة بل المجاز

أما قولك: (آل الرجل هم الأتباع، فأتباع فرعون عُبرَّ عنهم في القرآن بلفظ الآل، والذين آمنوا مع نبي الله لوط عليه السلام عُبرَّ عنهم بلفظ الآل)، فالمراد بـ (آل فرعون) رَحْمُهُ وقرابته؛ وليس استعمال الآل في الأتباع على وجه الحقيقة بل المجاز، فإنَّ الرجل إذا قال: آل زياد وآل مروان وآل عباس لا يفهم من هذا إلا أولادهم، لا رعاياهم وأصحابهم، قال ابن عطية في المحرر الوجيز، والزحيلي في الوسيط: «آل فِرْعَوْنَ: قرابته على عرف الآن، وخصصهم بالذكر؛ لأنهم عمدة القوم وكبرائهم»^(١).

وتأمل في هذه الآية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، فالآية وضحت أن الاصطفاء في آل إبراهيم وآل عمران هو في الذرية والرحم لا في الأتباع، فالمقابلة لا بد أن تكون بين آل محمد مع آل إبراهيم وآل عمران لا مع آل فرعون.

ثم إنَّ جميع آل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم إما أنبياء أو أوصياء، ولم يجرى آل في أمة نبي، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣). وآل لوط

(١) المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٢٢٠؛ التفسير الوسيط، ج ٣، وهبة الزحيلي، ص ٦٥١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) الحجر: ٥٩.

بناته، وقال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(١)، وآل داود سليمان، وآل إبراهيم هم إسماعيل وإسحاق. وآل عمران، موسى وهارون، وعليه فآل محمد ﷺ هم أصحاب الكساء، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا أتباعه ولا غيرهم.





مقالة في رد شبهة

أن آل البيت هم جميع قرابة النبي ﷺ

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- مصطلح (آل البيت) للأشرف الأخص دون الشائع الأعم.
- النبي ﷺ بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية.
- الشيعة يأخذون ما آتاهم الرسول ﷺ عملاً بكتاب الله عز وجل.
- عنوان (أهل البيت) في نظر أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

مقالة في رد شبهة أن آل البيت هم جميع قرابة النبي ﷺ

نشرت بعض المؤسسات الدينية المناوئة لعقائد الشيعة الإمامية على إحدى صفحاتها في مواقع التواصل الاجتماعي بضعة أسطر، جاء فيها: «عمد الشيعة الرافضة إلى إسقاط آل بيت عقيل وآل جعفر وآل عباس وآل حمزة من آل البيت النبوي وإظهار آل بيت علي وكأنهم هم آل بيت النبي فقط، وهذا خلاف واضح وفاضح؛ لأن الآل أهل الشخص، وهم ذوو قرابته». انتهى.

ولكي تعرف مدى ضعف هذه الشبهة عند التحليل والتدقيق، لا بدّ أن يكون لنا ردٌّ وتعليق لا هو بالطويل المسهب ولا بالقصير المخلّ، وأن ندرس الأمور الآتية بدقة، ونجيب عن ذلك بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

مصطلح (آل البيت) هو للأشرف الأخص دون الشائع الأعم، وهذا المركب اللفظي كما أنّ له معنى لغويًا وحقيقة لغوية، فإن له معنى شرعيًا وحقيقة شرعية، وثمة اختلاف بين الحقيقتين، ولا خلاف في تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي؛ لأنّ النبي ﷺ بُعث لبيان

الشرعيّات لا لبيان معاني الألفاظ اللغويّة؛ لذا فإن عنوان (أهل البيت) -متى ما أطلق- يُراد به عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولا يعمُّ أحدًا من عشيرة النبي ﷺ وأسرته إلا بقرينة، ومما يؤكد ذلك، ويزيده وضوحًا هو ما بَوَّب به أكابر علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وسُننهم، فقد ذكر كلُّ واحدٍ منهم بابًا ضمن مصنفه تحت عنوان: (باب فضائل أهل البيت)، وأورد فيه حصرًا ما جاء من فضائل في حقِّ عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، ولم نلاحظ لغيرهم ذكرًا معهم، والشيعّة إنما يأخذون ما آتاهم الرسول ﷺ عملاً بكتاب الله عزَّ وجل القائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(١)، وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن الرسول ﷺ هو من أخرج آل عقيل وآل جعفر وآل عباس وغيرهم، بتحديدده المراد من أهل بيته عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، حيث جلت عليّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بكساء له ﷺ وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، فدلَّ على أنه ليس هناك أحد غيرهم يشملهم وصف أهل البيت النبوي.

الجواب التفصيلي:

الأمر الأول: مصطلح (آل البيت) للأشرف الأخص دون الشائع الأعم.

آل البيت لفظ مركب من كلمتين (آل) و(البيت)، واتفقت كلمة أهل اللغة على أن (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد، بل إن الآل مقلوب من الأهل؛ ولذلك يصغر على أهيل؛ لأن النسبة والتصغير يردان الألفاظ إلى أصولها، قال ابن هلال العسكري في الفروق ناقلاً قول المبرد: «إذا صغرت العرب الآل قالت: أهيل، فيدل على أن أصل الآل الأهل»^(١)، وقال ابن منظور: «آل الرجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أوليائه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمن وآزر... فلما كانوا يخصصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقال رجل مؤمن من آل فرعون»^(٢).

وقال الراغب في مفرداته: «الآل: مقلوب من الأهل، ويصغر على أهيل إلا أنه خص بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجل ولا آل زمان كذا، أو موضع كذا، ولا يقال: آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان. والأهل يضاف إلى الكل، يقال: أهل الله

(١) الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٨١.

(٢) لسان العرب: ج ١١، ص ٣٠، فصل الألف.

وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كذا»^(١).

وقال الفيومي في المصباح: «والآل أهل الشخص، وهم ذوو قرابته»^(٢)، وقال ابن فارس: «والآل: أهل البيت»^(٣).

الأمر الثاني: النبي ﷺ بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية.

إنّ هذا المركب اللفظي -أهل البيت- كما أنّ له معنى لغويًا وحقيقة لغوية، فإنّ له معنى شرعيًا وحقيقة شرعية، وثمة اختلاف بين الحقيقتين، ولا خلاف في تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي، قال الشوكاني: «لا إجمال في ما كان له مسمى لغوي ومسمى شرعي كالصوم والصلاة عند الجمهور، بل يجب الحمل على المعنى الشرعي؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية، والشرع طارئ على اللغة وناسخ لها، فالحمل على الناسخ المتأخر أولى»^(٤).

قال ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري": «وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لأنّ مرجع أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم إليها (أي إلى خديجة)؛ لما ثبت في تفسير قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٩٨.

(٢) المصباح المنير: ج ١، ص ٢٩.

(٣) مجمل اللغة: ج ١، ص ١٠٩.

(٤) إرشاد الفحول ج ٢ ص ٢٢.

أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿١﴾، قالت أم سلمة: «لما نزلت دعا النبي فاطمة وعليًا والحسن والحسين، فجللهم بكساء، فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، الحديث أخرجه الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة، وهو صغير ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها»^(١).

الأمر الثالث: الشيعة يأخذون ما آتاهم الرسول ﷺ عملاً بكتاب الله عز وجل.

الشيعة إنما يأخذون ما آتاهم الرسول ﷺ عملاً بكتاب الله عز وجل القائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(٢)، وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن الرسول ﷺ هو من أخرج آل عقيل وآل جعفر وآل عباس وغيرهم، بتحديد المراد من أهل بيته عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، حيث جلت عليًا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بكساء له ﷺ، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، فدل على أنه ليس هناك أحد غيرهم يشمله وصف أهل البيت النبوي.

فقد روى أحمد في مسنده وغيره بأسانيد ثلاثة شهد الشيخ شعيب

(١) فتح الباري: ج ١١، ص ١٣٤.

(٢) الحشر: ٧.

الأرنؤوط بصحتها^(١)، أنه عند نزول هذه الآية المباركة جليل النبي ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين بكساء له، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي».

وقال ابن تيمية في "منهاج السنة": «وأما حديث الكساء فهو صحيح، رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة، ورواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة. قالت: "خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»^(٢)»^(٣).

وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «قد ورد بالدليل الصحيح أنها نزلت في علي وفاطمة والحسين»^(٤).

وقال أحمد بن محمد الشامي في "جناية الأكوع": «وقد أجمعت أمهات كتب السنة وجميع كتب الشيعة على أن المراد بأهل البيت في آية التطهير النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن؛ لأنهم الذين فسر بهم رسول الله ﷺ المراد بأهل البيت في الآية، وكل قول يخالف قول رسول الله ﷺ من بعيد أو قريب مضروب به عرض الحائط، وتفسير

(١) يُنظر: مسند أحمد: ج ٤٤، ص ١١٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) منهاج السنة، ج ٥، ص ١٣.

(٤) إرشاد الفحول: ج ١، ص ٢٢٢، ط ١.

الرسول ﷺ أولى من تفسير غيره؛ إذ لا أحد أعرف منه بمراد ربه»^(١).

والأهم من ذلك كله قول رسول الله ﷺ: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» التي أفادت الحصر بنحو واضح، ففي علم البلاغة أن تعريف الجزئين يفيد الحصر^(٢)، والجزآن هنا معرفة، الأول (هؤلاء) وهو اسم إشارة من المعارف، والثاني (أهل بيتي) مضاف ومضاف إليه، وهو من المعارف أيضاً، وهذا يعني أن هؤلاء هم أهل البيت المقصودون بآية التطهير، وليس غيرهم.

قال الآلوسي في تفسيره: «وأخبار إدخاله ﷺ علياً وفاطمة وبنيتها (رضي الله تعالى عنهم) تحت الكساء، وقوله (عليه الصلاة والسلام): «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ودعاؤه لهم، وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان. فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه»^(٣).

والأحاديث المتضمنة لهذا المعنى مستفيضة إن لم نقل متواترة، وهي أكثر من أن نحصيها.

(١) جناية الأكوع: ص ١٢٥.

(٢) يُنظر: الإتقان للسيوطي: ص ٥٨٣.

(٣) روح المعاني: ج ٢٢، ص ١٤.

الأمر الرابع: عنوان (أهل البيت) في نظر أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

ومما يؤكد ذلك، ويزيده وضوحاً هو ما بَوَّبَ به أكابر علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وسُنَنهم؛ إذ ذكر كلُّ واحدٍ منهم باباً ضمن مصنفه تحت عنوان: (باب فضائل أهل البيت)، وأورد فيه حصراً ما جاء من فضائل في حقِّ علي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام، ولم نلاحظ لغيرهم ذكراً معهم، وبيان ذلك:

١- صحيح مسلم: (باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم)^(١)، فمن أنعم النظر في هذا الباب، وأنعم التأمل لاح له الحق من أن المراد بأهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، بل الذي يؤكد ذلك أن مسلماً لم يأت على ذكر شيء في هذا الباب سوى رواية عائشة التي تؤكد سبب نزول آية التطهير في الخمسة أصحاب الكساء.

٢- جامع الأصول من أحاديث الرسول: (فضائل أهل البيت)^(٢)، وبمنظرة فاحصة في هذا الباب ستجد أن ابن الأثير لم يذكر فيه سوى فضائل الخمسة، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، دون من عداهم، وكل ما ذكره في المجلد التاسع تحت عنوان (فضائل أهل البيت) لم يتطرق فيه ولو في حديث واحد لذكر غير أصحاب الكساء تحت العنوان المذكور.

٣- السُّنَّة لابن أبي عاصم: من ضمن الأبواب التي بَوَّبَ بها كتابه باب

(١) صحيح مسلم: ج ٧، ص ١٣٠، ح ٦٤١٤.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ج ٩، ص ٦٧٠٠ - ٦٧٠٩.

(في فضائل أهل البيت)^(١)، وقد ذكر فيه عدة أحاديث لم يرد فيها ذكرٌ لغير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٤- المستدرك على الصحيحين: قال: (ومن مناقب أهل رسول الله)^(٢)، فذكر سبعة عشر حديثاً في خصوص عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولم يرد تحت هذا العنوان ذكرٌ لسواهم.

٥- سنن البيهقي: ذكر عدة أبوابٍ منها (باب بيان أهل بيته الذين هم آلُه)^(٣)، وجاء فيه حديثان، حديث الثقلين وحديث الكساء، ولم يرد فيهما ذكر لغير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٦- سنن الترمذي: أيضاً ذكر عدة أبوابٍ، وأفرد باباً في مناقب أهل البيت، ولفظه (باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم)^(٤). وأورد في هذا الباب ثلاثة أحاديث لم يذكر فيها غير أصحاب الكساء عليهم السلام.

٧- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: ذكر مصنفه عدة أبوابٍ، وأدرج في ضمنها باباً عنونه (باب ما جاء في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٥)، أورد فيه المصنف عدة أحاديث في خصوص الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام، ولم يرد تحت هذا العنوان حديثٌ واحدٌ يذكر آل عقيل أو آل جعفر أو آل عباس أو غيرهم.

(١) السنّة، ابن أبي عاصم، ج ٤، ص ٧٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٥٨.

(٣) سنن البيهقي، ج ٢، ٦٣، ح ٢٩٧٢.

(٤) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٦٢، ح ٣٧٨٦؛ وص ٦٦٣، ح ٣٧٨٧؛ وص ٦٦٤، ح ٣٧٨٩.

(٥) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج ٧، ص ٨٧.

٨- شرح السنّة للَبَغَوِيّ: ومن ضمن ما بَوّب به كتابه (باب مناقب أهل الرسول)^(١)، ذكر فيه معنى مفردة الرّجس بعد ذكره لآية التطهير دون سواها، ثمّ أردفها بحديث عائشة أنّ آية التطهير نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ قال: هذا حديثٌ صحيحٌ، أخرجه مسلم... وذكر حديثَ أمّ سلمة أيضًا في نزول آية التطهير في الخمسة عليهم السلام، وذكر حديثَ الثّقَلَيْنِ المتواتر، ولم يرد ذكرُ أحدٍ في الباب غير هؤلاء الخمسة عليهم السلام تحت عنوان أهل البيت.

٩- غاية المقصد في زوائد المُسند للهيثميّ، قال تحت عنوان: (مناقب أهل البيت)^(٢)، وذكر فيه عدّة أحاديث، ولم نر أنّ الهيثميّ ذكر آل جعفر وآل عقيل وآل عباس ولا حتى زوجات النبي صلّى الله عليه وآله في مناقب أهل البيت عليهم السلام.
١٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر: (باب فضل أهل البيت)^(٣)، وقد جاء فيه عدّة أحاديث، لا تخرج عن الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام.

فعلم من جميع ما تقدم أن عنوان (أهل البيت) -متى ما أطلق- يراد به عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولا يعم أحدًا من عشيرة النبي صلّى الله عليه وآله وأسرتهم إلا بقريّة؛ لذا لا نجد علماءهم -على ما قدمناه وبيناه آنفًا- قد ذكروا سواهم أو أشركوا معهم غيرهم في هذا العنوان.



(١) شرح السنّة للَبَغَوِيّ، ج ١٤، ص ١١٥، و ص ١١٧، و ص ١١٩.

(٢) غاية المقصد في زوائد المُسند، ج ٣، ص ٣٨١، و ص ٣٨٢.

(٣) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ج ١٦، ص ٢١٥، ح ٣٩٧٢. و ص ٢٢٠، ح ٣٩٧٣.



مقالة في رد شبهة المماثلة بين آية التطهير وآية ١١ من سورة الأنفال

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الاستدلال بمجموع مفردات آية التطهير على عصمة أئمة أهل البيت عليه السلام.
- المراد بالتطهير من الرجز في الآية ١١ من سورة الأنفال.

مقالة في رد شبهة المماثلة بين آية التطهير وآية ١١ من سورة الأنفال

كتب بعضهم مدّعيًا المماثلة بين آية التطهير وآية أخرى كالآية ١١ من سورة الأنفال، محاولًا جهد الإمكان نفي العصمة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين نزلت في حقهم آية التطهير، معتقدًا أن بعض المفردات في الآية ١١ من سورة الأنفال -التطهير والرجس- مماثلة لما ورد في مفردات آية التطهير، وقاس هذه بتلك، وخرج بنتيجة مفادها أن لو كانت آية التطهير تدل على عصمة أصحاب الكساء فمن باب أولى عصمة الذين نزلت بحقهم الآية المماثلة، وختم كلامه بتوجيه دعوة إلى الشيعة للتعقل والتفكر، ولا بأس بنقل نص ما كتبه:

«الآية (٣٣): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. انظروا معي يا شيعة: الله أذهب عن أهل البيت الرجس، وطهرهم.

ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾.

انظروا معي يا شيعة: الله تعالى في هذه الآية: أنزل ماء من السماء،

وطهرهم، وأذهب عنهم رجس الشيطان، وربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم.. فَمَنْ الأولى بالعصمة؟ فكروا بعقولكم يا شيعة ثم أجيئوا».

نقول: إنّ هذه الشبهة متساقطة، لا تصمد للنقد، ولا تنطلي على فرد، وهي مردودة، ونجيب عنها بجوابين إجمالي وتفصيلي، وكالآتي:

الجواب الإجمالي:

أن استدلال الشيعة الإمامية على عصمة وطهارة أصحاب الكساء من الرجس في آية التطهير إنّما هو بمجموع الآية الكريمة، وليس بخصوص مفردة أو مفردتين منها، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، أي إنّما يريد الله بالإرادة التكوينية الحتمية أن يذهب عنكم الذنوب أهل البيت، ويطهركم منها تطهيراً، وتأکید دلالة الفعل ﴿يُطَهِّرْكُمْ﴾ بالمفعول المطلق ﴿تَطْهِيرًا﴾ فيه دلالة على أنهم عليهم السلام، قد نالوا أعلى مراتب التطهير وأكملها، وهذا هو مقام العصمة، والمراد من لفظ الرجس في الآية الشريفة هو الأمور المعنوية دون المادية، أو الأعم منهما؛ لأنّه لا معنى لحصر الإرادة الإلهية بإذهاب الرجس عن المخاطبين على أنّه القذارة الظاهرية، فهو من تحصيل الحاصل؛ إذ المخاطبون وغيرهم مأمورون بإزالة القذارة الظاهرية.

وأما قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، فليس في هذه الآية الكريمة إخبار عن طهارة أحد على نحو

مطلق ومن جميع أفراد الرجس، سوى الإخبار بأن الله سبحانه أنزل عليهم ماء من السماء ليطهرهم به، والماء لا يطهر الإنسان إلا من الحدث والخبث، أما الأرجاس المعنوية فلا يتم تطهيرها بالماء، فالطهارة المذكورة في هذه الآية طهارة مائية، بينما المذكورة في آية التطهير الطهارة المعنوية، هذا مضافاً إلى الفرق الواضح بين كلمتي الرجز والرجس.

الجواب التفصيلي:

ونجيب عن هذه الشبهة بنوع من التفصيل، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: الاستدلال بمجموع مفردات آية التطهير على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إن استدلال الشيعة الإمامية على عصمة وطهارة أصحاب الكساء من الرجس في آية التطهير إنما هو بمجموع الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وليس بخصوص مفردة أو مفردتين منها، وبيان ذلك:

من الثابت والمسلم به بين الفريقين نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) في الرسول الأكرم وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم) خاصة، وخروج بقية بني هاشم وأقرباء النبي صلوات الله وسلامه عليهم وزوجاته من مراد الآية.

(١) الأحزاب: ٣٣.

قال فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب: «وأنا أقول: آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلُّ من كان أمرهم إليه أشدَّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليًّا والحسن والحسين كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ التعلُّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل»^(١).

هذا، وقد نص على نزولها فيهم (صلوات الله وسلامه عليهم) ستون عالمًا من علماء أهل السنة في مصادرهم^(٢).

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أي إنما يريد الله بالإرادة التكوينية الحتمية أن يذهب -والإذهاب هنا دفعي لا رفعي- عنكم الذنوب أهل البيت، ويطهركم منها تطهيرًا، وتأکید دلالة الفعل ﴿يُطَهِّرْكُمْ﴾ بالمفعول المطلق ﴿تَطْهِيرًا﴾ فيه دلالة على أنهم عليهم السلام، قد نالوا أعلى مراتب التطهير وأكملها، قال ابن حجر في الصواعق: «حكمة ختم الآية بـ ﴿تَطْهِيرًا﴾ المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنويه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاز المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف، ثم أكد ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر ما مرَّ وبإدخاله نفسه معهم في العدِّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى عليٍّ قدرهم»^(٣).

(١) مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ٤٣٢.

(٢) انظر: موسوعة الإمام الحسن (ع) في القرآن الكريم ج ٢ ص ١٦٦ - ١٧٦.

(٣) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٢٧.

فقوله تعالى: ﴿تَطْهِّرًا﴾، إنما هو للإشارة إلى كون تطهيره إياهم نوعاً مميزاً ليس مما يعهد الخلق مثله، ولا مما يحيطون به دركاً، وهذا هو مقام العصمة.

ومعنى (الرجس) في ما نحن فيه واضح الدلالة، وحسبي أن أسوق بعض أقوال علماء أهل السنة دون شرح أو تعليق، فهي كافية في إيضاح المراد، وإليك هذه النماذج من أقوالهم:

قال الإيجي في "جامع البيان": «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: خبائث القلب، أو ما ليس لله فيه رضا»^(١).

وقال ابن حجر في "الصواعق المحرقة": «الرجس الذي هو الإثم أو الشك في ما يجب الإيمان به عنه وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة»^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني في "تفسيره": «قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ومعلوم أنه تعالى لم يرد تطهيراً عن نجاسة في ثوب وبدن، وإنما أراد تطهير النفس الذي يستحق به المدح والخلود والبقاء الدائم»^(٣).

وقال الثعالبي في "تفسيره"، ومثله ابن عطية في "تفسيره": «الرجس اسم يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله

(١) جامع البيان، ج ٣، ص ٣٥١.

(٢) الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، ص ١٢٧.

ذلك عن أهل البيت»^(١).

وجاء في "تفسير الجلالين": «أن معنى الرجس الإثم»^(٢)، وفي "تفسير البيضاوي": «معنى الرجس المعاصي»^(٣).

إذن، فالمراد من لفظ الرجس في الآية الشريفة هو الأمور المعنوية دون المادية الظاهرية، أو الأعم منهما؛ لأنه لا معنى لحصر الإرادة الإلهية بإذهاب الرجس عن المخاطبين على أنه القذارة الظاهرية المحسوسة، فهو من تحصيل الحاصل؛ إذ المخاطبون وغيرهم مأمورون بإزالة القذارة الظاهرية، فثبت أن المراد من مفردة الرجس في الآية الشريفة ما هو أعم من القذارة المادية والمعنوية، ومعلوم أن الماء لا يطهر الإنسان إلا من الحدث والخبث، أما الأرجاس المعنوية فلا يتم تطهيرها عن طريق الماء، فافهم.

الوجه الثاني: المراد بالتطهير من الرجز في الآية ١١ من سورة الأنفال.

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٤)، فليس في هذه الآية الكريمة إخبار عن طهارة أحد على نحو مطلق ومن جميع أفراد الرجس، سوى الإخبار

(١) تفسير الثعالبي، ج ٤، ص ٣٤٦؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٤، ص ٣٨٤.

(٢) تفسير الجلالين، ص ٥٥٧.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤، ص ٣٧١.

(٤) الأنفال: ١١.

بأن الله سبحانه أنزل عليهم ماء من السماء ليطهرهم به، والماء - كما هو معلوم بالضرورة - لا يطهر الإنسان إلا من الحدث والخبث، أما الأرجاس المعنوية فلا يتم تطهيرها عن طريق الماء.

فما زعمه في كلامه من وقوع التطهير لغير أصحاب الكساء بالاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ هو من القصور في فهم الآيات الكريمة، فالطهارة المذكورة في هذه الآية هي الطهارة المائية، بينما المذكور في آية التطهير هو الطهارة المعنوية كما بيناه في الوجه الأول.

والحاصل أن الآية نزلت في غزاة بدر، كما ذكر ذلك البغوي وغيره: «أن المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب أعفر، تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر، وأصبح المسلمون بعضهم محدثين، وبعضهم مجنّبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس إليهم الشيطان، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله، وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تُصلّون محدثين ومجنّبين، فكيف ترجون أن تظهروا عليهم؟ فأرسل الله عز وجل عليهم مطراً، سال منه الوادي، فشرب المسلمون، واغتسلوا، وتوضؤوا، وسقوا الركاب، وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار ولبد الأرض، حتى ثبتت عليها الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة، ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، ووسوسته، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾،

باليقين والصبر، ﴿وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾، حتى لا تسوخ في الرمل بتليد الأرض»^(١).

وقال ابن عاشور في "تفسيره": «و(الرجز) القَذَر، والمراد الوسخ الحِسِّي وهو النَجَس، والمعنوي المعبر عنه في كتب الفقه بالحَدَث. والمراد الجنابة، وذلك هو الذي يعم الجيش كله؛ فلذلك قال: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾، وإضافته إلى الشيطان؛ لأن غالب الجيش لما ناموا احتلموا، فأصبحوا على جنابة، وذلك قد يكون خواطر الشيطان يخيلها للنائم ليفسد عليه طهارته بدون اختيار طمعاً في ثاقله عن الاغتسال حتى يخرج وقت صلاة الصبح؛ ولأن فقدان الماء يلجئهم إلى البقاء في تنجس الثياب والأجساد، والنجاسة تلائم طبع الشيطان. وتقدير المجرور في قوله: ﴿عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ للرعاية على الفاصلة، لأنها بنيت على مد وحرف بعده في هذه الآيات، والتي بعدها مع ما فيه من الاهتمام بهم. وقوله: ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي يؤمنكم بكونكم واثقين بوجود الماء، لا تخافون عطشاً، وثبتت الأقدام هو التمكن من السير في الرمل، بأن لا تسوخ في ذلك الدهس الأرجل، لأن هذا المعنى هو المناسب حصوله بالمطر»^(٢).



(١) تفسير البغوي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) التحرير والتنوير: ج ٦، ص ٩٢؛ ويُنظر: تفسير الرازي: ج ٧، ص ٣٧٥.



مقالة في رد شبهة

نزل آية التطهير في خصوص نساء النبي ﷺ

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- لا دليل على اختصاص آية التطهير في نساء النبي ﷺ.
- لا يصح التمسك بالسياق مع وجود النص على خلافه.
- آية التطهير آية مستقلة لا جزء آية.

مقالة في رد شبهة نزول آية التطهير في خصوص نساء النبي ﷺ

زعم بعضهم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ جزء من آية وردت في سياق سبع آيات كلها في نساء النبي ﷺ، فكتب يقول: «آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً» فالذي يراعي سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ خاصة، بل من يدقق في الآيات سيجد بنفسه أن قوله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ آية واحدة والخطاب فيها - كما هو واضح - موجه لنساء النبي، ومن جهل علماء الشيعة أن يطلقوا لفظ آية على جزء آية، فكيف يُقتطع جزء من آية تخاطب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، والآية ضمن آيات تخاطبهن، ويزعم أنها لا تخاطبهن».

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - أنَّ اختلاف الضمائر في الآية تذكيراً وتأنيثاً يستشف منه أنَّ المخاطَب بضمير الجمع المذكَّر غير المخاطَب بضمير الجمع المؤنَّث، بمعنى أنَّ الخطاب بالقرار في البيوت والأمر بعدم التبرُّج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله كان خطاباً موجَّهاً إلى نساء النبي ﷺ، وأما ما عداه، وهو إرادة التطهير وإذهاب الرجس فقد جاء لبيان منزلة مَنْ هُمْ غير نساء النبي ﷺ، تشریفاً لهم وترفيحاً لمقامهم.

٢ - أنَّ من الخطأ العلمي أن يُصار إلى دليل السياق مع وجود نصوص صريحة وصحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، حددت المراد من مفردة (أهل البيت) في الآية، وخصصته بأصحاب الكساء، قال الطبري في تفسيره: «فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلاَّ بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد»^(١)، إذن فدلالة النصوص النبوية مقدمة على دلالة السياق في فهم كتاب الله تعالى، وقد دلت الأحاديث الصحيحة المعتمدة المتفق عليها بين المسلمين أن الآية نزلت في خصوص أصحاب الكساء.

(١) جامع البيان، ج٧، ص ٦٧٤.

٣ - آية التطهير آية مستقلة لا جزء آية، وهو ما عبرت عنه معظم الروايات والأحاديث المبينة لسبب نزول الآية.

الجواب التفصيلي:

ويجاب على هذه الشبهة تفصيلا من ثلاثة وجوه:

أولاً: لا دليل على اختصاص آية التطهير في نساء النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ بداية درج الخطاب في الآيات بضمير جمع المؤنث، وتحول بعد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ إلى الخطاب بضمير جمع المذكور، ثم عاد الخطاب كما كان في صدر الآيات بضمير جمع المؤنث، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾، فاختلف الضمائر هذا، تذكيراً وتأنيثاً يستشف منه أن المخاطب بضمير الجمع المذكور غير المخاطب بضمير الجمع المؤنث، بمعنى أن الخطاب بالقرار في البيوت والأمر بعدم التبرُّج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله كان خطاباً موجَّهاً إلى نساء النبي ﷺ، وأما ما عداه وهو إرادة التطهير وإذهاب الرجس فقد جاء لبيان منزلة من هم غير نساء النبي ﷺ، تشريفاً لهم وترفيحاً لمقامهم.

وهناك أدلة تشير إلى نزول آية التطهير قبل آيات نساء النبي ﷺ،

حيث ذكر السيوطي في "الدر المنثور" ما نصّه: «أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري، قال: لما دخل عليّ رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها، جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعين صباحاً إلى بابها يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، أنا حربٌ لمن حاربتم، أنا سلمٌ لمن سالمتم»^(١).

وعند الرجوع إلى كتب التاريخ نجد أن زواج عليّ عليه السلام، من فاطمة الزهراء عليها السلام، كان بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، المدينة، وأنه عليه السلام، بنى بها بعد رجوعه من غزوة بدرٍ في السنة الثانية للهجرة^(٢)، أو على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة^(٣)، وعند رصد نزول الآيات المرتبطة بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نجد أنها نزلت بعد زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بمجموعة منهنّ، وقد أشار السيوطي في "الدر المنثور" إلى أنّهنّ كنّ تسعة نساء عند نزول الآيات، وكانت حفصة من جملة النساء اللاتي خيرهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بين الدنيا والآخرة^(٤)، وقد صرح أرباب التاريخ وأساطينه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تزوّج حفصة في السنة الثالثة من الهجرة، وذلك قبل غزوة أحد^(٥)، وهذا يعني أنّ تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من حفصة متأخراً بما يقارب سنة واحدة أو يزيد عن زواج الزهراء عليها السلام، ومن رصد الأمرين

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج ٦، ص ٦٠٦.

(٢) يُنظر: مقاتل الطالبين، ص ٥٩.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٤) الدر المنثور، ج ٦، ص ٥٩٧.

(٥) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٩٩.

معاً - تاريخ زواج الإمام عليٍّ عليه السلام، من الزهراء عليها السلام، وتاريخ زواج النبي ﷺ، من حفصة - يتضح بطلان دعوى دلالة السياق وأن آية التطهير نزلت مستقلة عن الآيات المرتبطة بنساء النبي ﷺ.

ثانياً: لا يصح التمسك بالسياق مع وجود النص على خلافه.

من الخطأ العلمي أن يُصار إلى دليل السياق مع وجود نصوص صريحة وصحيحة ثابتة عن النبي ﷺ، حددت المراد من مفردة (أهل البيت) في الآية، وخصصته بأصحاب الكساء، قال الطبري في تفسيره: «فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها، من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد»^(١)، إذن فدلالة النصوص النبوية مقدمة على دلالة السياق في فهم كتاب الله تعالى، وفي ما يأتي نستعرض بعض أقوال علماء أهل السنة الذين تمسكوا بدلالة النص، وغضوا الطرف عن دلالة السياق:

١ - قال الطحاوي في "شرح مُشكِل الآثار": «فإن قال قائل: فإن كتاب الله يدلُّ على أن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - هم المقصودون بتلك الآية؛ لأنَّه قال قبلها في السورة... فكان جوابنا له: أن الذي تلاه إلى آخر ما قبل قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية، ثم أعقب ذلك بخطابه لأهله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ الآية، فجاء على خطاب الرجال؛ لأنَّه قال فيه:

﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ وهكذا خطاب الرجال، وما قبله فجاء به بالنون، وكذلك خطاب النساء فعلقنا أن قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ الآية، خطاب لمن أراد من الرجال بذلك ليُعلم تشریفه لهم ورفعته لمقدارهم أن جعل نساءهم من قد وصفه لما وصفه به مما في الآيات المتلوات قبل الذي خاطبهم به تعالى...» ثم ذكر حديث أنسٍ عن رسول الله ﷺ دليلاً على ما أفاده، فقال: «حدثنا ابن مرزوق، حدثنا روح بن عباد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنسٍ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية»، واستدل أيضاً بحديث أبي الحمراء، قال: «صحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسعة أشهر كان إذا أصبح أتى باب فاطمة عليها السلام، فقال: السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية»، ثم قال: «وفي هذا أيضاً دليل على أهل هذه من هم»^(١)، أي: دليل على أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٢- قال نجم الدين الطوفي في "شرح مختصر الروضة": «أما دلالة السياق على أنهم مرادات من الآية، فإنها وإن كان فيها بعض التمسك؛ لكن ذلك مع النصوص التي ذكرناها، على أن أهل البيت خاص بهؤلاء - أي علي وفاطمة والحسن والحسين - فلا يفيد»^(٢)، أي لا يفيد التمسك بدلالة السياق.

(١) شرح مشكل الآثار ٢: ٢٤٨.

(٢) شرح مختصر الروضة، للطوفي، ج ٣، ص ١١٠.

٣ - قال ابن حجر العسقلاني في الفتح ما نصّه: «وفي ذكر البيت معنى آخر؛ لأنّ مرجع أهل بيت النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - إليها؛ لما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت أمّ سلمة: لما نزلت دعا النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - فاطمة وعليّ والحسن والحسين فجلّلهم بكساء، فقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)، الحديث أخرجه الترمذي وغيره، و مرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأنّ الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعليّ نشأ في بيت خديجة، وهو صغير، ثم تزوّج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبويّ إلى خديجة دون غيرها»^(١).

وكما ترى فابن حجر لم يتمسك بدلالة السياق، وصرّح بوضوح أنّ المراد من أهل البيت هم هؤلاء الأربعة: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأرجعهم إلى خديجة رضوان الله تعالى عليها.

٤ - وقال الحافظ أبو العباس القرطبي: «وقراءة النبيّ - صلى الله عليه وسلّم -، هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؛ دليل على: أنّ أهل البيت المعيّنين في الآية: هم المغطّون بذلك المرط في ذلك الوقت»^(٢).

٥ - وقال المناوي في الفيض: «إني تارك فيكم» بعد وفاتي "خليفتي" زاد في رواية أحدهما أكبر من الآخر، وفي رواية بدّل خليفتي ثقلين أسماهما به لعظم شأنهما "كتاب الله" القرآن "حبل" أي هو

(١) فتح الباري، ج ٧، ص ١٣٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج ٦، ص ٣٠٢.

حبلٌ "ممدودٌ ما بين السماء والأرض" قيل أراد به عهده، وقيل السبب الموصل إلى رضاه "وعترتي" بمثناة فوقية "أهل بيتي" تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً^(١).

٦ - وقال الآلوسي: «وأخبار إدخاله - صلى الله عليه وسلم - علياً وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء، وقوله عليه الصلاة والسلام: اللهم هؤلاء أهل بيتي، ودعاؤه لهم، وعدم إدخاله أم سلمة أكثر من أن تُحصى، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت، فالمراد بهم من شملهم الكساء، ولا يدخل فيهم أزواجه صلى الله عليه وسلم»^(٢).

٧ - وقال أبو المحاسن الحنفي في المعتصر: «والكلام لخطاب أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - تم إلى قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، استئنافٌ تشریفاً لأهل البيت وترفيحاً لمقدارهم، ألا ترى أنه جاء على خطاب المذكر، فقال ﴿عَنْكُمُ﴾ ولم يقل عنكن! فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية. يدل عليه ما روي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أصبح أتى باب فاطمة، فقال: «السلام عليكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»^(٣).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٣، ص ١٤.

(٢) تفسير روح المعاني، ج ١١، ص ١٩٥.

(٣) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ج ٢، ص ٢٦٧.

ثالثًا: آية التطهير آية مستقلة لا جزء آية

جاء على لسان معظم الروايات والأحاديث المبينة لسبب نزول آية التطهير هذا التعبير: (نزلت الآية..) نستعرض بعضًا منها:

١- عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ، قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة...»، وصرح الألباني بصحته^(١).

٢- عن أم سلمة رضوان الله عليها أنها قالت: «في بيتي نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾...»^(٢).

٣- عن أم سلمة رضوان الله عليها، قالت: «... فاجتمعوا على تلك البرمة يأكلون منها، فنزلت الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾...»^(٣).

٤- قال أبو سعيد الخدري: «قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم»^(٤)، وغيرها كثير من الروايات التي جاءت بطرق متعددة صرّحت بالنص أنها آية وهذا خلاف ما يدّعيه كاتب الشبهة ومن أسس أساسها.

(١) صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج ٧، ص ٢٠٥.

(٢) مستدرک الحاكم، ج ٢، ص ٤٥١، ح ٣٥٥٨. قال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

(٣) الشريعة، للأجري، ج ٥، ص ٢٢٠٩، ح ١٦٩٧.

(٤) المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٠٨.



مقالة في رد شبهة

تفضيل عائشة على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام

وأما السيدة خديجة عليها السلام

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الحديث من وجهة نظر كبار علماء أهل السنة.
- علماء أهل السنة يدينون الله بأفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين مطلقاً.
- خديجة أفضل من عائشة بل أفضل نساء الأمة.

مقالة في رد شبهة تفضيل عائشة على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأما السيدة خديجة عليها السلام

كتب بعضهم في صفحته الشخصية على موقع «فيسبوك» مُبدِّيًا امتعاضه من حديث صحيح، ورد فيه ذكر سيدات نساء أهل الجنة: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة، ولم يرد ذكر لعائشة معهن، فحاول جاهدًا الاستدلال على فضلها وعلو مقامها على جميع النساء بما فيهن السيدة الزهراء، وأما السيدة خديجة عليها السلام، لينال بذلك إعجاب متابعيه، فكتب يقول:

«لا يوجد مسلم على سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يجهل فضل أمنا عائشة رضي الله عنها، إنَّ فضلها على نساء العالمين عظيم، قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة النبوية" (٤ / ٣٠١): «قد ذهب إلى ذلك -أي إلى عظم فضلها على نساء العالمين- كثير من أهل السنة، واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى وعن أنس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وهذا جواب من يقول: أنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تذكر مع سيدات أهل الجنة ولا أنها في الجنة، كما يردد الشيعة الروافض ذلك دائمًا، ويستدلون بهذا الحديث: سيدات نساء

أهل الجنة أربع: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة». انتهى.

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

تعرض غير واحد من حفاظ أهل السنة وكبار أئمتهم لنقد هذا الحديث -فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام- وصرحوا بعدم دلالة على أفضلية عائشة على السيدة الزهراء وأمها السيدة خديجة عليها السلام، فابن حجر العسقلاني لا يرى في هذا الحديث تصريح بأفضلية عائشة على غيرها، وأكد أن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة، ويرى أن الزهراء عليها السلام مقدمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن مطلقاً، ويرى العلامة الألوسي أن الاستدلال بهذا الحديث ليس بنص على أفضلية الحميراء على الزهراء عليها السلام، وأكد أنه يميل إلى أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبيناً أن البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود وأنها لا تُقابل بشيء، واستبعد ذلك جداً بقوله: أين الثريا من يد المتناول؟ وأما القاضي عياض فينفي وجود النص في الحديث بتفضيل عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام، بل ليس فيه ما يشعر بذلك، وفضلاً عن ذلك فقد صرح هؤلاء العلماء وغيرهم بأنهم يدينون الله بأفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين مطلقاً.

وأما السيدة خديجة فهي -أيضاً- أفضل من عائشة على الصحيح، بل هو الصواب، وقد أكد ذلك السبكي بقوله: «الذي نختاره وندين الله به: أن فاطمة أفضل نساء هذه الأمة ثم خديجة»، وتبعه جملة من المحققين.

الجواب التفصيلي:

وقبل الإجابة عن هذه الشبهة بنحو التفصيل، يجب أن نعرف أن هذا الحديث الذي ذكره الكاتب حديث صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل في "فضائل الصحابة" ^(١)، والحاكم في "المستدرک" ^(٢)، من حديث عائشة أنها قالت لفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «ألا أبشرك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخديجة بنت خويلد، وآسية". وصححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة"، فقال: "أخرجه الحاكم" ^(٣)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وهو كما قال ^(٤).

وحسبك من هذا الحديث أن تعرف أن عائشة هي بنفسها من بشرت فاطمة الزهراء عليها السلام بسيادتها وسيادة أمها على نساء أهل الجنة.

(١) فضائل الصحابة: ج ٢، ص ٧٦٠.

(٢) المستدرک: ج ٣، ص ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٨٥.

(٤) السلسلة الصحيحة، ج ٣، ص ٤١١، ح ١٤٢٥.

وأما عن استدلال الكاتب بالحديث الذي نقله ابن تيمية في منهاجه من قول رسول الله ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فيُجاب عنه من وجوه:

أولاً: الحديث من وجهة نظر كبار علماء أهل السنة.

تعرض غير واحد من حفاظ أهل السنة وكبار أئمتهم لنقد هذا الحديث والتصريح بعدم دلالة على أفضلية عائشة على السيدة الزهراء وأمها السيدة خديجة عليها السلام، نشير في هذه العجالة إلى بعض منهم:

١ - الحافظ ابن حجر العسقلاني في "الفتح"، قال: «وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها؛ لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة، وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة؛ فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى»^(١)، فالحديث إذاً دالٌّ على أفضلية عائشة رضي الله عنها على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهن لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة رضي الله عنها.

٢ - العلامة الألوسي في تفسيره روح المعاني، قال: «وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال وأنه ليس بنص على أفضلية الحميراء على الزهراء، أما أولاً فلأن قصارى ما في الحديث الأول - على تقدير ثبوته - إثبات أنها عالمة إلى

(١) فتح الباري، ج ٦، ص ٤٤٧.

حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أنها لا تبقى بعده زمنًا معتدًا به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربما قال: خذوا كل دينكم عن الزهراء، وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته وإلا لكانت عائشة أفضل من أبيها رضي الله تعالى عنه؛ لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل»^(١).

٣- القاضي عياض في "شرح صحيح مسلم"، قال: «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» لسرعة إساغته والاستلذاذ به وإشباعه، وتقديمه على غيره من الأئمة التي لا تقوم مقامه، وليس في هذا نص بتفضيلها على من ذكر من مريم وآسية، ويحتمل أن المراد نساء وقتها أو مثلها، وليس فيه ما يشعر بتفضيلها على فاطمة، إذ قد يكون تمثيل تفضيل فاطمة لو مثلها بما هو أرفع من هذا، وبالجملة بين هذا الحديث أن عائشة مفضلة على النساء تفضيلًا كثيرًا، وليس فيه عموم جميع النساء، وقوله في فاطمة: "سيدة نساء أهل الجنة" أعم وأظهر في التفضيل، والله أعلم»^(٢).

٤- أبو العباس شهاب الدين القسطلاني في "إرشاد الساري"، قال: «وهذا الحديث قد سبق بمباحثه في أحاديث الأنبياء وما ذكر من فضل عائشة وغيرها، والذي يظهر تفضيل فاطمة؛ لأنها بضعة منه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) روح المعاني، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج ٧، ص ٤٤١.

وَسَلَّمَ - ولا يعدل بضعته أحد»^(١).

٥ - زين الدين المناوي في "شرح الجامع الصغير"، قال: «لَا تَضْرِيح فِيهِ بِأَفْضَلِيَةِ عَائِشَةَ عَلَى غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ فَضْلَ الثَّرِيدِ عَلَى غَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ لِسُهُوْلَةِ مَسَاغِهِ وَتَيْسَرِ تَنَاوُلِهِ، وَكَانَ يَوْمُئِذٍ مُعْظَمُ طَعَامِهِمْ»^(٢). وقال في "فتح القدير"، في شرح الحديث: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»: «قال جمع من السلف والخلف لا نعدل ببضعة المصطفى صلى الله عليه وسلم أحداً»^(٣).

ثانياً: علماء أهل السنة يدينون الله بأفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين مطلقاً.

أنها عليها السلام مقدمة على غيرها من نساء عصرها، ومن بعدهن مطلقاً، قال ابن حجر في "الفتح": «وأقوى ما يستدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها ومن بعدهن ما ذكر من قوله صلى الله عليه وسلم أنها سيدة نساء العالمين إلا مريم وأنها رزئت بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها من بناته فإنهن متن في حياته، فكن في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان، في صحيفتها، وكنت أقول ذلك استنباطاً إلى أن وجدته منصوصاً»^(٤).

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٢٨.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) فتح القدير: ج ٢، ص ٤٦١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٠٥.

وقال العلامة الآلوسي في تفسيره "روح المعاني": «والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل ومن حيثيات آخر أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات - وبه يجمع بين الآثار- وهذا سائغ على القول بنبوة مريم أيضاً؛ إذ البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء وأين الثريا من يد المتناول؟ ومن هنا يعلم أفضليتها على عائشة»^(١).

وصرح السبكي عن اختياره بوضوح، فقال: «الذي نختاره وندين الله به: أن فاطمة أفضل»^(٢).

وقال البلقيني في "فتاويه": «الذي نختاره أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة، للحديث الصحيح، وأنه قال لفاطمة: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين؟»^(٣).

وقال القمولي: «وقد تكلم الناس في عائشة وفاطمة، أيها أفضل، على أقوال: ثالثها - الوقف. قال الصعلوكي: من أراد أن يعرف التفاوت بينهما فليتأمل في زوجته وابنته، قال شيخنا: الصواب القطع بتفضيل فاطمة، وصححه السبكي، قال في الحلبيات: قال بعض من يعتد به، بأن عائشة أفضل من فاطمة، وهذا قول من يرى أن أفضل الصحابة

(١) روح المعاني، ج ٢، ص ١٥٠.

(٢) إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، ص ٨٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد، ج ١٠، ص ٣٢٦.

زوجاته، لأنهن معه في درجته في الجنة التي هي أعلى الدرجات، وهو قول ساقط مردود وضعيف، لا سند له من نظر ولا نقل، والذي نختاره، وندين الله تعالى به أن فاطمة أفضل، ثم خديجة، ثم عائشة، وبه جزم ابن المغربي في روضته»^(١).

وقال الزركشي في الخادم عند قول الرافعي والنووي: «وتفضيل زوجاته - صلى الله عليه وسلم - على سائر النساء» ما نصّه: «هل المراد نساء هذه الأمة أو النساء كلّهن؟ فيه خلاف، حكاه الروياني، ويستثنى من الخلاف سيدتنا فاطمة، فهي أفضل نساء العالم، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: "فاطمة بضعة مني" ولا يعدل ببضعة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحد، وفي الصحيح: "أما ترضين أن تكوني خير نساء هذه الأمة؟"»^(٢).

وقال ابن الملقن: «والذي أراه أن فاطمة أفضل؛ لأنها بضعة منه، ولا يعدل ببضعته»^(٣).

قال أبو حيان أثير الدين الأندلسي في تفسيره: «قال بعض شيوخنا: والذي رأيت ممن اجتمعت عليه من العلماء، أنهم ينقلون عن أشياخهم: أن فاطمة أفضل النساء المتدمات والمتأخرات؛ لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ١١، ص ١٦١.

(٢) سبل الهدى والرشاد، ج ١١، ص ١٦٣.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج ٢٦، ص ١٨١.

(٤) البحر المحيط، ج ٣، ص ١٤٧.

ثالثًا: خديجة أفضل من عائشة بل أفضل نساء الأمة

وقد يُشكل: كيف فضّلت خديجة على نساء الأمة، وفيهن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام؟ فيقال: إن أفضلية خديجة على فاطمة عليها السلام هو من ناحية الأمومة كما أشار إليه أهل السنّة وإلا فعقيدة الشيعة الإمامية أنّ فاطمة عليها السلام أفضل من أمها خديجة للنصوص المتقدّمة، قال ابن الدمشقي في "جواهر المطالب": «روى أحمد والحاكم والطبراني عن أبي سعيد الخدري بإسناد صحيح مرفوعًا: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم. وفي رواية صحيحة: إلا ما كان من مريم بنت عمران. فعلم أنها أفضل من أمها خديجة، وما وقع في الأخبار مما يوهّم أفضليتها، فإنما هو من حيث الأمومة فقط.

وأيضًا هي أفضل من عائشة على الصحيح بل الصواب، قال السبكي: الذي نختاره، وندين الله به: أن فاطمة أفضل نساء هذه الأمة ثم خديجة ثم عائشة. قال: ولم يخف عنا الخلاف في ذلك، ولك إذا جاء نهر الله بطل نهر العقل! قال الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي: ولو ضوح ما قاله السبكي تبعه عليه المحققون... وممن تبعه عليه: الحافظ أبو الفضل بن حجر، فقال في موضع: هي مقدمة على غيرها من نساء عصرها، ومن بعدهن مطلقًا»^(١).

ويُحتج لخيرية خديجة عليها السلام على نساء الأمة وأنها أفضلهن بما أخرجه البخاري في صحيحه عن علي عليه السلام، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة»^(٢).

(١) جواهر المطالب، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٦٤، ح ٣٤٣٢.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث»^(١)، وقال مؤكداً عدم الخلاف في أفضليتها على عائشة بما نصه: «لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" مستدلاً بحديث البخاري على أن خديجة أفضل نساء الأمة بما نصه: «دلّ هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية، وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة»^(٣)، وقال أيضاً: «استدلّ بهذا الحديث على أن خديجة أفضل من عائشة»^(٤).

ويُحتج -أيضاً- بأفضلية خديجة على عائشة بما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة، أنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومنّي، وبشّرها بيت في الجنّة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»^(٥).

واستدلّ أبو بكر ابن داود بهذا الحديث على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأنّ عائشة سلّم عليها جبريل من قبل نفسه وخديجة أبلغها السلام من ربّها»^(٦).

وأخرج البزار والطبراني، عن عمّار بن ياسر، مرفوعاً: «لقد

(١) فتح الباري، ج ٦، ص ٥٤٣.

(٢) فتح الباري، ج ٧، ص ١٧٣.

(٣) فتح الباري، ج ٦، ص ٥٤٣.

(٤) فتح الباري، ج ٧، ص ١٦٨.

(٥) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣٩، ح ٣٨٢٠، صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٧، ح ٣٤٣٢.

(٦) يُنظر: فتح الباري، ج ٧، ص ١٧٣، مرقاة المفاتيح، ج ٥، ص ٣٤٨.

فضلت خديجة على نساء أُمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين»، قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر في "شرح البخاري": «حديث حسن الإسناد»^(١).

وأخرج الحاكم في "المستدرک" - وصحّحه على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي - عن عائشة، عن النبي ﷺ، قال: «سَيِّدَاتِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَع: مَرْيَمُ وَفَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَآسِيَةُ»^(٢).

قال المناوي في "الفيض": «قال جمعٌ: هذا نصٌّ صريح في تفضيل خديجة على عائشة وغيرها من زوجاته ﷺ، لا يحتمل التأويل»^(٣)، وقال أيضًا: «خديجة أفضل أمّهات المؤمنين، قال الحافظ العراقي: على الصحيح المختار، وذكر نحوه ابن العماد وسبقهما السبكي»^(٤).

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح": «ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة - أي على عائشة - ما أخرجه أبو داود والنسائي، وصحّحه الحاكم من حديث ابن عباس، رفعه: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد»^(٥).

وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» وعند الترمذي بإسناد صحيح عن

(١) فتح الباري، ج ٧، ص ١٦٨، إرشاد الساري، ج ٦، ص ١٦٧، وأخرجه الطبري في تفسيره، ج ٣، ص ١٨١ عن عمار بن سعد.

(٢) المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٨٥.

(٣) فيض القدير، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) فيض القدير، ج ٣، ص ٤٣١.

(٥) فتح الباري، ج ٧، ص ١٧٣.

أنس: «حسبك من نساء العالمين» فذكرهن^(١).

وها هي عائشة تروي بنفسها ما يؤكد أفضلية السيدة خديجة عليها، فقد روي عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني، الغيرة فقلت: هل كانت إلاّ عجوزاً! فقد أبدلك الله خيراً منها؛ فغضب حتى اهتزّ مقدم شعره من الغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها.. الحديث^(٢).



(١) فتح الباري، ج ٦، ص ٥٤٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٤، ص ٢٨٦ - ٢٨٧، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٨٣.



مقالة في رد شبهة أن الله ذكر في القرآن الأنبياء والصالحين ولم يذكر الأئمة المعصومين.

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- وما آتاكم الرسول فخذوه.
- التوافق والتكامل بين الكتاب والسنة.
- نقوضات تلزم أصحاب الشبهة الإجابة عنها.

مقالة في رد شبهة أن الله ذكر في القرآن الأنبياء والصالحين ولم يذكر الأئمة المعصومين.

إن المناوئين لعقيدة الشيعة الإمامية ما انفكوا وعلى مرّ العصور يكررون ذات الشبهات وبصياغات مختلفة، فمن ذلك ما كتبه بعضهم قائلاً: «لقد ذكر الله تعالى الأنبياء والصالحين والكفار بالاسم في القرآن، لكنه لم يذكر الأئمة المعصومين على رغم مكانتهم المقدسة عند الله، فلماذا لم يذكرهم؟».

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين: جواب إجمالي، وجواب تفصيلي .

الجواب الإجمالي:

أن ذكر الأشياء والتصريح بمسمياتها في القرآن الكريم لا يدلُّ على أنها أبرز مما لم يرد لها ذكر إلا في السنّة النبوية، لم يقل بذلك أحد من العلماء، بل لم يرد دليل على ذلك لا من الكتاب ولا السنة، ولو كان لبان، والواقع يُثبت خلاف ذلك، فقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الأمور على نحو من التفصيل، كأحوال الخلق وقصص الماضين، وغيرها من أمور، ولا يشك مسلم في فضلها وقيمتها، ولكن ما ثبت

في السنّة النبوية من تفصيل لكيفيّة الصلاة وعدد ركعاتها، وصفة الحج والسعي وعدد أشواط الطواف، ومقادير الزكاة وشروطها وغير ذلك مما هو أعظم شأنًا في الشريعة الإسلامية، ومن هنا تعرف أنّ العلاقة بين السنة الشريفة، وبين كتاب الله عزّ وجلّ علاقة توافق، وتكامل؛ لأن مصدرهما واحد، وهو الله تبارك وتعالى، ولهذا فإنّ عدم الإقرار والتسليم بما جاء عن رسول الله ﷺ، هو رد وإعراض عن أمر الله عزّ وجلّ، قال أحمد بن حنبل: «إذا لم نقرّ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»، وها هي السنة الشريفة قد فسرت كثيرًا من آيات القرآن الكريم، ومن جملتها آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة التي ورد التصريح فيها بأسماء من نزلت فيهم هذه الآيات المباركات، فقد رويت أحاديث بلغت حدّ الاستفاضة - إن لم نقل تواترت - ورد فيها التصريح بأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ، عند نزول هذه الآيات من قبل جمع من الصحابة والتابعين وتبع التابعين، ونقلها عنهم علماء الأمة ومحدثوها في مصنفاتهم ومجاميعهم الحديثية وكتبهم التفسيرية، وأجمع الجمع المسلم بمذاهبه المختلفة والمتخالفة - إلا من شذّ - على نزول هذه الآيات في حق الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الجواب التفصيلي:

والجواب عن هذه الشبهة تفصيلاً يأتي من وجوه:

أولاً: وما آتاكم الرسول فخذوه.

دأب علماء الإسلام على الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، في جميع أبواب العلم والدين على التسليم والانقياد للنصوص الشرعية، ولا سيما مسائل العقيدة، وأنّ عدم الإقرار والتسليم بما جاء عن رسول الله ﷺ، هو رد وإعراض عن أمر الله عز وجل، قال أحمد بن حنبل: «إذا لم نقرّ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾»^(١).

وقال الزركشي ناقلاً عن أبي الحكم بن برجان جزمه بأن: «كل حديث ففي القرآن الإشارة إليه تعريضاً أو تصريحاً، وما قال منشئ فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه. قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾»^(٢) ألا يسمع إلى قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لأقضي بينكما بكتاب الله». وقضى بالرجم، وليس هو نصّاً في كتاب الله، ولكن تعريض مجمل في قوله: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ﴾»^(٣)، وأما تعيين الرجم من عموم ذلك

(١) الإبانة الكبرى، ابن بطّة، ج ٧، ص ٥٨.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) النور: ٧-٨.

العذاب، وتفسير هذا المجل هو مبين بحكم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيه، وبأمره به، وموجود في عموم قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١). وقوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢) وهكذا جميع قضائه وحكمه»^(٣).

وروى الخطيب البغدادي في "الكفاية في علم الرواية" عن الحسن: «أن عمران بن حصين، كان جالساً، ومعه أصحابه، فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: ادن، فدنا، فقال: أ رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن؟ أ كنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً، وصلاة العصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، تقرأ في اثنتين؟ أ رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن؟ أ كنت تجد الطواف بالبيت سبعاً، والطواف بالصفاء والمروة؟ ثم قال: أي قوم؛ خذوا عنا؛ فإنكم والله إلا تفعلوا لتضلن»^(٤).

وقد بَوَّب الخطيب كتابه "الكفاية في علم الرواية" بقوله: «باب ما جاء في التسوية بين حكم كتاب الله تعالى، وحكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في وجوب العمل، ولزوم التكليف»^(٥). انتهى.

وعلى ما ذكرنا كانت سيرة الصحابة غاية في الوضوح بالانقياد والتسليم لما جاء عن رسول الله ﷺ، ولم يرد له ذكر في القرآن، ممثلين بذلك أمر الله سبحانه وتعالى، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) البحر المحيط، ج ٦، ص ٩.

(٤) الكفاية في علم الرواية، ص ١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨.

الله بن مسعود، أنه حينما حدّث، وقال: «لعن الله الواشحات والمستوشحات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله! قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب! - وكانت تقرأ القرآن - فأنته، فقالت: ما حديث بلغني عنك؟ أنك لعنت الواشحات والمستوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في كتاب الله؟ فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته! فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾! فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي، فانظري، قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً! فجاءت إليه، فقالت: ما رأيت شيئاً! فقال ابن مسعود رضي الله عنه: أما لو كان ذلك لم نجامعها»^(١).

ثانياً: التوافق والتكامل بين الكتاب والسنة.

إن ذكر الأشياء والتصريح بمسمياتها في القرآن الكريم لا يدل على أنها أبرز مما لم يرد لها ذكر إلا في السنة النبوية، لم يقل بذلك أحد من العلماء، بل لم يرد دليل على ذلك لا من الكتاب ولا السنة، ولو كان لبان، والواقع يثبت خلاف ذلك، فقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من الأمور على نحو من التفصيل، كأحوال الخلق وقصص الماضين، ومن ذلك ذكره الكلب الذي رافق أصحاب الكهف ونومه معهم،

(١) صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٤٦، ح ٤٨٨٦، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٦٧٨، ح ٢١٢٥.

وكلام النملة مع نبي الله سليمان، وبعض الأحكام الفرعية في بعض سورته، كسورة النور وغيرها، فهذه المذكورات لا يشك مسلم في فضلها وقيمتها، ولكن ما ثبت في السنة النبوية من تفصيل لكيفية الصلاة وعدد ركعاتها، وصفة الحج والسعي وعدد أشواط الطواف، ومقادير الزكاة وشروطها وغير ذلك مما هو أعظم شأنًا في الشريعة الإسلامية.

إنَّ الله تبارك وتعالى أوكل إلى رسوله ﷺ، وظيفة بيان ما في القرآن الكريم، فجاء ذلك في قوله عزّ من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، ففي هذه الآية دلالة واضحة على أنَّ الله سبحانه فوض رسوله ﷺ، في بيان القرآن الكريم للناس، كما حذر سبحانه وتعالى من مخالفته ﷺ، بقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

إذ لا يخفى أن علاقة السنة بالقرآن الكريم هي علاقة المبيِّن؛ أي أن السنة الشريفة تبين للناس ما جاء في القرآن الكريم، حيث قام النبي ﷺ بهذه الوظيفة على خير وجه، استجابة لأمر الله عزّ ذكره، فبلغ القرآن، وبينه بأوضح البيان؛ لذا كان المسلمون ملزمين بسنة النبي ﷺ، كما هم ملزمون بالقرآن الكريم بلا فرق بينهما.

فالعلاقة بين السنة الشريفة، وبين كتاب الله عزّ وجلّ علاقة توافق، وتكامل، لا علاقة تضادّ وتنافٍ؛ لأن مصدرهما واحد، وهو الله

(١) النحل: ٤٤.

(٢) النور: ٦٣.

تبارك وتعالى.

وإذا ما وقفنا على بعض آيات القرآن الكريم، وتأملنا ملياً في دقائق ألفاظها ومعانيها، ثم أخذنا بأحاديث رسول الله ﷺ المفسرة والمبينة لتلك الآيات - كآية التطهير وآية المودة وآية المباهلة - لوجدنا أن التصريح بأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام قد جاء على لسان الذي أمرنا بالأخذ منه ﷺ، في قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾^(١)، فيكون ذكرهم عليهم السلام وارداً في القرآن الكريم بتصريح النبي ﷺ بأسمائهم وإن لم ترد فيه صراحة.

فالسنة الشريفة قد فسرت كثيراً من آيات القرآن الكريم، ومن جملة آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة التي ورد التصريح فيها بأسماء من نزلت فيهم هذه الآيات المباركات. فقد رويت أحاديث ورد فيها التصريح بأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام عن رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآيات من قبل جمع من الصحابة والتابعين وتبع التابعين، ونقلها عنهم علماء الأمة ومحدثوها في مصنفاتهم ومجاميعهم الحديثية وكتبهم التفسيرية، وأجمع الجمع المسلم بمذاهبه المختلفة والمتخالفة - إلا من شذ - على نزول هذه الآيات في حق الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثالثاً: نقوضات تلزم أصحاب الشبهة الإجابة عنها.

إننا لا نعلم القرآن كيف يصوغ بيانه، فالمولى سبحانه هو أعرف بالمصلحة في ذلك، ولكن عندنا بعض النقوضات على أصحاب هذه الدعوى نلزمهم بالإجابة عليها، منها:

١ - عدم ذكر القرآن لأسماء الخلفاء الثلاثة.

عدم ذكر القرآن لأسماء الخلفاء الثلاثة الذين تسلّموا زمام الأمور بعد رسول الله ﷺ، فهم لم يرد لهم ذكرٌ صريحٌ في القرآن الكريم، فهل هذا يعني الإنكار لخلافتهم وعدم مشروعيتها؟ ألم يكن من الميسور لله عزّ وجل ذكر اسم أبي بكر في آية الغار مثلاً، وجعل ذلك فضيلة له يتسنّم بها زمام الأمور بلا منافس له، مع أن القرآن اكتفى فقط بقوله: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١)، ولم نكن نعرف المراد بصاحبه في هذه الآية إلا مما ورد في السنّة.

فإذا ثبتت هذه الدعوى في حقّ أبي بكر هنا ثبتت للأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام في آية الولاية، وآية التطهير، وآية المودة، وغيرها من الآيات المباركات النازلة في شأنهم؛ إذ لم نعرف سبب نزولها في حقهم عليهم السلام إلا من طريق السنّة!!

٢ - عدم ذكر كثير من مسائل الفروع.

لو كانت دعوى عدم ذكر بعض الأمور في القرآن التي نشب

الخلاف فيها مدعاة إلى ردّها لرددنا كثيراً من مسائل الفروع التي لم تذكر في القرآن والتي اختصت السنّة بنقلها فقط، مع أنّ الخلاف فيها قد نشب على أوجه، ومع ذلك لم ينبس أحد ببنت شفة بردّ هذه المسائل من السنّة وعدم قبولها، وما زال الخلاف قائماً إلى الآن بين أهل السنّة والشيعة حول ما يصح السجود عليه وما لا يصح، وقد مضت عليه أكثر من ١٤٠٠ سنة، فالشيعة يقولون بصحة السجود على التراب والتربة وما أنبتته الأرض دون غيرها، بينما أهل السنّة يقولون بجوازه على الفراش ونحوه، ولا يخفى على أحد ما للصلاة من قيمة قصوى في الإسلام، والسجود ركن من أبرز أركانها، ومع ذلك لم يصرح القرآن بكيفيته، هل يُقتصر به على التراب أو يجوز على الفراش والسجاد؟ مع أنّه سبحانه مطلع حتماً على هذا الخلاف، ويعلم أنّه سيقع في الأمة، ومع ذلك لم يصرح بكلمة واحدة في ما يصح السجود عليه، ولا يصح، بل ثبت كلّ ذلك من طريق السنّة، وكانت السنّة هي الطريق الوحيد لبيان ما يصح السجود عليه، ولا يصح.. وهكذا نجد غير السجود كثيراً من المسائل العقدية والفقهية.

٣- عدم ذكر جملة من أهم المسائل العقدية.

نسمع من بعض المتطرفين من المسلمين أنّهم يقولون: إنّ التبرك بقبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام شرك، ولا يخفى على البصير أنّ للشرك أثراً كبيراً في الحياة الدينية للبشر، بل يعدّ أبرز مسألة عقدية على الإطلاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

نقول: إذا كان التبرك بقبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام شركاً كما يدعون، فلماذا لم يذكر هذا الأمر صراحة في القرآن، مع ما له من قيمة قصوى كما ذكرنا، وإذا سألتهم في الاستدلال على شرك المتبركين هنا جاؤوك بأدلة من السنة يفهمونها هم على أنها تفيد الشرك والخروج عن التوحيد للمتبرك.

نقول: فإذا أمكن أن تثبتوا شرك كل من تبرك بقبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من طريق السنة، فذلك يمكن إثبات أن المراد في آية الولاية، وآية التطهير، وآية المودة، هم الأئمة المعصومون عليهم السلام، ومن الطريق نفسه الذي أثبت به الشرك للمتبرك، وهو السنة الشريفة، والتفريق بينهما تحكم واضح.

٤ - النقص بذكر المشابهات في القرآن وعدم الاختصار على ذكر المحكمات.

ورود المشابه في القرآن والغاية منه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢)، فلماذا لم يقتصر القرآن على

(١) النساء: ٤٨.

(٢) آل عمران: ٧.

ذكر المحكمات فقط لتهتدي الأمة بالبيان المحكم الواضح والصريح،
وجاء بالمشابهات، وكانت فتنة للذين في قلوبهم مرض حين أصروا
على اتّباعه فزاغوا عن الصراط المستقيم؟!!

فهذا غيض من فيض من النقوضات على دعوى أن الله سبحانه
ذكر في القرآن الكريم الأنبياء والصالحين بالاسم، ولم يذكر الأئمة
المعصومين عليهم السلام، نلزم صاحب الشبهة ومن على شاكلته بالإجابة عنها.





مقالة في رد شبهة أن الأنبياء والرسل كان لهم النصر وشهدوا هلاك الطغاة عكس أئمة الشيعة

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الغلبة على نحوين: غلبة باللسان والبيان، وغلبة بالسيف.
- أئمة أهل البيت عليهم السلام شهدوا هلاك الظالمين واحداً بعد الآخر.

مقالة في رد شبهة أن الأنبياء والرسل كان لهم النصر وشهدوا هلاك الطغاة عكس أئمة الشيعة

يبدو أن بعضهم لم يجد ثغرة ينفذ منها بباطله أو ثلماً يدس فيه هواه، بعد أن دحضت كل شبهاتهم وطعونهم من قبل علماء الشيعة الإمامية؛ لذا نجد اليوم بعضاً من هؤلاء، وقد كتب على صفحته الرسمية - على إحدى منصات التواصل الاجتماعي - بضعة كلمات تنم عن محاولة يائسة لتوهين وتحجيم مقام أئمة أهل البيت عليهم السلام، فكتب يقول: «الأنبياء والرسل المذكورون في كتاب الله كان لهم النصر، وعاشوا بعد الطغاة، عكس أئمة الشيعة الرافضة؛ إذ إنهم ماتوا قبل الطغاة، ويقصدون بالطغاة الخلفاء رضي الله عنهم». انتهى.

ولولا أن هؤلاء قد شرعوا بإثارة شبهاتهم في صفوف الضعفاء والبسطاء مستغلين بذلك وسائل النشر الحديثة، لما تعرّضنا لنقدها والردّ عليها؛ لأنّها من الشبهات التي لا تستحق أن تُذكر، ولكن إتماماً للحجة وإزاحة للعقبة من طريق الحق: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١) نجيب عن هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

(١) الأنفال: ٤٢.

الجواب الإجمالي:

إنّ الغلبة هنا على نحوين: غلبة باللسان والبيان، وغلبة بالسيف، فالرسل الذين أمروا بقتال غلبوا جميعهم، وكانت لهم العاقبة في آخر أمرهم، أمّا الرسل أو الأنبياء الذين لم يؤمروا بقتال فغلبوا باللسان والبيان، ومنهم من قُتل، ومنهم من مات، وأئمتنا عليهم السلام شهدوا هلاك الطغاة والظالمين واحداً بعد آخر.

الجواب التفصيلي:

ونجيب عن هذه الشبهة على نحو تفصيلي من وجهين:

الوجه الأول: الغلبة على نحوين: غلبة باللسان والبيان، وغلبة بالسيف.

قوله: (الأنبياء والرسل المذكورون في كتاب الله كان لهم النصر وعاشوا بعد الطغاة)، فنجيب عنه بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١)، قال الخطيب الشربيني: أي: «ظلمًا؛ فإنهم قتلوا شعياً، وزكريا، ويحيى وغيرهم»^(٢)، وجاء عن البيضاوي في "تفسيره": «فإنهم قتلوا شعياً وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحقّ عندهم؛ إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم، وإنما

(١) البقرة: ٦١.

(٢) تفسير السراج المنير ١: ١٤١.

حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا»^(١).

وعن النسفي في تفسيره: «أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود شعياً وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم»^(٢).

وروى الحاكم في مستدركه بالإسناد إلى ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، قال: بعث عيسى بن مريم في اثني عشر رجلاً من الحواريين، يعلمون الناس، فكان ينهاهم عن نكاح ابنة الأخ، وكان ملك له ابنة أخ تعجبه، فأرادها، وجعل يقضي لها كل يوم حاجة، فقالت لها أمها: إذا سألك عن حاجتك، فقولي له: أن تقتل يحيى بن زكريا. فقال لها الملك: ما حاجتك؟ فقالت: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريا، فقال: سلي غير هذا، فقالت: لا أسأل غير هذا فلما أتى أمر به، فذبح في طست، فبدرت قطرة من دمه، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر، فدلّت عجوز عليه، فألقي في نفسه أن لا يزال القتل حتى يسكن هذا الدم، فقتل في يوم واحد من ضرب واحد وبيت واحد سبعين ألفاً «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد غريب الإسناد والمتن» وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم^(٤).

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ٨٤.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١: ٩٤.

(٣) آل عمران: ٢١.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٢: ٣١٨.

وجاء عن ابن تيمية: «فاليهود... وكانوا قد قتلوا يحيى بن زكريا، وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمُسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بآيات الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾» (٢).

فإن قلت: فما معنى قوله سبحانه: ﴿لَا غَلِبَنَّا أَنَا وَرُسُلِي﴾ (٣)؟

قلنا: إن الغلبة هنا على نحوين: غلبة باللسان والبيان، وغلبة بالسيف، فالرسل الذين أمروا بقتال غلبوا جميعهم، وكانت لهم العاقبة في آخر أمرهم، أمّا الرسل أو الأنبياء الذين لم يؤمروا بقتال فإنهم غلبوا باللسان والبيان، ومنهم من قُتل، ومنهم من مات، قال سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٤)، وقال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥)، فقتل فريق من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكنهم لم يؤمروا بقتال، فغلبوا بالحجة والبيان.

قال الرازي في تفسيره: «المسألة الثانية: غلبة جميع الرسل بالحجة مفاضلة، إلا أن منهم من ضمَّ إلى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف، ومنهم

(١) البقرة: ٦١.

(٢) قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة: ٢٥١.

(٣) المجادلة: ٢١.

(٤) البقرة: ٨٧.

(٥) آل عمران: ١٨١.

من لم يكن كذلك»^(١).

وفي تفسير اللباب يقول ابن عادل الحنبلي: «والنُصْرَةُ والغلبة قد تكون بالحُجَّة وقد تكون بالدولة والاستيلاء، وقد تكون بالدوام والثبات، فالمؤمن وإن صار مغلوبًا في بعض الأوقات بسبب ضَعْفِ أحوال الدنيا فهو الغالب»^(٢).

الوجه الثاني: أئمة أهل البيت عليهم السلام شهدوا هلاك الظالمين واحدًا بعد الآخر.

وأما قوله: (عكس أئمتكم ماتوا قبل الطغاة المزعومة عندكم!)، فجوابه: أن أئمتنا عليهم السلام شهدوا هلاك الطغاة والظالمين واحدًا بعد آخر، فأمر المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام شهدوا هلاك أبي بكر وعمر وعثمان، وأما معاوية بن أبي سفيان، فقد شهد هلاكه الإمام الحسين عليه السلام، وأما يزيد بن معاوية (لعنهما الله)، فقد شهد هلاكه الإمامان علي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام، كما شهد الإمام الباقر عليه السلام هلاك عبد الملك بن مروان سنة (٨٦هـ)، والوليد بن عبد الملك سنة (٩٦هـ)، وسليمان بن عبد الملك سنة (٩٨ أو ٩٩هـ)، وشهد الإمام الصادق عليه السلام، هلاك هشام بن عبد الملك سنة (١٢٥هـ)، والوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة (١٢٦هـ)، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة (١٢٦هـ) حيث كانت

(١) مفاتيح الغيب ٢٩: ٤٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦: ٣٥٨.

ولايته خمسة أشهر، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك سنة (١٣٢هـ)،
ومروان بن محمد المعروف بمروان الحمار سنة (١٣٢هـ)، وعبد الله بن
محمد المعروف بالسفاح سنة (١٣٦هـ)، وشهد الإمام موسى بن جعفر
الكاظم عليه السلام هلاك المنصور الدوانيقي سنة (١٥٨هـ)، والمهدي سنة
(١٦٩هـ)، وابنه الهادي سنة (١٧٠هـ)، وشهد الإمام علي بن موسى
الرضا عليه السلام هلاك هارون الرشيد سنة (١٩٣هـ)، وولده الأمين سنة
(١٩٨هـ)، وشهد الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام هلاك المأمون سنة
(٢١٨هـ)، وشهد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام هلاك المعتصم سنة
(٢٢٧هـ)، والواثق بن المعتصم سنة (٢٣٢هـ)، والمتوكل أخو الواثق
سنة (٢٤٨هـ)، والمنتصر بن المتوكل سنة (٢٤٨هـ)، والمستعين ابن عم
المنتصر سنة (٢٥٢هـ)، وشهد الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام
هلاك المعتز بالله سنة (٢٥٥هـ)، والمهتدي بالله سنة (٢٥٦هـ).





مقالة في رد شبهة

عدم دلالة (إنما) على الحصر في آية الولاية، وان دلت

فعلى بطلان إمامة الأئمة بعد علي عليه السلام

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- بيان معنى الحصر.
- الحصر حقيقي وإضافي.
- بيان طرق الحصر ووسائله.
- أقوال أئمة اللغة والنحو والبلاغة والفقهاء بدلالة (إنما) على الحصر.
- الحصر في الآية لا يضر بإمامة الأئمة من ولد الإمام علي عليه السلام.

مقالة في رد شبهة عدم دلالة (إنما) على الحصر في آية الولاية، وان دلت فعلى بطلان إمامة الأئمة بعد علي عليه السلام

كتب بعضهم تغريدة في حسابه الشخصي على موقع تويتر، يقول فيها: «(إنما) لا تدل على حصر الإمامة في علي رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ولو فرضنا صحة الاستدلال فقد حصرت الآية الإمامة في علي فقط، وأبطلت إمامة من سواه، فتصبح الآية هي الدليل على بطلان إمامة غيره. فحسبك بطلان دليل لا يصح إلا ليهدم عقيدة المستدل لا ليثبتها». انتهى.

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

الحصر في اللغة يعني: الحبس.. وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه، والحصر نوعان: حقيقي وإضافي، وطرق الحصر ووسائله كثيرة، منها (إنما) وهي تفيد الحصر لتضمينها معنى النفي والاستثناء، صرح بذلك أئمة اللغة والنحو والبلاغة والفقه، وبهذا اللحاظ فالآية قد حصرت لفظ الولاية بالله سبحانه، ثم عطف عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم الذين آمنوا، وثبت

عندنا بالتواتر والاعتبار والإجماع بأنّ الصفة المذكورة للذين آمنوا، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، قد وقعت بالفعل الخارجي من عليّ عليه السلام وحده لا سواه، فدلّ ذلك على إمامته وولايته، والحصّر في الآية لا يضر بإمامة الأئمة من ولده عليه السلام سواء كان حقيقياً أو إضافياً، أمّا كونه حقيقياً فلا يضر؛ لأنّ ولايتهم ثابتة بالطول وبالنيابة عن ولايته، وأمّا كونه إضافياً فلا يضر؛ لاحتمال وقوع الترديد فيه بالإضافة إلى الثلاثة المتقدّمين على الإمام عليّ عليه السلام، فيصحّ حصّر الولاية في زمن حياة الإمام عليه السلام فقط، ويستحيل عدم وجود الولاية وتعددّها على طول الزمان إلى يوم القيامة، لما هو مركز في العقول من عدم خلوّ الأرض من إمام إلى يوم القيامة، فالحصّر يضر لو كانت الولاية بالعرض وفي زمن حياة الولي أو كانت على نحو الشركة أو المعارضة أو سابقة بالزمن كما يدّعيه أهل السنة لخلفائهم.

الجواب التفصيلي:

نردّ على هذه الشبهة بنحو تفصيلي، ونذكر في ذلك عدة أمور، منها:

أولاً: بيان معنى الحصر.

الحصر في اللغة يعني: الحبس.. وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه^(١)، وهذا يعني جعل أحد الشيئين خاصاً بالآخر ووصفاً له قائماً به.

(١) التعريفات، ص ٩٣.

والحصر أسلوب في الكلام يعتمد إلى جمع طرفي النفي والإثبات (السلب والإيجاب) في عبارة واحدة، فهو يتضمن معنى جملتين، ينتج منهما معنى أعمق.. والقرآن الكريم زاخر باستعمال هذا اللون من التعبير عندما يريد إثبات حكم ونفيه عما عداه^(١).

ثانياً: الحصر الحقيقي وإضافي.

أمّا الحصر الحقيقي فهو: أن يختص المحصور بالمحصور عليه بحسب الحقيقة والواقع نحو قوله تعالى: ﴿وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٢)، الدال على حصر الألوهية بالله تعالى، بمعنى نفي كل فرد من الآلهة، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى.

وأمّا الحصر الإضافي فالمراد به: أن يختص المحصور بالمحصور عليه لا حقيقة بل بالقياس إلى شيء آخر معين، وينقسم هذا الحصر إلى ثلاثة أقسام: قلب، أفراد، تعيين.

فحصر القلب يكون في المتقابلات من الصفات والموصوفات، وذلك إذا كان المخاطب يعتقد عكس ما يثبته المتكلم، وهذا كموقف المشركين من القرآن الكريم، كما سجّل ذلك القرآن لنا على ألسنتهم، قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١) يُنظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٥٣، المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص ٢٦٨.

(٢) البقرة: ١٦٣.

(٣) المدثر: ٢٥.

الأُولَيْنِ^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٢)، ففيها دلالة الحيرة والاضطراب والكذب بأنه غير حق.

وحصر الأفراد يراد به اعتقاد المخاطب اشتراك الموصوف في صفتين أو قيام الصفة بموصوفين، فيكون أسلوب الحصر أفراداً لأحدهما ونفياً للآخر، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٣) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(٣)، فالصفة المنفية هي الإكراه والإجبار.

وأما حصر التعيين فهو يستعمل حين يكون عند المخاطب إيهام وتردد كقولنا: إنما التحلل من القيم داء الأمم، وذلك لمن يُسوي أو يتردد بين آثار التخلق بالقيم والتحلل منها.

ثالثاً: بيان طرق الحصر ووسائله.

وأما طرق الحصر ووسائله فهي كثيرة، وأشهرها أربعة طرق، وهي الأكثر وروداً في القرآن الكريم، وهذه الطرق هي:

١ - العطف: وأدواته «لا، بل، لكن» فإن كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان بـ (بل) أو (لكن) كان المقصور عليه ما بعدهما. فالمثال على قصر الموصوف على الصفة أفراداً قولنا: «زيد شاعر لا كاتب» وقلباً: «زيد قائم لا قاعد».

(١) المؤمنون: ٨٣.

(٢) سورة ص: ٧.

(٣) الغاشية: ٢١ و٢٢.

٢- النفي والاستثناء: سواء كان النفي بـ (لا) أو (ما) أو غيرهما، ويسمى استثناءً مفرغاً كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^(١)، ووجه استفادة القصر من الاستثناء أن النفي لا يكون إلا في الصفات لا في الذوات^(٢).

٣- تقديم ما حقه التأخير: وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم، ومن ذلك قولك: شاعر هو^(٣).

٤- إنمّا: وهي محلّ البحث، وهي تفيد القصر لكونها متضمنة معنى «ما» و «لا»^(٤)، ويعلّل البعض الآخر إفادتها الحصر لتضمّنها معنى النفي والاستثناء^(٥).

رابعاً: أقوال أئمة اللغة والنحو والبلاغة والفقهاء بدلالة (إنمّا) على الحصر.

صرّح الأسنوي في (الكوكب الدرّي) بأنّ (إنمّا) تدلّ على الحصر قطعاً، وقال هذا هو مختار ابن عصفور وابن مالك ومختار المتأخّرين^(٦).

وقال ابن فارس في (الصاحبي) تحت عنوان (باب إنمّا): سمعت علي بن إبراهيم القطان، يقول: سمعت ثعلباً يقول: سمعت سلمة يقول: سمعت الفراء يقول: إذا قلت: (إنمّا قمت) فقد نفيت عن

(١) يس: ١٥.

(٢) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ج ١، ص ٢٢٨.

(٣) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ج ١، ص ٢٣٠.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٢٥٣.

(٥) يُنظر: مفتاح العلوم، ص ١٣٠.

(٦) الكوكب الدرّي، ص ٣٧٤.

نفسك كلّ فعل إلا القيام، وإذا قلت: (إنّما قام أنا) فإنّك نفيت القيام عن كلّ أحد، وأثبتته لنفسك... والذي قاله الفرّاء صحيح^(١).

هذا، وقد نصّ الخطيب القزويني في (الإيضاح): على أنّ دلالة (العطف) و(النفي والاستثناء) و(إنّما) على القصر من حيث الأصل -أي الوضع-^(٢).

وجاء عن ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): «لفظة (إنّما) للحصر عند جماهير العلماء، وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة العرب كما تعرف معاني حروف النفي والاستفهام والشرط وغير ذلك، لكن تنازع الناس: هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق أو المفهوم على قولين، والجمهور على أنّه بطريق المنطوق»^(٣).

وعن النووي: «قال جماهير العلماء من أهل العربية والأصول وغيرهم: لفظة (إنّما) موضوعة للحصر ثبت المذكور، وتنفي ما سواه»^(٤).

فهذه أقوال أئمة اللغة والنحو والبلاغة والفقهاء بدلالة (إنّما) على الحصر.

(١) الصاحبى في فقه اللغة، باب (إنّما): ص ٣١، وانظر أيضًا: تفسير ابن فارس: ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) الإيضاح، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) مجموع الفتاوى، ج ١٨، ص ٢٦٤.

(٤) شرح مسلم، ج ١٣، ص ٥٤، والشرح الكبير، ج ٢، ص ٦٩٠.

خامساً: الحصر في الآية لا يضر بإمامة الأئمة من ولد الإمام

علي عليه السلام

اتضح لنا مما تقدّم بأن دلالة كلمة (إنّما) على الحصر ثابتة، وبهذا اللحاظ فالآية الكريمة قد حصرت لفظ الولاية بالله سبحانه وتعالى، ثمّ عطفت عليه الرسول ﷺ ثم الذين آمنوا، بمعنى نفي كلّ فرد من الولاية، ثمّ حصر ذلك المعنى في ثلاثة هم: الله تبارك وتعالى، ورسوله الأعظم ﷺ، والذين آمنوا، وبعد أن ثبت عندنا بالتواتر والاعتبار والإجماع بأنّ الصفة المذكورة للذين آمنوا، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، قد وقعت بالفعل الخارجي من عليّ عليه السلام وحده لا سواه، فثبت أنّ المراد من (الذين آمنوا) في الآية الكريمة هو عليّ عليه السلام دون غيره، فتكون الولاية الكبرى التي يجب على المؤمنين اتباعها والتسليم لها منحصرة في ثلاثة، هم: الله جلّ وعلا، والنبى الأكرم ﷺ، وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وإذا ثبت هذا المعنى فهو ينفي إمامة كلّ شخص - عدا رسول الله ﷺ - وتقدّمه على عليّ عليه السلام.

والحصر في الآية لا يضر بإمامة الأئمة من ولده عليه السلام سواء كان حقيقياً أو إضافياً.

أمّا كونه حقيقياً فلا يضر؛ لأنّ ولايتهم ثابتة بالطول وبالنيابة عن ولايته عليه السلام ومرتبة عليها في ذاتها، وتأتي بعدها في الزمن، وأنّ ترتب إمامتهم زماناً بعد أبيهم ثابتة بأدلة أخرى كحديث الثقلين، فهو من أوثق الأحاديث النبوية وأكثرها ذيوغاً، وقد عني العلماء به عناية

بالغة؛ لأنه يحمل جانباً بارزاً من جوانب العقيدة الإسلامية، وهو من أظهر الأدلة التي تستند إليها الشيعة في حصر الإمامة في أهل البيت، وفي عصمتهم من الأخطاء والأهواء؛ لأنّ النبي ﷺ قرّنه بكتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر.

ولفظ الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا يعارضه ما اختص به أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ لأنّ ما اختص به عليه السلام وقع خارجاً في وقته، فحصر الولاية يكون مختصاً بما وقع منه خارجاً لا بما دلّ عليه اللفظ، ولسياق الآية مساق الإخبار لا التشريع، دلّ ذلك على إمامتهم وولايتهم بالاختصاص لا بالتخصيص.

وأما كونه إضافياً فلا يضر؛ لاحتمال وقوع التردد فيه بالإضافة إلى الثلاثة المتقدمين عليه عليه السلام، فيصح حصر الولاية في زمن حياة الإمام عليه السلام فقط، ويستحيل عدم وجود الولاية وتعددتها على طول الزمان إلى يوم القيامة، لما هو مركز في العقول من عدم خلوّ الأرض من إمام إلى يوم القيامة، والحصر في الصفات التي اختص بها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، يصح في حياته أو الحال والآن، لوقوع لفظ ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ فعلاً مضارعاً، ودلالته على الحال.

فالحصر إنّما يضر لو كانت الولاية بالعرض وفي زمن حياة الولي نفسها أو كانت على نحو الشركة أو المعارضة أو سابقة بالزمن كما

يدّعيه أهل السنة لخلفائهم، وعليه سواء كان الحصر في الآية حصرًا حقيقيًا أو إضافيًا فهو ينفي إمامة الثلاثة - أبو بكر وعمر وعثمان - المتقدمين، وهو المطلوب.





مقالة في رد شبهة

مخالفة علي عليه السلام للكتاب والسنة، لتصدق به بخاتمه أثناء الصلاة.

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- اتحاد المقصود في الصلاة والزكاة يرفع دعوى التشاغل.
- حكم الصلاة مع الفعل القليل أو الكثير عند علماء أهل السنة.
- أحاديث صحيحة تنص على عدم بطلان الصلاة بأكثر من ثلاث حركات.

مقالة في رد شبهة مخالفة علي عليه السلام للكتاب والسنة، لتصدقه بخاتمه أثناء الصلاة.

في إحدى القنوات المرئية على موقع «اليوتيوب» ذائع الصيت، شيخ من شيوخ المسلمين حائز على شهادة الدكتوراه في العقيدة والفكر الإسلامي، يتجاذب أطراف الحديث مع مقدم البرنامج، حيث كان الأخير يوجه السؤال أو يثير الإشكال والشبهة، والأول يجيب عنه لتخصصه في مجال العقيدة، والموضوع الذي سلط الضوء عليه هو آية الولاية، وتحديدًا قصة تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمه في الصلاة، وهذا مقطع موجز من الحوار الذي دار بينهما:

المقدم: فضيلة الشيخ، يعتقد الشيعة الرافضة أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه تصدق بالخاتم، وهو راع، والسؤال الذي يطرحه كل مسلم عاقل بالغ مدرك للأحكام كيف جاز لعلي، وهو مستقبل القبلة التحرك في الصلاة؟!

الشيخ: قال تعالى في محكم كتابه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الصلاة لشغلًا»، وما فعله علي رضي الله عنه من التصديق في

الصلاة لا فضيلة له فيه؛ لأنه فعل مخالف للكتاب والسنة.
هذا أبرز ما جاء في الحوار، أوجزناه ليتناسب مع هذا المختصر.
ويجاب على هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

اتحاد المقصود في الصلاة والزكاة يرفع دعوى التشاغل، أي أن إخراج الزكاة أو التصدق ليس من الأمور الدنيوية حتى يكون شاغلاً عن الصلاة، بل هو من الأمور العبادية التي يكون الداعي فيها هو قصد التقرب إلى الله تعالى شأنه شأن الصلاة التي يشترط فيها قصد القربة، بل يمكن عد ذلك من أفضل الحالات، ومن هنا استحق هذا الفعل المدح من قبل المولى سبحانه، وجعل ولاية صاحبه في عرض ولاية الله ورسوله ﷺ، ثم إن ما فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، من التصدق بخاتمه، يصدق عليه أنه فعل قليل في قبال ما نقلته لنا الأحاديث من فعل النبي ﷺ، كحملة أمانة بنت أبي العاص في الصلاة، وحديث فتحه الباب لعائشة أثناء الصلاة، وأمره ﷺ بقتل الأسودين أثناء الصلاة، وحديث دفع المار بين يدي المصلي، وحديث الصلاة على المنبر والنزول منه للسجود والصعود عليه ثانية، وحديث التقدم والتأخر في صلاة الكسوف، وغيرها، المستدل بها على عدم بطلان الصلاة بالفعل الكثير، بل يمكن القول: أن ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام، عند التصدق بالخاتم حال الركوع ليس إلا إشارة، والإشارة باليد في الصلاة لا تبطلها بالاتفاق.

الجواب التفصيلي:

أولاً: اتحاد المقصود في الصلاة والزكاة يرفع دعوى التشاغل.

إنَّ إخراج الزكاة أو التصدَّق ليس من الأمور الدنيوية حتى يكون شاغلاً عن الصلاة، بل هو من الأمور العبادية التي يكون الداعي فيها هو قصد التقرب إلى الله تعالى شأنه شأن الصلاة التي يشترط فيها قصد القربة، فاتحاد المقصود في كلا الأمرين يرفع دعوى التشاغل هذه، بل يمكن عدّ ذلك من أفضل الحالات، أي حين يجمع المكلف بين عبادتين في آن واحد، ومن هنا استحق هذا الفعل المدح من قبل المولى سبحانه وجعل ولاية صاحبه في عرض ولاية الله ورسوله ﷺ، ولا أدري بعد نصّ القرآن بمدح هذه الحالة وتقريرها كيف يستسيغ البعض طرح مثل هذا الإشكال؟! ولا أقول إلّا أن شرّ البلية ما يضحك حقاً.

ثانياً: حكم الصلاة مع الفعل القليل أو الكثير عند علماء أهل السنة.

وفي هذه العجالة نستعرض بعض أقوال علماء أهل السنة في بيان حكم الصلاة مع الفعل القليل أو الكثير، وهي كالآتي:

١ - قال ابن قدامة المقدسي في "الكافي في فقه ابن حنبل": «المشي والحك والتروح فإن كثر متوالياً أبطل الصلاة إجماعاً وإن قلّ لم يبطلها لما روى أبو قتادة أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، صلى وهو حامل أمّامة بنت أبي العاص بن الربيع إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها متفق

عليه وروى عنه أنه فتح الباب لعائشة وهو في الصلاة ولا فرق بين العمد والسهو فيه لأنه من غير جنس الصلاة»^(١).

٢- قال العثيمين في "الشرح الممتع على زاد المستقنع": «قَدَّرَ بعض العلماء الحركة الكثيرة بثلاث حركات، ولكن هذا التقدير ليس بصحيح؛ لأنَّ الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم فَتَحَ البابَ لعائشة، وكان البابُ في القبلة، فتقدَّم ورجَعَ. وفي صلاة الكسوف تقدَّم ورجَعَ وتأخَّر، وحين صُنِعَ له المنبرُ؛ صار يصلي عليه، فيصعد عند القيام والركوع، وينزل للأرض عند السجود، وعن أبي قتادة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يُصلي، وهو حامل أُمّامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها، وكلُّ هذه أفعال أكثر من ثلاث حركات»^(٢).

٣- قال ابن عبد الوهاب: «لا بأس بالإشارة بالعين واليد، لحديث جابر وغيره. ولا بأس بقتل الحية والعقرب؛ لأنه صلى الله عليه [وآله] وسلم أمر بقتلهما في الصلاة... ولا بأس بالعمل اليسير للحاجة، لحديث فتح الباب لعائشة، وإذا بدره البصاق بصق في ثوبه وحك بعضه ببعض، وإن كان في غير المسجد فإن أحب فعل ذلك، وإن أحب بصق عن يساره أو تحت قدمه»^(٣).

(١) الكافي في فقه ابن حنبل: ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ج ٣، ص ١٩٤.

(٣) مختصر الإنصاف والشرح الكبير: ج ١، ص ١٣٦، الكتاب مطبوع ضمن مجموعة مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني.

ثالثاً: أحاديث صحيحة تنص على عدم بطلان الصلاة بأكثر من ثلاث حركات.

نورد هنا جملة من الأحاديث الصحيحة التي استدلت بها علماء أهل السنة على جواز ثلاث حركات بل أكثر في الصلاة:

١ - حديث صلاة النبي ﷺ وحمله أُمّامة بنت أبي العاص:

روى البخاري في صحيحه، قال: «حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا الليث، حدّثنا سعيد المقبري، حدّثنا عمرو بن سليم، حدّثنا أبو قتادة، قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وأُمّامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلّى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رفعها»^(١).

فإن قيل: إنّ حديث حمل النبي ﷺ، أُمّامة بنت أبي العاص في صلاته، قد نسخ بقوله: «إنّ في الصلاة لشغلاً».

قلنا: من الثابت أنّ قصة حمل النبي ﷺ، أُمّامة بنت أبي العاص وهو في صلاته، كانت بعد الهجرة، حيث قدمت زينب وبنّتها إلى المدينة آنذاك، بينما حديث: «أنّ في الصلاة لشغلاً» كان قبل الهجرة، فدعوى النسخ هذه باطلة، ولا وجه لها، وقد ردّها علماء أهل السنة بلا مزيد عليه.

قال ابن حجر في الفتح: «إنّ النسخ لا يثبت بالاحتمال، وبأنّ هذه القصة كانت بعد قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم (إنّ في الصلاة

لشغلًا)؛ لأن ذلك كان قبل الهجرة، وهذه القصة كانت بعد الهجرة قطعًا بمدة مديدة... وحمل أكثر أهل العلم هذا الحديث على أنه عمل غير متوالٍ لوجود الطمأنينة في أركان صلاته، وقال النووي: ادّعى بعض المالكية أن هذا الحديث منسوخ، وبعضهم أنه من الخصائص، وبعضهم أنه كان لضرورة، وكل ذلك دعاوى باطلة مردودة لا دليل عليها، وليس في الحديث ما يخالف قواعد الشرع... والأعمال في الصلاة لا تبطلها إذا قلت أو تفرقت، ودلائل الشرع متظاهرة على ذلك، وإنما فعل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ذلك لبيان الجواز، وقال الفاكهاني: وكان السر في حمله أمانة في الصلاة دفعًا لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن، فخالفهم في ذلك حتى في الصلاة للمبالغة في ردعهم، والبيان بالفعل قد يكون أقوى من القول»^(١).

وجاء عن العيني في "عمدة القاري" قوله: «وقد رُدَّ هذا بأن قوله: "إنَّ في الصلاة لشغلًا"، كان قبل بدر عند قدوم عبد الله بن مسعود من الحبشة، وأنَّ قدوم زينب وبناتها إلى المدينة كان بعد ذلك، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان فيه إثبات النسخ بمجرد الاجتهاد، وروى أشهب وابن نافع عن مالك، أن هذا كان للضرورة، وادّعى بعض المالكية أنه خاص بالنبي، ذكره القاضي عياض، وقال النووي وكل هذه الدعاوى باطلة ومردودة، فإنه لا دليل عليها، ولا ضرورة إليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك، وليس فيه ما يخالف قواعد الشرع... ودلائل الشرع متظاهرة على أن هذه الأفعال في الصلاة لا تبطلها إذا

(١) فتح الباري: ج ١، ص ٤٨٩.

قُلْتُ أو تفرقت، وفَعَلَ النبي هذا بياناً للجواز وتنبهاً عليه»^(١).

٢- حديث فتح الباب لعائشة:

روى أحمد بن حنبل في مسنده: «حدَّثنا عبد الله، حدَّثني أبو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، قال: حدَّثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي، حدَّثنا بُرد عن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: استفتحت الباب ورسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قائم يصلي، فمشى في القبلة، إما عن يمينه وإما عن يساره حتى فتح لي ثم رجع إلى مصلاه»، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن^(٢).

٣- حديث قتل الأسودين:

روى الحاكم النيسابوري في مستدركه: «أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق وعلي بن حمشاد، قالوا: ثنا بشر بن موسى، ثنا الحميدي، ثنا سفيان عن معمر، وأخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدَّثني أبي، ثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، ثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ضمضم بن جوس عن أبي هريرة: (أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أمر بقتل الأسودين في الصلاة الحية والعقرب)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه، وضمضم بن جوس من ثقات أهل اليمامة، سمع من جماعة من الصحابة، وروى عنه يحيى بن أبي كثير، وقد وثقه أحمد بن حنبل) ووافقه الذهبي في

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ج ٤، ص ٣٠٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ٢٦٠١٤.

التلخيص على صحة الحديث^(١).

٤ - حديث دفع المار بين يدي المصلي:

جاء في "مسند أحمد بن حنبل": «حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا إسماعيل بن أبي فديك، ثنا الضحاك بن عثمان عن صدقة بن يسار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه، فإن أبى فليقاتله فإن معه القرين)، وعلّق عليه شعيب الأرناؤوط بقوله: صحيح، وهذا إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح^(٢).

وروى ابن ماجه في "سننه": «حدثنا هارون بن عبد الله الحمال والحسن بن داود المنكدر، قالوا: حدثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن صدقة بن يسار عن عبد الله بن عمر: (أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدا يمر بين يديه. فإن أبى فليقاتله. فإن معه القرين)، قال الألباني: صحيح»^(٣).

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ٣٨٦، ح ٩٣٩، ومسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٣٣، ح ٧١٧٨، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير ضميم فمن رجال أصحاب السنن.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٨٦، ح ٥٥٨٥.

(٣) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٣٠٧، ح ٩٥٥، وانظر صحيح البخاري، ج ٤، ص ٩٢، وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٥٧.

٥ - حديث الصلاة على المنبر:

قال الألباني في "تلخيص صفة صلاة النبي": «وتجوز صلاة الإمام على مكان مرتفع لتعليم الناس، يقوم عليه، فيكبر ويقرأ ويركع، وهو عليه، ثم ينزل القهقري حتى يتمكن من السجود على الأرض في أصل المنبر ثم يعود إليه. فيصنع في الركعة الأخرى كما صنع في الأولى»^(١).

ولعلّ المستند لهذا الحكم من الألباني هو ما رواه في "مختصر إرواء الغليل" من صلّاته صلى الله عليه [وآله] وسلم على المنبر ونزوله القهقري حيث سجد في أصل المنبر ثم عاد، وصرّح بأنّ هذا الحديث متفق عليه^(٢).

٦ - حديث التقدّم والتأخر في صلاة الكسوف:

جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عباس، أنه قال: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكت»^(٣)، قال: إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»^(٤).

وهذا الحديث فيه إشارة إلى التأخر ثم الرجوع، فلما تأخر رسول الله ﷺ، تأخر الناس، ولما تقدّم تقدّم الناس، وكان تأخره وتقدّمه من

(١) تلخيص صفة الصلاة، ص ٤.

(٢) مختصر إرواء الغليل، ص ١٠٩، حديث ٥٤٥، قال: صحيح.

(٣) تكعكت: أي تأخرت إلى الخلف.

(٤) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٨٣.

أجل أنه عرضت عليه النار فتأخر، ولما ذهب عرضها تقدّم، فتأخر الناس لتأخره، وتقدّموا لتقدّمه.

وقال الألباني في "إرواء الغليل": «حديث أنه صلى الله عليه [وآله] وسلم تقدّم، وتأخر في صلاة الكسوف صحيح، أخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحيهما من حديث جابر»^(١).

فتلخص ممّا تقدّم: أنّ ما فعله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، من التصدّق بخاتمه، يصدق عليه أنّه فعل قليل في قبال ما نقلته لنا الأحاديث المتقدّمة أنّما من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمستدل بها على عدم بطلان الصلاة بالفعل الكثير، بل يمكن القول: إنّ ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام، عند التصدّق بالخاتم حال الركوع ليس إلاّ إشارة، والإشارة باليد أثناء الصلاة لا تبطلها بالاتفاق.



(١) إرواء الغليل، ج ٢، ص ١٠٩.



مقالة في رد شبهة خطورة حديث (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة) على المجتمع الإسلامي

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- مصادر الحديث.
- شرح الحديث وبيان معناه من قبل علماء الشيعة.
- النفس البشرية ميالة بطبعها إلى ارتكاب المعاصي.

مقالة في رد شبهة خطورة حديث (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة) على المجتمع الإسلامي

تناقلت بعض منصات التواصل الاجتماعي المتخصصة في الشأن العقدي المناوئ لعقائد الشيعة الإمامية إشكالاً -بحسب تصور الناقل والكاتب- تتعلق بحديث (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة) مدعيًا أن هذا الحديث له الأثر البالغ في تحفيز المجتمع الإسلامي على ارتكاب الموبقات اعتمادًا على محبة عليٍّ عليه السلام في عدم ضررها في الآخرة.

نص الشبهة:

حديث (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة) من أخطر الأحاديث الشيعية على المجتمع الإسلامي؛ لأنها تشجع على ارتكاب المعاصي ونشر الفساد والفجور كالزنى والسرقة وغيرها اعتمادًا على حب علي رضي الله عنه، فما نشهده اليوم في الأوساط الشيعية من انتشار هذه المعاصي وارتكاب الموبقات كان سببها هذه الأحاديث وغيرها!!

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

إنّ هذا الحديث من الأحاديث النبوية الشريفة التي لا ينفرد بنقلها الشيعة فقط، وإنما ينقله ويرويه غيرهم من علماء أهل السنة أيضًا، وقد شرح علماء الشيعة الإمامية هذا الحديث، وبينوه للناس بما يرفع اللبس فيه، وأنّ المراد به أهل الإيمان، وليس كلّ أحد؛ لأنّ حبّه ﷺ لا يكون إلّا عند المؤمنين، وزعم انتشار المعاصي وارتكاب الموبقات في الأوساط الشيعية بسبب هذا الحديث ليس صحيحًا، وهو بجانب للصواب، ولا يمتّ إلى الواقع بصلّة، وكأنّه للتحامل والتعصب الأعمى أقرب، وهل الأوساط السنيّة الآن كلها لا توجد فيها معاصٍ ولا موبقات، وأهلها كلهم منزهون عن الذنوب حتّى خصصت الشيعة بهذا الكلام، والقرآن الكريم يقول بأنّ النفس البشرية ميّالة بطبعها إلى ارتكاب المعاصي إلّا ما رحم ربّي: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فما قولك إذن في ما ذكره الشيخ ابن باز في فتاواه، بقوله: (من مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئًا فإنه من أهل الجنة وإن زنى وإن سرق، وهكذا لو فعل معاصي أخرى كالعقوق والربا وشهادة الزور ونحو ذلك)^(٢).

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) فتاوى نور على الدرب، ج ٦، ص ٥١.

الجواب التفصيلي:

ونجيب عن هذه الشبهة على نحو التفصيل بما يقلع جذورها
ونجمل المتفوهين بها، عبر الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى: مصادر الحديث.

هذا الحديث من الأحاديث النبوية الشريفة التي لا يفرد بنقلها
الشيعة فقط، بل ينقله ويرويه غيرهم من علماء أهل السنة أيضًا،
ونذكر لك هنا جملة منهم:

- ١ - ذكره الخوارزمي في مناقبه: ص ٧٦ (ط النشر الإسلامي ١٤١٤ هـ).
- ٢ - ذكره الصفوري الشافعي في نزهة المجالس (ج ٢ ص ٢٠٧)، ومختصر
المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير) ص ١٦١.
- ٣ - ذكره المناوي في كنوز الحقائق (ط بولاق بمصر) ص ٥٣ و ٥٧ و ٦٧.
- ٤ - ذكره القندوزي في ينابيع المودة ص ١٨٠ و ٢٣٩ و ٢٥٢ و ٩١ و (ط دار
الأسوة ١٤١٦ هـ) ج ١ ص ٣٧٥ وج ٢ ص ٧٥ و ٢٩٢.
- ٥ - ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢: ١٤٢ ح ٢٧٢٥.
- ٦ - ذكره الدهلوي في فضائل الخلفاء ص ١٤٨.

الخطوة الثانية: شرح الحديث وبيان معناه من قبل علماء الشيعة.

لقد شرح العلماء هذا الحديث، وبينوه للناس بما يرفع اللبس فيه، قال السيد الخوانساري في "شرح مشارق الشموس": «إن قلت: ما تقول في ما ورد في الخبر من أن حبَّ عليٍّ حسنة لا يضر معها سيئة؟ قلت: يمكن تنزيل الضرر المنفي على الضرر الحقيقي الكامل الذي هو الخلود في النار، أعاذنا الله تعالى منها بفضلها الكامل ولطفه الشامل؛ فإنَّ حبَّ عليٍّ (عليه السلام) كمال الإيمان، وتمام الدين كما قال عزَّ من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾^(١)، ومع كمال الإيمان وتمامه بشرط الموافاة عليه لا يكون الخلود في النار؛ فإنَّ عذاب صاحب الكبيرة منقطع وكذلك بغضه وعدوانه عليه السلام كفر موجب للخلود في العذاب ودوام العقاب، فلا تنفع معه حسنة نفع النجاة والتخلص من النار، ويحتمل أيضًا: أن يكون خلوص حبه سببًا لأن يغفر الله بفضلها بعض الذنوب، ولأن يعصم ويحفظ عن الإتيان بالبعث، وأيضًا يمكن: أن يكون حبه باعثًا على شفاعته التي لا ترد»^(٢). انتهى.

فهذا الحديث يراد به أهل الإيمان، وليس كلَّ أحد؛ لأنَّ حبه عليه السلام لا يكون إلا عند المؤمنين، وهو مقتضى الحديث الصحيح الوارد في صحيح مسلم وغيره: (إنَّه لعهد النبي الأُمي صلى الله عليه وسلم

(١) المائدة: ٣.

(٢) شرح مشارق الشموس، ص ٣٩١.

إلى أنّه لا يحبّني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق^(١)، ومن كان كذلك فلا نتصور منه عمل السيئات اتكالا على حبّ علي عليه السلام، فهذا خلاف الإيمان، بل لا بدّ من حمل الحديث على معنى مناسب له، وقد أشار إليه السيد الخوانساري قبل قليل، فضلاً عن أنّ الشيعة يخضعون لمنظومة حديثة واضحة عن أئمتهم عليهم السلام تبين لهم سبل نجاتهم في الآخرة وضوابطها، كهذا الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام: «يا جابر، أيكفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه»^(٢).

وهذا الحديث الوارد عنه أيضاً عليه السلام في كلام له مع أحد أصحابه: «أبلغ شيعتنا أنّه لن ينال ما عند الله إلا بعمل، وأبلغ شيعتنا أنّ أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثمّ يخالفه إلى غيره»^(٣).

وقد أجاب فخر المحققين وأستاذ الفقهاء والمجتهدين السيد الخوئي عن سؤال وجه إليه، ونصه: «حب أهل البيت عليهم السلام وبغض أعدائهم بحد ذاته، إذا لم ينجر إلى عمل، ولم يدفع إلى عبادة، هل يفيد الإنسان؟»

فأجاب قدس سره: «حبهم ينفع، ولكن لم يعهد في القرآن، ولا الروايات الوعد بالعفو عن سيئاتهم، وبعض الروايات الواردة مثل "حب علي عليه السلام حسنة لا يضر معها سيئة" قد تتبعناه سابقاً فلم نجد ما يثبت العفو، نظير العفو الذي وعد الله في حق من اجتنب عن الكبائر، وأنه

(١) صحيح مسلم ج ١، ص ٦١.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٧٤؛ والأمال للصدوق: ص ٧٢٥؛ والأمال للطوسي: ص ٧٤٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٠.

سبحانه يعفو عن صغائره، ولكن يرجى أن حب الأئمة أوجب نيل شفاعتهم، والخلاص من عذاب النار، وهذا ليس وعدًا حتميًا حتى يوجب الاتكاء عليه في ارتكاب المحرمات، وترك الواجبات، والوعد الحتمي ينافي تشريع الأحكام من التكاليف الشرعية، ولو كان في البين روايات معتبرة لقولهم عليه السلام في الأخبار الصحيحة، كل ما خالف كتاب ربنا لم نقله، جاء به بر أو فاجر، والله العالم»^(١).

الخطوة الثالثة: النفس البشرية ميالة بطبعها إلى ارتكاب المعاصي.

فقوله: (فما نشهده اليوم في الأوساط الشيعية من انتشار هذه المعاصي وارتكاب الموبقات كان سببها هذه الأحاديث وغيرها). ليس صحيحًا، وهو مجانب للصواب، ولا يمت إلى الواقع بصلة، وكأنه للتحامل والتعصب الأعمى أقرب، وهل الأوساط السنية الآن كلها لا توجد فيها معاصٍ ولا موبقات، وأهلها كلهم منزهون عن الذنوب حتى خصصت الشيعة بهذا الكلام، والقرآن الكريم يقول بأن النفس البشرية ميالة بطبعها إلى ارتكاب المعاصي إلا ما رحم ربّي: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وهلم أخي لما ورد في صحاح أهل السنة من الأحاديث التي تغري بالمعاصي، كهذا الحديث الوارد في صحيح البخاري: (أن أبا الأسود الديلي

(١) صراط النجاة، السيد الخوئي، ج ٣، ص ٤١٧. السؤال ١٢٢٤.

(٢) يوسف: ٥٣.

حدّثه أنّ أبا ذر حدّثه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثمّ أتيتّه وقد استيقظ، فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثمّ مات على ذلك إلا دخل الجنة «قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق «قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق «ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»^(١).

قال ابن حجر العسقلاني في "الفتح": «قال الطيبي: قال بعض المحققين: قد يُتخذ من أمثال هذه الأحاديث المبطلّة ذريعة إلى طرح التكاليف وإبطال العمل ظناً أن ترك الشرك كافٍ، وهذا يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود وأن الترغيب في الطاعة والتحذير عن المعصية لا تأثير له، بل يقتضي الانخلاع عن الدين والانحلال عن قيد الشريعة والخروج عن الضبط والولوج في الخط وترك الناس سدى مهملين، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد أن يفضي إلى خراب الأخرى»^(٢).

وفي أن المسلمين جميعاً سيدخلون الجنة يقول الشيخ ابن باز: (من مات على التوحيد لا يشرك بالله شيئاً فإنه من أهل الجنة وإن زنى وإن سرق، وهكذا لو فعل معاصي أخرى كالعقوق والربا وشهادة الزور ونحو ذلك)^(٣).



(١) صحيح البخاري: ج ٧، ص ١٤٩، باب الثياب البيض.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ١١، ص ٢٧٠.

(٣) فتاوى نور على الدرب، ج ٦، ص ٥١.



مقالة في رد شبهة مبايعة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- نظرة في سند الحديث.
- النبي ﷺ هو من قال اقتلوا معاوية، وهو من أخبر عن الصلح معه!
- صلح وليس بيعة!
- الخلافة منصب إلهي ليس للإمام التنازل عنه.

مقالة في رد شبهة مبايعة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية

كتب بعضهم يقول: «ما بال الشيعة يحتجون بهذا الحديث «إذا رأيت معاوية على منبري فاقتلوه» وقد بايع الحسن معاوية، وتنازل له عن الخلافة، ذلك المنصب الإلهي؟ هل قال الرسول: إذا لقيتم معاوية فاقتلوه أو قال: بايعوه وسلموه الخلافة؟!

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - الحديث لا مغمز فيه إلا من ناحية إرساله، وهو لا يعدُّ علة في مثل المقام؛ إذ لا يهم القوم أن يعرفوا الصحابة الراوين للحديث، لعدالة الصحابة كلهم عندهم، فالحديث صحيح، وإرساله يجبر بإسناد متصل.

٢ - النبي صلى الله عليه وآله هو من قال: اقتلوا معاوية، وهو من أخبر عن الصلح معه! وإلزامًا للخصم لا تسليمًا بمروياته، نورد له رواية البخاري التي تضمنت إخبار النبي صلى الله عليه وآله عن هذا الصلح، فقد روى البخاري عن أبي بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، والحسن بن

علي إلى جانبه على المنبر: «ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١). إذن، فقد عُلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو مَنْ قال اقتلوا معاوية، وعُلِمَ -أيضاً- أَنَّهُ نَفْسُهُ ﷺ، هو من أخبر عن الصلح معه! وهذا من التعارض الواضح.

٣ - ثمة فرق ما بين الصلح والبيعة، فمقتضى الصلح هو رفع الخصومة بين المتنازعين ووقف القتال، ومقتضى البيعة هو معاقدة على الإمارة والطاعة لولي الأمر، وشتان ما بين المفهومين، وما وقع بين الإمام الحسن عِيسَى وبين معاوية هو الصلح ليس إلا، بل الالفت للنظر أَنَّ شروط الصلح التي أملاها الإمام الحسن عِيسَى على معاوية بناءً على مطالبته به تقتضي أَنْ يكونَ الإمام عِيسَى أميراً على معاوية، فالأمير هو من يأمر فيؤتمر له، وما أثبتته الوثائق التاريخية التي لا يمكن إغفالها أو تجاهلها بحال من الأحوال أَنَّ معاوية قد قبل بكل شروط الإمام الحسن عِيسَى التي أملاها عليه، فإن مَنْ يرسل صحيفة بيضاء، ويختتم في أسفلها فهو بحكم الإقرار منه بمحكوميّته من قَبْل أن يُسَطَّرَ فيها أي شرط، وهذا بحد ذاته كافٍ في نسف المدّعى من أساسه وانقلاب الأمر - بزعم أَنَّهُ معاوية - إلى مأمور على وفق الشروط المُملأة عليه.

٤ - اشتهر إطلاق مصطلح "الخلافة" عند أهل السنة وصفاً للحكومات التي خلفت النبي ﷺ، صالحها وفاسدها، والتي تثبت لمن يقوم مقام النبي ﷺ بالاختيار، ويطلق عليها الخلافة الظاهرية ورئاسة الحكومة والإمارة، بينما الخلافة عندنا - الشيعة الإمامية - لا

تثبت إلا بنص النبي ﷺ، وأنها نيابة عن النبي ﷺ في جميع شؤونه، فتكون خلافة عن الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يتضح لك الفرق بين القيادة الدنيوية وحكومة الناس (الخلافة الظاهرية)، وبين الخلافة الإلهية، في أن الدنيوية تعني الحكم والسلطة، أما الدينية فهي تُعدّ منصباً إلهياً، واستمراراً للنبوّة في وظائفها، باستثناء ما يتعلق بالوصي، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ وهذا معناه أن الإمامة منصبٌ إلهي وجعل من الله سبحانه وتعالى.

وقد تنفصل الخلافة الدينية عن الدنيوية كما حصل ذلك مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عندما غُصبت خلافته وحصل فصلٌ بين إمامته الدينية والدنيوية، دام سنين، فهذا الفصل لا يجرّد الإمام عليه السلام عن إمامته بالمعنى الديني والقرآني، وكذلك باقي الأئمة المعصومين من ولده عليه السلام، وما أفضى إليه الصلح لا يُثبت لمعاوية أكثر من القيادة الدنيوية على الناس، وأما مفردة (الخلافة) الواردة في نص الشبهة أو ما دار على الألسن، فمغالطة واضحة يراد منها إثبات الخلافة الظاهرية لمعاوية كما هو حال أبي بكر وعمر وعثمان، ولكن حتى هذا المعنى لا يُثبت لمعاوية، فقد أنكر بعض الصحابة على معاوية دعواه الخلافة، منهم سعد بن أبي وقاص، وهو من رجال الشورى الذين عينهم عمر، وعائشة بنت أبي بكر.

الجواب التفصيلي:

والجواب عن هذه الشبهة تفصيلاً من وجوه:

أولاً: نظرة في سند الحديث.

أخرج البلاذري في تاريخه الكبير، قال: حدثنا يوسف بن موسى وأبو موسى إسحاق الفروي، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد والأعمش عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. فتركوا أمره فلم يفلحوا، ولم ينجحوا.

رجال الإسناد:

١- يوسف بن موسى، أبو يعقوب الكوفي. من رجال البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة في صحاحهم، وثقه غير واحد.

٢- جرير بن عبد الحميد، أبو عبد الله الرازي، من رجال الصحاح الست، مجمع على ثقته.

٣- إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي الكوفي، أحد رجال الصحاح الست، متفق على ثقته.

٤- الأعمش سليمان بن مهران، أبو محمد الكوفي، أحد رجال الصحاح الست، ليس في المحدثين أصدق منه.

٥- الحسن البصري، أحد رجال الصحاح، مجمع على ثقته.

فلم يبق في الحديث غمز إلا من ناحية إرساله، وهو لا يعد علة في مثل المقام؛ إذ لا يهم القوم أن يعرفوا الصحابة الراوين للحديث لعدالة الصحابة كلهم عندهم. فالحديث صحيح لا مغمز فيه، وإرساله يجبر بإسناد متصل، قال البلاذري:

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية فقلنا له: لا تسل السيف في عهد عمر حتى نكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قالوا: ونحن سمعناه، ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه، فلم يأتهم جواب حتى مات.

رجال الإسناد:

١- إسحاق بن أبي إسرائيل، أبو يعقوب المروزي، من رجال البخاري في الأدب المفرد وأبي داود والنسائي، وثقه ابن معين، والدارقطني، والبغوي، وأحمد بن حنبل.

٢- حجاج بن محمد المصيصي، أبو محمد الأعور، أحد رجال الصحيحين وبقية الصحاح.

٣- حماد بن سلمة، أبو سلمة البصري، من رجال مسلم في صحيحه، والبخاري في التعاليق وبقية أصحاب السنن، أجمع أئمة أهل النقل على ثقته وأمانته.

٤- علي بن زيد بن جدعان، أبو الحسن البصري، من رواة مسلم في صحيحه، والبخاري في الأدب المفرد، وأصحاب السنن، شيعي ثقة صدوق.

٥- أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي البصري، من رجال صحيح مسلم، والتعاليق للبخاري، وبقية السنن، وثقه ابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وابن سعد، وأحمد بن حنبل.

٦- أبو سعيد الخدري الصحابي الشهير^(١).

ثانياً: النبي ﷺ هو من قال اقتلوا معاوية، وهو من أخبر عن الصلح معه!

تقدم أنه صح عنه ﷺ قوله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، الأمر الذي تمسك به صاحب الشبهة ولسان حاله يقول: إن الحسن بن علي الإمام المعصوم خالف أمر جده، فبدلاً من قتله معاوية بن أبي سفيان تصالح معه.

وإلزاماً للخصم لا تسليماً بمروياته، نورد له رواية البخاري التي تضمنت إخبار النبي ﷺ عن هذا الصلح، فقد روى البخاري عن أبي بكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، والحسن بن علي إلى جانبه على المنبر: «ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من

(١) يُنظر: موسوعة الغدير، الأميني، ج ١٠، ص ١٤٤-١٤٥.

المسلمين»^(١). إذن، فقد عُلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو مَنْ قال: اقتلوا معاوية، وعُلِمَ -أيضاً- أَنَّهُ نَفْسُهُ ﷺ هو مَنْ أَخْبَرَ عَنِ الصَّلَاحِ مَعَهُ! وهذا من التعارض الواضح.

فكاتب الشبهة أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يوجّه اعتراضه إلى النبي ﷺ بالتناقض -حاشاه ﷺ- ولا يجرؤ على ذلك، أو يكذب أحد الحديثين، فيقع في محذور المكذب لحديث الرسول، وقد قرر علماء أهل السنة أن من ردّ حديثاً صحيحاً، أو كذّبه فهو كافر حتى قال ابن الوزير في كتابه: "العواصم والقواصم": «إن التكذيب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم أنه حديثه كفر صريح»^(٢)، وقال إسحاق بن راهويه: «من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر»^(٣)، وقال جلال الدين السيوطي في كتابه: "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة": «فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام، وحشر مع اليهود والنصارى أو من شاء من فرق الكفرة»^(٤).

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٤، ح ٣٦٢٩.

(٢) العواصم والقواصم: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٣) الإحكام، ابن حزم، ج ١، ص ٨٩.

(٤) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: ص ٥.

ثالثاً: صلح وليس بيعة!

ثمة فرق ما بين الصلح والبيعة، فالصلح في اللغة في معناه العام بمعنى: إزالة الفساد وإحلال الخير والصلاح عمومًا، وفي معناه الخاص: إزالة الشقاق وإنهاء الخصومات ووقف العداءات^(١).

أما معناه في الاصطلاح فمأخوذ من معناه اللغوي، وقد عرّفه صاحب "الروض المربع"، بقوله: «معاقدة يُتوصل بها إلى إصلاح بين المتخاصمين»^(٢). وعرّفه ابن قدامة في "المغني": «معاقدة يُتوصل بها إلى الإصلاح بين المختلفين، ويتنوع أنواعًا؛ صلح بين المسلمين وأهل الحرب، وصلح بين أهل العدل وأهل البغي»^(٣).

وأما المقصود من البيعة في مفهومها اللغوي: إعطاء شيء مقابل ثمن معين، أو إعطاء العهد بقبول ولاية أو خلافة^(٤).

وأما معناها في الاصطلاح، فقد عرّفها ابن الأثير بقوله: «البيعة: المعاقدة على الإسلام والإمامة والإمارة، والمعاهدة على كل ما يقع عليه اتفاق»^(٥)، وعرّفها ابن خلدون، فقال: «البيعة: العهد على الطاعة لولي الأمر»^(٦).

(١) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ج ١، ص ٥٨٧، ولسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥١٧.

(٢) الروض المربع، البهوتي، ص ٣٧٩.

(٣) المغني، ابن قدامة، ج ٤، ص ٣٥٧.

(٤) يُنظر: المعجم العربي الأساسي، جماعة من كبار اللغويين العرب، ص ١٨٨.

(٥) جامع الأصول: ج ١، ص ٢٥٢.

(٦) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٢٠٩.

إذن، فمقتضى الصلح هو رفع الخصومة بين المتنازعين ووقف القتال، ومقتضى البيعة هو معاهدة على الإمارة والطاعة لولي الأمر، وشتان ما بين المفهومين.

إنَّ ما وقع بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان هو الصلح ليس إلا، ويؤكد هذا أنَّ المبادر بطلب الصلح هو معاوية، قال ابن حجر في "الفتح": «إنَّ المحفوظ أنَّ معاوية هو الذي بدأ بطلب الصلح»^(١)، ومن قراءة الشروط التي أملاها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية سيجد الباحث عن الحق أنَّ دلالتها لا تمت بصلة لمفهوم البيعة لا من قريب ولا من بعيد.

إنَّ شروط الصلح التي أملاها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية بناءً على مطالبته به، تقتضي أنَّ يكون الإمام عليه السلام أميرًا على معاوية، فالأمر هو من يأمر فيؤتمر له، وما أثبتته الوثائق التاريخية التي لا يمكن إغفالها أو تجاهلها بحال من الأحوال أنَّ معاوية قد قبل بكل شروط الإمام الحسن عليه السلام التي أملاها عليه، وأنَّ من يرسل صحيفة بيضاء ويختتم في أسفلها^(٢) فهو بحكم الإقرار منه بمحكوميته من قبل أن يُسَطَّر فيها أي شرط، وهذا بحد ذاته كافٍ في نسف المدَّعى من أساسه وانقلاب الأمر - بزعم أنَّه معاوية - إلى مأمور على وفق الشروط المُملأة عليه.

وهنا لا بدَّ من ذكر البنود التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على

(١) فتح الباري، ج ١٣، ص ٦٣.

(٢) يُنظر: أنساب الأشراف، للبلاذري، ج ٣، ص ٤١، والكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ٣، ص ٦، وتاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٣٢٨.

معاوية لتتضح الصورة التي أُريدُ أن أقف عندها، ومن هذه البنود:

١- تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وبسيرة الخلفاء الصالحين.

٢- أن لا يسميه أمير المؤمنين.

٣- أن لا يقيم عنده شهادة.

٤- أن لا يتعقب على شيعة عليٍّ شيئاً.

٥- أن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج دار أبحراده.

٦- أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث فلا أخيه الحسين.

٧- ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد.

٨- أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلوات وأن لا يذكره إلا بخير^(١).

فالمأمل في هذه البنود سيجد أنها بنفسها تنفي دعوى بيعة الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، فالبيعة -وقد مر بيانها- هي معاقدة على الإمارة والطاعة لولي الأمر، وأين هذا من كل ما شرطه الإمام عليه السلام على معاوية؟!

(١) صلح الحسن، راضي آل ياسين، ص ٢٥٨.

رابعاً: الخلافة منصب إلهي ليس للإمام التنازل عنه.

الخلافة لغةً تعني ما يجيء من بعد، كأن يقال: هو خلف صدق من أبيه. وتأتي بمعنى النيابة عن الغير كما في الآية الكريمة: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾^(١).

وأما اصطلاحاً فإنها ذكرت في القرآن الكريم لتعبّر عن مفهوم في غاية السمو والرفعة، وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالى من ينوب عنه، ويقوم مقامه في تحمّل مسؤولية إعمار الأرض وتسخير مقدراتها وخيراتها، بل كل ذرة في الكون من أجل السير بالبشرية نحو سعادتها الحقيقية^(٢).

وقد اشتهر إطلاق مصطلح "الخلافة" عند أهل السنة وصفاً للحكومات التي خلفت النبي ﷺ، صالحها وفاسدها، والتي تثبت لمن يقوم مقام النبي ﷺ بالاختيار، ويطلق عليها الخلافة الظاهرية ورئاسة الحكومة والإمارة.

بينما الخلافة عندنا -الشيعية الإمامية- لا تثبت إلا بنص النبي ﷺ، وقد اتضحت حقيقتها قبل أسطر في أنها نيابة عن النبي ﷺ، في جميع شؤونها، فتكون خلافة عن الله سبحانه وتعالى.

ومن هنا يتضح لك الفرق بين القيادة الدنيوية وحكومة الناس "الخلافة الظاهرية"، وبين الخلافة الإلهية، أن الدنيوية تعني الحكم والسلطة، أمّا الدينية فهي تعدّ منصباً إلهياً، واستمراراً للنبوّة في

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) أزمة الخلافة والإمامة، ص ٢١.

وظائفها، باستثناء ما يتعلق بالوصي، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ وهذا معناه أن الإمامة منصب إلهي وجعل من الله سبحانه وتعالى.

وقد تنفصل الخلافة الدينية عن الدنيوية كما حصل ذلك مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عندما غُصبت خلافته، وحصل فصل بين إمامته الدينية والدنيوية، دام سنين، فهذا الفصل لا يجرّد الإمام عليه السلام عن إمامته بالمعنى الديني والقرآني، وكذلك باقي الأئمة المعصومين من ولده عليه السلام.

وما أفضى إليه الصلح لا يثبت لمعاوية أكثر من القيادة الدنيوية على الناس، وأما مفردة (الخلافة) الواردة في نص الشبهة أو ما دار على الألسن، فمغالطة واضحة يراد منها إثبات الخلافة الظاهرية لمعاوية كما هو حال أبي بكر وعمر وعثمان، ولكن حتى هذا المعنى لا يثبت لمعاوية، فقد أنكر بعض الصحابة على معاوية دعواه الخلافة، منهم سعد بن أبي وقاص - وهو من رجال الشورى الذين عينهم عمر - عندما دخل على معاوية، فقال: «السلام عليك أيها الملك»، فقال له: "فهلّا غير ذلك؟ أنتم المؤمنون وأنا أميركم". قال: "نعم، إن كنا أمّرك" (١)، وفي لفظ «نحن المؤمنون، ولم نؤمرك» (٢).

وممن أنكر عليه الخلافة أيضاً عائشة، فقال عند بلوغه إنكارها:

(١) فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٩٨٨، ح ١٩٥٥. مصنف عبد الرزاق، ج ١٠، ص ٣٩٠، ح ١٩٤٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي، ج ٤، ص ٢٢٠.

«عجباً لعائشة تزعم أنني في غير ما أنا أهله، وأن الذي أصبحت فيه ليس لي بحق، ما لها ولهذا، يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أوعجب ذلك يا معاوية؟ قال: إي والله، قال: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ قال: ما هو؟ قال: جلوسك في صدر المجلس وأنا عند رجلك»^(١).

وهذا يكشف بوضوح أن معاوية ليس إلاً ملكاً وحاكماً، وأن الإمام الحسن عليه السلام لم يتنازل عن الخلافة الإلهية، كيف؟ وهي منصب إلهي، وتعيين إمام للناس وخليفة لهم إنما يكون من قبل الله عز وجل، فليس للإمام نزع ثوب ألبسه الله إياه، وإنما تنازل له عن الخلافة الظاهرية التي تعني الحكم والسلطة على وفق شروط ذكرناها في ما سبق.



(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٤٢.



مقالة في رد شبهة

إمارة معاوية على الإمام الحسن بن علي عليه السلام بمقتضى معاهدة الصلح

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- تعريف الصلح لغةً واصطلاحاً.
- (لا يَلِينَ مُفَآءٌ عَلَى مُفِئَةٍ) والمفء معاوية بن أبي سفيان.
- شروط الصلح تقتضي أن يكون الحسن عليه السلام أميراً على معاوية.

مقالة في رد شبهة إمارة معاوية على الإمام الحسن بن علي عليه السلام بمقتضى معاهدة الصلح

كتب بعضهم يقول: إنَّ معاهدة الصلح التي وقعت بين الحسن (رضي الله عنه) وبين معاوية، جعلت من معاوية أميرًا على الحسن (رضي الله عنه).

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - الصلح هو: كل ما يوفَّق به بين الناس، ويتحقق به رفع النزاع، أو وقف القتال، أو قطع الخصومة الواقعة بين طرفين. إذن، مقتضى الصلح هو رفع الخصومة بين المتنازعين ووقف القتال، فأين المقتضى في الصلح الذي يوجب أن يكون أحد المتخاصمين أميرًا على خصمه الآخر؟!.. هذا ما لم يقل به أحدٌ، ولم يُسمع من جاهلٍ فضلًا عن عالم، فالإقتضاء المدَّعى لا يساعد عليه العرف ولا الشرع ولا اللغة.

٢ - من الأمور التي تنقض المدَّعى، وتستأصل الشبهة من جذورها حديث رسول الله ﷺ: (لَا يَلِيَنَّ مُفَآءً عَلَى مُفِيٍّ)، المفاء: هو الذي

افتتحت بلدته، فصارت فيئاً للمسلمين، كأنه قال: لا يَلِينُ أحدٌ من أهل السواد على الصحابة والتابعين الذين افتتحوه عنوة، ف (المُفَاء) هو الذي صار فيئاً للمسلمين، و (المُفْيءُ) هو كل مسلم أخذ ذلك المُفَاء عنوةً، فلو كان ذلك المُفَاء المأخوذ كبيراً يجوز للمسلمين قتله، وإطلاقه مَنّاً أو فداءً، ولو كان صغيراً لم يبلغ الحُلُم جاز لهم استرقاقه، وكذلك إطلاقه مَنّاً أو فداءً، والمراد ب (المُفَاء) في الحديث هو الذي صار طليقاً بالَمَنِّ عليه، صغيراً كان أو كبيراً، والطلاق هو اسمٌ لكلٍّ من كان بمكة يوم الفتح، وَمَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ لقوله لهم: أنتم الطُّلُقَاء، وكان الصحابة يسمُّون قريشاً الذين أطلقهم النبي ﷺ حين فتح مكة: الطُّلُقَاء، ويسمُّون أبناءهم: أبناء الطُّلُقَاء، وفي هذا الصدد روي عن عمر أنه قال: إِنَّ هذا الأمر -يعني الخلافة- لا يصلح للطلُّقاء، ولا لأبناء الطُّلُقَاء. فكانت هذه سمةً لهم ولأبنائهم، حتى صارت كالنسب لشهرتها واستفاضتها، وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن معاوية بن أبي سفيان من الطُّلُقَاء.

٣- إنَّ شروط الصلح التي أملاها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية هي التي تقتضي أن يكون الإمام الحسن عليه السلام أميراً على معاوية وغيره، فالأمير هو من يأمر فيؤتمر له، وما أثبتته الوثائق التاريخية التي لا يمكن إغفالها أو تجاهلها بحال من الأحوال أن معاوية قد قبل بكل شروط الإمام الحسن عليه السلام التي أملاها عليه، وإنَّ مَن يرسل صحيفة بيضاء، ويختتم في أسفلها يُعدّ مقراً بمحكوميّته، وهذا بحد ذاته كافٍ في نسف المدّعى من أساسه وانقلاب الأمر إلى مأمور.

الجواب التفصيلي:

أولاً: تعريف الصلح لغةً واصطلاحاً:

الصلح في اللغة من صَلَحَ يَصْلَحُ وَيَصْلِحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا زال عنه الفساد، والصلاح ضد الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها، فصلحت، واصطلاح القوم: زال ما بينهم من عداوة وشقاق، قال ابن فارس: (الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد)^(١)، والصلح إنهاء الخصومة، وتصلح القوم بينهم، والصلح السلم، وهي المسالمة بعد المنازعة، وقد اصطلحوا، وصالحوا، وتصلحوا، واصالحوا بتشديد الصاد، قلبوا التاء صادًا، وأدغموها في الصاد بمعنى واحد، وقوم صلوح متصالحون، كأنهم وصفوا بالمصدر، والصلاح بكسر الصاد مصدر المصالحة والعرب تؤنثها، والاسم الصلح يذكر ويؤنث، وأصلح ما بينهم وصالحهم مصالحةً وصلحاً^(٢).

وقال الأصفهاني: (والصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس، يقال منه اصطلحوا، وتصلحوا)^(٣).

فالصلح في اللغة في معناه العام بمعنى إزالة الفساد وإحلال الخير

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ج ٣، ص ٣٠٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج ٢، ص ٥١٧.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني: ج ١، ص ٥٨٧.

والصلح عمومًا، وفي معناه الخاص: إزالة الشقاق وإنهاء الخصومات ووقف العداءات.

أمّا معنى الصلح في الاصطلاح فمأخوذ من معناه اللغوي، وقد عرّفه صاحب (الروض المربع)، بقوله: (معاقدة يُتوصل بها إلى إصلاح بين المتخاصمين)^(١)، وعرّفه ابن قدامة في (المغني): (معاقدة يُتوصل بها إلى الإصلاح بين المختلفين، ويتنوع أنواعًا؛ صلح بين المسلمين وأهل الحرب، وصلح بين أهل العدل وأهل البغي)^(٢).

وملخص القول في الصلح هو: كل ما يوفق به بين الناس، ويتحقق به رفع النزاع، أو وقف القتال، أو قطع الخصومة الواقعة بين طرفين.

إذن، فمقتضى الصلح هو رفع الخصومة بين المتنازعين ووقف القتال، فأين المقتضي في الصلح الذي يوجب أن يكون أحد المتخاصمين أميرًا على خصمه الآخر، هذا ما لم يقل به أحدٌ، ولم يُسمع من جاهلٍ فضلًا عن عالم، فالأقتضاء المدعى لا يساعد عليه العرف ولا الشرع ولا اللغة.

(١) الروض المربع للبهوتي: ٣٧٩.

(٢) المغني لابن قدامة: ج ٤، ص ٣٥٧.

ثانياً: (لا يَلِينُ مُفَاءً عَلَى مُفِيٍّ) والمفء معاوية بن أبي سفيان.

من الأمور التي تنقض المدعى، وتستأصل الشبهة من جذورها حديث رسول الله ﷺ: (لا يَلِينُ مُفَاءً عَلَى مُفِيٍّ)^(١)، قال ابن الأثير في "النهاية": (المفء: الذي افتتحت بلدته وكورته، فصارت فيئاً للمسلمين، يُقال: أفأت كذا: أي صيرته فيئاً، فأنا مفِيٌّ، وذلك الشيء مُفَاء، كأنه قال: لا يَلِينُ أَحَدٌ من أهل السواد على الصحابة والتابعين الذين افتتحوه عنوة)^(٢).

وقال الزمخشري في "الفائق" ما نصّه: لا يحل لامرئ أن يؤمّر مُفَاءً عَلَى مُفِيٍّ. أي يؤمّر مولى على عربيٍّ؛ لأنّ الموالي فيئهم^(٣).

ف (المُفَاء) هو الذي صار فيئاً للمسلمين، و(المُفِيٌّ) هو كل مسلم أخذ ذلك المُفَاء عنوةً، فلو كان ذلك المُفَاء المأخوذ كبيراً يجوز للمسلمين قتله، وإطلاقه مَنّاً أو فداءً، ولو كان صغيراً لم يبلغ الحُلُم جاز لهم استرقاقه، وكذلك إطلاقه مَنّاً أو فداءً.

لكنّ المراد بـ (المُفَاء) في هذا الحديث: هو الذي صار طليقاً بالمنّ عليه، صغيراً كان أو كبيراً.

وفي معنى (الطليق)، قال ابن حجر العسقلاني في "نزهة الألباب"

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٣، ص ٤٨٣؛ ويُنظر: غريب الحديث لابن الجوزي: ج ٢، ص ٢١٣.

(٣) الفائق في غريب الحديث: ج ٣، ص ١٥٢؛ ويُنظر: المحيط في اللغة: ج ٢، ص ٤٨١؛ والعباب الزاخر: ص ٣٣.

ما نصُّه: (الطلاق اسمٌ لكلِّ من كان بمكة يوم الفتح، ومَنَّ عليه رسولُ الله ﷺ لقوله لهم: أنتم الطُّلقاء) (١).

ولا يخفى على ذوي العقول والحجى من المسلمين في شرق الأرض ومغربها، بأن معاوية بن أبي سفيان من الطُّلقاء إلى الحدِّ الذي لا يشك في ذلك عاقل، ولا يتردد، قال أبو بكر الجصاص: (والثالث: قوله: (أنتم الطُّلقاء)، وبلغ من استفاضة ذلك في الأمة، أن الصحابة كانوا يسمُّون قريشًا الذين أطلقهم النبي ﷺ حين فتح مكة: الطُّلقاء، مثل: سهيل بن عمرو، ومعاوية، وأشباههما من الناس، حتى كانوا يسمُّون أبناءهم: أبناء الطُّلقاء. وقال عمر: إنَّ هذا الأمر -يعني الخلافة- لا يصلح للطُّلقاء، ولا لأبناء الطُّلقاء. فكانت هذه سمةً لهم ولأبنائهم، حتى صارت كالنسب لشهرتها واستفاضتها) (٢).

ورَوَى المتقي الهندي في (كنز العمال) بسندٍ ينتهي إلى المطلب بن عبد الله بن حنطب، وأبي جعفر، أنَّهما قالَا: (قال عمر لأهل الشورى: إنَّ اختلفتم دخل عليكم معاوية بن أبي سفيان من الشام...) (٣).

وروى ابن عساكر في تأريخه ما كتبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية في كتابٍ يقول فيه بعد كلامٍ طويل، اقتطعنا منه محلَّ الشاهد: (واعلم يا معاوية أنَّك من الطُّلقاء الذين لا تحلُّ لهم الخلافة،

(١) نزهة الألباب لابن حجر العسقلاني: ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) شرح مختصر الطحاوي للجصاص: ج ٧، ص ١١٠.

(٣) كنز العمال للمتقدي الهندي: ج ٥، ص ٧٣٥.

ولا تعرض فيهم الشورى^(١).

إذن، فمعاوية ممن كان المسلمون حاكمين عليه بالقتل أو الاسترقاق، ولم يفعلوا ذلك، بل تكرموا، ومنّوا عليه بالإطلاق، فولاية القتل والاسترقاق ثابتة لهم كما في ولاء العتق، فلم يكن لمعاوية ولغيره من الطُّلقاء أن يأمر، ولا أن ينهى، ولا أن يتأمر على المسلمين قضاءً لحقوق تلك الولاية.

ووجه ذلك أن المسلمين هم الذين وهبوا له آثار الحياة والحرية، بحيث صار يأمر، وينهى نفسه، يذهب، ويجيء حيث يشاء، فلو صار يأمر، وينهى المسلمين، ويتأمر عليهم، صار كعبدٍ يتحكم بمولاه، وهذا منقوض بولاية المسلمين على الطُّلقاء.

هذا مرمى قوله ﷺ: (لا يَلَيْنَ مُفَاءً على مفيء) أي لا يكون الطليق أميرًا على المسلمين أبدًا، ولو تأمر عليهم لكان غاصبًا لحق الإمارة، ظالمًا لهم بحكم الشرع والعقل والاعتبار، فحيث كان معاوية طليقًا لم يكن له أن يتأمر على المسلمين.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٥٩، ص ١٢٨.

ثالثًا: شروط الصلح تقتضي أن يكون الحسن عليه السلام أميرًا على معاوية.

تقدم أن الصلح يقتضي رفع النزاع، أو وقف القتال، أو قطع الخصومة الواقعة بين طرفين، وأنه لا يُتصورُ بوجهٍ من الوجوه اقتضاؤه إمرة أحد المتخاصمين على الآخر، فالصلح المبرم بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان، مقتضاه وقف القتال ورفع النزاع، وليس من مقتضيات الصلح إمرة معاوية على الإمام الحسن عليه السلام، وليس لهم على ذلك من دليل، بل الدليل على العكس؛ لأمر منها: الأول: أن الخلافة كما ذاع، واشتهر لا تصلح للطلاق ولا لأبناء الطلاق وقد بينّا ذلك في الخطوة الثانية، ومعاوية بن أبي سفيان طليق وابن طليق، وهذا الأمر مما تسالمت عليه الأمة الإسلامية خلفًا عن سلف.

الثاني: أن شروط الصلح التي أملاها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية هي التي تقتضي أن يكون الإمام الحسن عليه السلام أميرًا على معاوية وغيره، فالأمير هو من يأمر، فيؤتمر له، وما أثبتته الوثائق التاريخية التي لا يمكن إغفالها أو تجاهلها بحال من الأحوال أن معاوية قد قبل بكل شروط الإمام الحسن عليه السلام التي أملاها عليه، وأن من يرسل صحيفة بيضاء، ويختتم في أسفلها يعدّ مقرًا بمحكوميته.. وهذا بحد ذاته كافٍ في نسف المدعى من أساسه وانقلاب الأمر إلى مأمور^(١).

(١) يُنظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٣، ص ٤١؛ والكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣، ص ٦؛ وتاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٣٢٨.

نقل العلامة المجلسي رحمته الله في البحار عن الشيخ الصدوق، قال: (... حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مَازَنْ الرَّاسِبِيِّ، قَالَ: بَايَعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام معاويةَ عليَّ أَنْ لَا يَسْمِيَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَقِيمَ عِنْدَهُ شَهَادَةً، وَعَلَى أَنْ لَا يَتَعَقَّبَ عَلَى شِيعَةِ عَلِيٍّ عليه السلام شَيْئًا، وَعَلَى أَنْ يَفَرِّقَ فِي أَوْلَادِ مَنْ قُتِلَ مَعَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَأَوْلَادِ مَنْ قُتِلَ مَعَ أَبِيهِ بِصَفِينِ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَرَجِ دَارِ أَبِجَرْدٍ.

قال: وما ألطف حيلة الحسن عليه السلام في إسقاطه إياه عن إمرة المؤمنين، قال يوسف: فسمعت القاسم بن محيمة يقول: ما وفى معاوية للحسن بن عليٍّ عليه السلام بشيءٍ عاهده عليه، وإنِّي قرأتُ كتابَ الحسن عليه السلام إلى معاوية يعدّد عليه ذنوبه إليه وإلى شيعة عليٍّ عليه السلام، فبدأ بذكر عبد الله بن يحيى الحضرمي ومن قتلهم معه.

فنقول: رحمك الله، إنَّ ما قال يوسف بن مازن من أمر الحسن عليه السلام ومعاوية عند أهل التمييز والتحصيل تسمى المهادنة والمعاهدة، أ لا ترى كيف يقول «ما وفى معاوية للحسن بن عليٍّ عليه السلام بشيءٍ عاهده عليه وهادنه» ولم يقل بشيءٍ بايعه عليه، والمبايعة على ما يدّعيه المدّعون على الشرائط التي ذكرناها، ثم لم يف بها لم يلزم الإمام الحسن عليه السلام.

وأشد ما ههنا من الحجة على الخصوم، معاهدته إياه على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين، والحسن عليه السلام عند نفسه لا محالة مؤمن، فعاهده على أن لا يكون عليه أميرًا؛ إذ الأمير هو الذي يأمر، فيؤمّر له.

فاحتال الحسن عليه السلام لإسقاط الايتمار لمعاوية إذا أمره أمرًا على

نفسه، والأمير هو الذي أمره مأمورٌ من فوقه، فدل على أن الله عز وجل لم يؤمِّره عليه، ولا رسوله ﷺ أمَّره عليه، فقد قال النبي ﷺ: (لا يَلِينُ مُفَاءٌ عَلَى مَفِيٍّ) ^(١).

وهنا لا بدَّ من ذكر البنود التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية لتتضح الصورة التي أريد أن أقف عندها، ومن هذه البنود:

١ - أن لا يسمِّيه أمير المؤمنين ^(٢).

٢ - أن لا يقيم عنده شهادة ^(٣).

٣ - أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً ^(٤).

٤ - أن يفرِّق في أولاد من قُتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قُتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجد ^(٥).

٥ - وأن لا يشتم علياً ^(٦).

فالمأمل في هذه البنود سيجد أنها بنفسها تنفي الخلافة عن معاوية، وهذا من تدبير الإمام عليه السلام، فمن المسلم أن الإمام من المؤمنين، بل

(١) بحار الأنوار: ٤٤، ١ - ٢.

(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٢٠٠.

(٣) يُنظر: المصدر السابق.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه.

(٥) يُنظر: الكامل في التاريخ: ج ٣ - سنة ٤١؛ علل الشرائع: ج ١، ص ٢٠٠.

(٦) يُنظر: الكامل في التاريخ: ج ٣ - سنة ٤١؛ وقريب منه: سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣،

على رأسهم، فإذا كان معاوية ليس أميرًا للمؤمنين عملاً بالبند الأول فهذا يعني أنه ليس أميرًا على الحسن بل على سائر المؤمنين، وكذلك البند الثاني، فكيف يكون خليفة، ولا تقام عنده الشهادات؟!!





مقالة في رد شبهة كتابة معاوية للوحي

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- معاوية لم يكن سوى كاتب في ما بين النبي ﷺ وبين العرب.
- معاوية أسلم عام الفتح في أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي.
- كتابة الوحي ليست فضيلة ولا عاصمة من الوقوع في الموبقات.
- النبي ﷺ يرسل إلى الكاتب - معاوية - مرتين فلا يجيبه.

مقالة في رد شبهة كتابة معاوية للوحي

استمات بعضهم، واستبسل في إثبات الفضيلة لمعاوية بن أبي سفيان على زعم أنه كان كاتبًا للوحي، فنشر تغريدة في حسابه الخاص على موقع «تويتر»، جاء فيها: «معاوية رضي الله عنه كاتب الوحي.. ونفسه النبي عينه كاتبًا لوحيه، وينزل جبريل في حضرته.. ومع ذلك يوجه إليه الطعن واللعن من قبل الشيعة الروافض، ما لكم كيف تحكمون». انتهى.

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، أحدهما إجمالي والآخر تفصيلي:

الجواب الإجمالي:

لا يوجد نصٌّ صحيحٌ صريحٌ يثبت أنَّ معاوية كتبَ الوحي لرسول الله ﷺ، فكتّابه كانوا على أصناف شتى: فمنهم كان كاتبًا للوحي، ومنهم كان يكتب للملوك والأمراء، ومنهم كان يكتب معاملات النبي ﷺ ومدايناته، ومنهم كان كتّابه إلى أمرائه وسراياه، ومنهم كتّاب معاهداته وصلحه، ومنهم كتّاب الصدقات وخرص النخل، إلى غير ذلك.. ومعاوية لم يكن سوى كاتب في ما بين النبي ﷺ وبين العرب، وإلى هذا أشار غير واحد من علماء أهل السنة، ثم إنَّ معاوية أسلم عام

الفتح وفي أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي، فأَيُّ شيء بقي من الوحي ليكتبه معاوية؟!!

وعلى فرض صحة أنَّ معاوية كان كاتبًا للوحي، فهذه الميزة لا تُعدّ فضيلة له ولا عاصمة له من وقوعه في الموبقات، بدليل أنَّ عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب الوحي للنبي ﷺ أول ما نزل في مكة، ارتدّ، وخرج من الإسلام بعد ذلك، ثم إنَّ كاتب الوحي هذا الذي تدعون له، وتزعمون، يُرسل إليه النبي ﷺ مرتين، فلا يجيبه، ويتعلل بأنّه يأكل، حتّى دعا النبي ﷺ عليه بقوله «لا أشبع الله بطنه».

الجواب التفصيلي:

وللرد على هذه الشبهة على نحو تفصيلي نتبع الخطوات الآتية:

أولاً: معاوية لم يكن سوى كاتب في ما بين النبي ﷺ وبين العرب.

لم يثبت أنَّ معاوية كان كاتبًا للوحي، ولا يوجد نصٌّ صحيحٌ صريحٌ أنَّ معاوية كتبَ الوحي لرسول الله ﷺ، وكتّابه كانوا على أصناف شتى: فمنهم كان كاتبًا للوحي، ومنهم كان يكتب للملوك والأمراء، ومنهم كان يكتب معاملات النبي ﷺ ومدايناته، ومنهم كان كتّابه إلى أمراءه وسراياه، ومنهم كتّاب معاهداته وصلحه، ومنهم كتّاب الصدقات وخرص النخل، إلى غير ذلك.. ومعاوية لم يكن

سوى كاتب في ما بين النبي ﷺ وبين العرب، وإلى هذا أشار الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، قال: «ونقل المفضل الغلابي عن أبي الحسن الكوفي، قال: كان زيد بن ثابت كاتب الوحي، وكان معاوية كاتباً في ما بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين العرب»^(١).

وذكر الحافظ ابن حجر في "الإصابة" نقلاً عن ابن المدائني، أنه قال: «كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنبي ﷺ في ما بينه وبين العرب»^(٢).

ثانياً: معاوية أسلم عام الفتح في أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي.

إن معاوية أسلم عام الفتح وفي أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي، ووصل عند قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣)، فأَيُّ شيء بقي من الوحي ليكتبه معاوية؟!.. لو استظهر الزاعمون كتابة معاوية للوحي لثبتوا أن معاوية كتب آية واحدة - لا سورة كاملة - لرسول الله ﷺ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً!!

(١) سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٣.

(٢) الإصابة: ج ٦، ص ١٢١.

(٣) المائدة: ٣.

ثالثاً: كتابة الوحي ليست فضيلة ولا عاصمة من الوقوع في الموبقات.

على فرض صحة أن معاوية كان كاتباً للوحي فهذه الميزة لا تعد فضيلة له ولا عاصمة له من وقوعه في الموبقات، بدليل أن عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب الوحي للنبي ﷺ أول ما نزل في مكة، ارتدّ وخرج من الإسلام بعد ذلك، وقد ذكر ذلك جملة من الحفاظ والمحدثين، منهم الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١)، والحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٢)، وغيرهما، وقد روى أبو داود في سننه بسند حسن عن ابن عباس، قال: «كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقتل يوم الفتح...» (٣).

رابعاً: النبي ﷺ يرسل إلى الكاتب -معاوية- مرتين فلا يجيبه.

ذكر الطبري في تاريخه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ل يكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتلّ بطعامه، فقال النبي ﷺ: لا أشبع الله بطنه، فبقي لا يشبع ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن أعيا (٤).

والحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه بالإسناد إلى ابن

(١) سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ١٢٨.

(٢) الإصابة: ج ٤، ص ٩٥.

(٣) سنن أبو داود: ج ٦، ص ٤١٤.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبري، ج ١٠، ص ٥٨.

عباس، أنه قال: جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ألعب مع الصبيان، فتواريت بباب، فجاء فحطأني حطأة ثم قال: «اذهب فادع لي معاوية» وكان يكتب له، فذهبت، ثم جئت، فقلت: هو يأكل، فردني، فقلت: هو يأكل، ثم ردني، فجئت، فقلت: بل هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه»^(١).

فهل هذا هو كاتب الوحي الذي تدعون له، وتزعمون، يرسل إليه النبي ﷺ مرتين، فلا يجيبه، ويتعلل بأنه يأكل، حتى دعا النبي ﷺ عليه؟



(١) صحيح مسلم: ج ٢، ص ٣٩٣.



مقالة في رد شبهة أنَّ البكاء على الحسين عليه السلام لغو وباطل لأنه سيد الشباب في الجنة

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- البكاء على الميت من حالات الطبع البشري.
- الرسول صلوات الله عليه وآله يخبر أنَّ بعض صحابته من الشهداء في الجنة ومع ذلك بكى عليهم.
- من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد.
- إنكار عائشة لحديث الميت يعذب ببكاء أهله.

مقالة في رد شبهة أنّ البكاء على الحسين عليه السلام لغو وباطل لأنه سيد الشباب في الجنة

ابتلينا في عصرنا الحاضر بأصحاب الفكر السطحي؛ الذين ينظرون للأشياء من الخارج، ويفسرونها بطريقة ساذجة، تؤدي إلى تسطيح كثير من الحقائق، فكتب بعض منهم في صفحته على موقع «الفيس بوك» الآتي:

«الحسين رضي الله عنه شهيد، وهو في الجنة، بل هو سيد شباب أهل الجنة كما في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالحزن والبكاء عليه لا فائدة فيه، ولا مصلحة فيه، وهو من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تبكوا على الميت؛ لأنّ الميت يُعذب ببكاء أهله عليه". انتهى.

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

إنَّ البكاء على الميت هو حالة طبيعية من حالات الطبع البشري، فالإنسان مجبول على الاستجابة لغرائزه وعواطفه ومنها البكاء، فالبكاء يخفف من لوعة المصاب، ويطفئ غائلة الخطب، وقد دلَّ الدليل الشرعي على مشروعيته ومشروعية الحزن من الكتاب والسنة، ومعلوم أنَّ رسول الله ﷺ هو من أوحى الله إليه بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، ومع ذلك فقد بكى ﷺ على الشهداء من صحابته في عدة مواطن، فبكى على ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وأمر بالبكاء عليه، مع أنَّه يعلم بأنَّه يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين، وهو المخبر بذلك، وبكى على عمِّه حمزة يوم استشهد في أحد، وأمر بالبكاء عليه لما سمع بكاء الأنصار على قتلاهم، وهو يعلم بأنَّ حمزة سيد الشهداء عند الله، وهو في الجنة، وهو المخبر بذلك أيضًا، وبكى على الحسين عليه السلام لما أخبره جبريل بمقتله، وهو يعلم، بل هو ﷺ المخبر بأنَّه سيد شباب أهل الجنة.

وبكاء الشيعة وحزنهم على الحسين عليه السلام إنما هو مما استبان لهم من سنة الرسول ﷺ، كما قال الشافعي: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له أن يدعها لقول أحد».

(١) آل عمران: ١٦٩.

الجواب التفصيلي:

ويجاب على هذه الشبهة على نحو تفصيلي في أربعة أمور، وهي:

أولاً: البكاء على الميت من حالات الطبع البشري

البكاء على الميت هو حالة طبيعية من حالات الطبع البشري، فالإنسان مجبول على الاستجابة لغرائزه وعواطفه، ومنها البكاء، فالبكاء يخفف من لوعة المصاب، ويطفئ غائلة الخطب، وقد دلّ الدليل الشرعي على مشروعيته ومشروعية الحزن من الكتاب والسنة، يقول تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(١). قال الطبري في تفسيره: «وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾، يقول: حتى تكون دنف الجسم، مخبول العقل، وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق»^(٢).

وجاء عن الزمخشري في «الكشاف» أنَّ رسول الله ﷺ سأل جبرائيل: «ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى. قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله ساعة قط».

وعلق على الحديث قائلًا: «فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) جامع البيان، ج ١٦، ص ٢٢١.

به الجزع ذلك المبلغ؟، قلت: إنّ الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك مُّحَد صبره، وأن يضبط نفسه حتّى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله على ولده إبراهيم، وقال: القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون^(١).

ثانياً: الرسول ﷺ يخبر أنّ بعض صحابته من الشهداء في الجنة ومع ذلك بكى عليهم.

إنّ رسول الله ﷺ هو من أوحى الله إليه بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢)، ومع ذلك فقد بكى ﷺ على الشهداء من صحابته، فقد روى البخاري في صحيحه، قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر- وذكر واقعة مؤتة، وقال: لقد أخذ الراية زيد بن حارثة، وأصيب، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وأصيب، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، وأصيب، ثم بكى رسول الله ودموعه تذرف على خديه»^(٣).

كما بكى ﷺ على ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وأمر بالبكاء عليه، وقال: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»^(٤)، مع أنّه يعلم أنّه يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين، فقد ثبت عنه ﷺ: «رأيتُ جعفرَ

(١) تفسير الزمخشري، ج ٢، ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) صحيح البخاري، ١٤٠٧، كتاب فضائل الصحابة.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٩؛ الاستيعاب، ج ١، ص ٢٤٣.

بن أبي طالب يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»^(١).

وكذلك بكى ﷺ على عمّه حمزة يوم استشهاد في أحد، وأمر بالبكاء عليه لما سمع بكاء الأنصار على قتلاهم، وقال: «لكن حمزة لا بواكي له»^(٢). وهو ﷺ يعلم بأنّ حمزة سيد الشهداء عند الله، وهو في الجنة، فهو القائل: «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة»^(٣).

ثالثاً: من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد

البكاء على الحسين عليه السلام هو سنة رسول الله ﷺ والشيعية يتبعون سنة رسول الله ﷺ في هذا المورد، فقد ثبت عن النبي ﷺ في حديث صحيح، رواه كبار علماء أهل السنة كابن حجر في تهذيب التهذيب^(٤)، والمزي في تهذيب الكمال^(٥)، والطبراني في المعجم الكبير^(٦)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق^(٧)، والسيوطي في الخصائص الكبرى^(٨)، وغيرهم، كما في رواية الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عباد بن زياد الأسدي، نا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وايل شقيق ابن سلمة عن أم سلمة،

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري، للألباني، ج ٢، ص ٥٠٦، قال: حديث صحيح بمجموع طرقه.

(٢) مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٠.

(٣) المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٢١٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٠١.

(٥) تهذيب الكمال، ج ٦، ص ٤٠٩.

(٦) المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٠٨.

(٧) تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، ص ١٩٣.

(٨) الخصائص الكبرى، ص ١٢٥.

قالت: كان الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يلعبان بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وضمه إلى صدره، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ودیعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: ريح كرب وبلاء. قالت: وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا أم سلمة، إذا تحولت هذه التربة دمًا فاعلمي أن ابني قد قتل، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة. ثم جعلت تنظر إليها كل يوم، وتقول: إن يومًا تحولين دمًا ليوم عظيم^(١).

فهذا الحديث يؤكد تأثر النبي ﷺ وحزنه وبكائه على ولده الحسين عليه السلام وهو يعلم أنه سيد شباب أهل الجنة، لما ثبت عنه ﷺ قوله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٢). ونقل المناوي عن السيوطي، قوله: إن هذا الحديث متواتر^(٣).

وفي خصوص الحزن على الإمام الحسين عليه السلام يقول ابن كثير الدمشقي: «فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته...»^(٤).

فنحن نحزن، ونبكي على الحسين عليه السلام كما حزن، وبكى عليه

(١) المعجم الكبير ٣: ١٠٨.

(٢) مسند أحمد ج ٣، ص ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢، سنن الترمذي ج ٥، ص ٦٥٦، رقم ٣٧٦٨، مستدرک

الحاكم ج ٣، ص ١٦٧، الإصابة ج ٢، ص ١٢.

(٣) فيض القدير، ج ٣، ص ٤١٥.

(٤) البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٢١.

رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه سيد شباب أهل الجنة، وكما حزن، وبكى على عمه حمزة، وهو يعلم بأنه سيد الشهداء عند الله يوم القيامة، وهو في الجنة، وعلى ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وهو يعلم -أيضاً- أنه في الجنة يطير بجناحين.

فبكاء الشيعة على الحسين عليه السلام إنما هو مما استبان لهم من سنة الرسول ﷺ، قال الشافعي: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له أن يدعها لقول أحد»^(١).

رابعاً: إنكار عائشة لحديث الميت يعذب ببكاء أهله

روى الشيخان -البخاري ومسلم- في صحيحهما: «فقال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد"، ولكن قال: "إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه"، قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)، قال: وقال ابن عباس عند ذلك: والله ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾^(٣). قال ابن أبي مليكة: فَوَ الله ما قال ابن عمر من شيء»^(٤).

وروى الترمذي في سننه، قال: «حدثنا قتيبة عن مالك، قال:

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ٢، ص ١١.

(٢) الأنعام: ١٦٤.

(٣) النجم: ٤٣.

(٤) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٩، ح ١٢٨٦، وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٤٢، ح ٩٢٩.

وحدثنا إسحق بن موسى، حدثنا معن، حدثنا مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرة أنها أخبرته أنها سمعت عائشة، وذكر لها أن ابن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه، فقالت عائشة: غفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكي عليها، فقال: إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح^(١). قال الألباني: صحيح^(١).



(١) صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج ٣، ص ٦، ح ١٠٠٦.



مقالة في رد شبهة

الشيعية ليست مذهباً إسلامياً وإنما حزب تحزب لعلي عليه السلام

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- مفهوم التحزب لغةً واصطلاحاً.
- التحزب لعلي تحزب لله ورسوله.

مقالة في رد شبهة الشيعة ليست مذهباً إسلامياً وإنما حزب تحزب لعلي عليه السلام

كتب بعضهم في منشور له على صفحته الشخصية بضعة أسطر تلقى على أثرها الاستحسان من العشرات من متابعيه على صفحات التواصل، فقد كتب يقول: «الشيعة الرافضة حزب، وليس طائفة أو مذهب؛ لأنّ ما هم عليه من بدع وضلالات جاء نتيجة ذلك حينما تحزّبوا لعلي رضي الله عنه، والحزب والتحزّب ليس من الدين في شيء، بل هو فعل منصوص على حرمة في الشريعة الإسلامية لأنه يؤدي إلى التفرقة والخلاف».

يُجاب عن هذه الشبهة بجوابين إجمالي وتفصيلي، كالآتي:

الجواب الإجمالي:

أن كلمة "حزب" تعني الجماعة والطائفة عمومًا، ولا تُعرف ماهية هذه الجماعة أهي مذمومة أم ممدوحة إلا بعد إضافة ما يفيد الذم إليها، وقد أطلق القرآن الكريم على المؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر ولا يوالون من خالف حدود الله ويشاقه ويشاق رسوله، أنّهم "حزب" الله المفلحون، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ

الْمُفْلِحُونَ»^(١)، بعدما ذكر صفاتهم في قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢) الآية، وأطلق لفظ "حزب" على الصحابة لاتباعهم الرسول ﷺ، ف قيل: "حزب محمد"، وعليه، فإن إطلاق كلمة الـ "حزب" على الشيعة الإمامية ونسبتها إلى الإمام علي عليه السلام، مما يفيد أعلى درجات المدح؛ لأنّ تحزّب الشيعة وولاءهم هو الله ورسوله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي عبّر عنه القرآن الكريم بـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣)، بعدما ذكر صفات الولي الذي ينبغي على المؤمنين توليه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤)، قال مقاتل في تفسيره: «﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، يعني شيعة الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون».

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) المائدة: ٥٥.

الجواب التفصيلي:

أولاً: مفهوم التحزب لغةً واصطلاحاً.

١- الحزب في اللغة: للحزب عدة مدلولات لغوية بينها كتب اللغة، وأشارت إلى معانيها، فقد جاء في المصباح: «الحزب: الطائفة من الناس، والجمع أحزاب، وتحزّب القوم: صاروا أحزاباً، ويوم الأحزاب يوم الخندق. والحزب: الورد يعتاده الشخص من صلاة وقراءة وغير ذلك. والحزب: النصيب. وحزبهم أمر يحزبهم من باب قتل: أصابهم»^(١).

وجاء في مقاييس اللغة: «حزب: أصل واحد، وهو تجمّع الشيء، فمن ذلك الحزب: الجماعة من الناس. والطائفة من كلّ شيء حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن. والحزباء: الأرض الغليظة»^(٢).

وجاء في لسان العرب: «حزب الرجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه. وكلّ قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب، وإن لم يلق بعضهم بعضاً. وكلّ حزب بما لديهم فرحون: كلّ طائفة هواهم واحد»^(٣).

وقال أبو منصور الماتريدي: «والأحزاب: الفرق، واحدها: حزب،

(١) المصباح المنير، ج ١، ص ١٣٣.

(٢) مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٥٥.

(٣) لسان العرب، ج ١، ص ٣٠٨.

ويقال: حزبت القوم، أي: جمعتهم، وحزبتهم، أي: فرقتهن، وتحزب القوم: إذا اجتمعوا، وصاروا حزباً حزباً، وتقول: هؤلاء حزبي، أي: أصحابي وشيعتي، وتقول: حازبني محازبة، أي: صاحبني مصاحبة^(١). وقال النحاس: «وتحزب القوم تجمّعوا»^(٢).

وقال العسكري: «والحزب الجماعة تتحزب على الأمر أي تتعاون»^(٣).

والذي يظهر من موارد استعمال هذه المادة: أن الأصل الواحد فيها هو التجمع إذا كان على رأي واحد وهدف واحد. فيقال: هؤلاء حزب الله وحزب الدين وحزب القرآن وحزب الكفر وحزب الشيطان، ولا يقال: جماعة الله وجماعة الدين، إذا لم يكن بينهم أمر جامع يميزهم، ويختص بهم، وكذلك الطائفة^(٤).

٢- التحزب في اصطلاح القرآن: وردت كلمة «حزب» في غير ما موضع من القرآن الكريم وبصيغ مختلفة، فمنها ما ورد بصيغة المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٥)، ومنها ما ورد بصيغة المثنى، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٦)، ومنها ما ورد بصيغة الجمع، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ

(١) التفسير، ج ٣، ص ٣٧٤.

(٢) إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٣) الفروق، ج ١، ص ٢٧٧.

(٤) يُنظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٥) المائدة: ٥٦.

(٦) الكهف: ١٢.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾.

وما يهمننا هنا هو معنى كلمة (حزب) الواردة في القرآن الكريم بجميع صيغها المذكورة، فنجد أنها قد وردت بمعنى الأنصار والأتباع على نحوين: على نحو الذم، كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَخَوِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢)، وعلى نحو المدح، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣). ووردت -أيضاً- بمعنى الجماعة على نحو عام، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (٤)، وأطلق لفظ الحزب بصيغة الجمع على الذين تأمروا، وتجمعوا لمحاربة رسول الله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٥).

(١) مريم: ٣٧.

(٢) المجادلة: ١٩.

(٣) المجادلة: ٢٢.

(٤) الكهف: ١٢.

(٥) الأحزاب: ٢٢.

ثانيًا: التحزب لعلي تحزب لله ورسوله.

بناءً على ما تقدم في أولاً بفرعيه اللغوي والاصطلاحي، فإن كلمة "حزب" تعني الجماعة والطائفة على نحو عام، ولا تُعرف ماهية هذه الجماعة أهي مذمومة أم ممدوحة إلا بعد إضافة ما يفيد الذم إليها، كقولنا: "حزب الشيطان"، أو إضافة ما يفيد المدح إليها، كقولنا: "حزب الله"، أما إطلاق كلمة "حزب" من دون معرّف لماهيته، فلا يفيد ذمًا ولا مدحًا.

وقد صنّف الإمام عليّ عليه السلام الأحزاب إلى صنفين: حزب الله، وحزب الشيطان، كما في رواية أحمد بن حنبل في «فضائل الصحابة»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، عن حبة، أنه قال: «سمعت عليًا يقول: نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا»^(١).

وجاء عن ابن تيمية قوله: «وأما رأس «الحزب»، فإنه رأس الطائفة التي تتحزب -أي تصير حزبًا- فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم»^(٢).

وقد أطلق القرآن الكريم على المؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر، ولا يوالون من خالف حدود الله، ويشاقه، ويشاق رسوله، أنهم

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٧٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٤٥٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ١١، ص ٩٢.

"حزب" الله المفلحون، قال سبحانه في آخر سورة المجادلة: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، بعدما ذكر صفاتهم في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢) الآية.

وأطلق لفظ "حزب" على الصحابة لاتباعهم الرسول ﷺ، ف قيل: "حزب محمد"، كما في رواية ابن حبان في صحيحه، عن أنس، أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقدم قوم هم أرق أفئدة"، فقدم الأشعريون، فيهم أبو موسى، فجعلوا يرتجزون، ويقولون: غداً نلقى الأحبة... محمداً وحزبه". قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين»^(٣).

وعليه، فإن إطلاق كلمة الـ "حزب" على الشيعة الإمامية ونسبتها إلى الإمام علي عليه السلام، بحيث يقال: الشيعة "حزب علي"، مما يفيد أعلى درجات المدح، بل أعظمها؛ لأنّ تحزّب الشيعة وولاءهم الأول والأخير هو الله ورسوله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي عبّر عنه القرآن الكريم بـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٤)، بعدما ذكر صفات الولي الذي ينبغي على المؤمنين توليه، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) صحيح ابن حبان، ج ١٦، ص ١٦٥.

(٤) المائدة: ٥٦.

وَهُمْ رَاكِعُونَ^(١)، قال مقاتل (المتوفى: ١٥٠ هـ) في تفسيره: «﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، يعني شيعة الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون»^(٢).

وهذه الآية هي التي اشتهر تسميتها بآية الولاية، النازلة باتفاق جمهور المفسرين ونصوص الفريقين في عليٍّ عليه السلام، وهي نص في حصر الولاية المطلقة في الله تعالى، ثم الرسول صلوات الله عليه، ثم عليٍّ عليه السلام.

وقد اعترف كبار أئمة أهل السنة بإجماع المفسرين واتفاقهم على نزول الآية المباركة في أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن هؤلاء العلماء الأعلام:

١- القاضي عضد الدين الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦، في كتابه "المواقف في علم الكلام"، فقد قال في معرض الاستدلال بالآية: «وأجمع أئمة التفسير أن المراد عليٍّ»^(٣).

٢- الشريف الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦، فقد قال "بشرح المواقف": «وقد أجمع أئمة التفسير على أن المراد بـ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ عليٍّ، فإنه كان في الصلاة راکعاً، فسأله سائل فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية»^(٤).

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان، ص ٤٨٦.

(٣) المواقف في علم الكلام، ج ٣، ص ٦٠١.

(٤) شرح المواقف، ج ٨، ص ٣٦٠.

٣- سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣، فقد قال في شرح المقاصد: «نزلت باتّفاق المفسّرين في عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - حين أعطى السائل خاتمه وهو راکع في صلاته»^(١).

وتحصل من جميع ما تقدم أنّ تحزّب الشيعة الإماميّة للإمام عليّ عليه السلام لم يكن من عنديّاتهم، ولم يكن تعصباً لغير الحق، وإنما كان ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى كما في آية الولاية الثابت نزولها في أمير المؤمنين عليه السلام التي تعرضنا لذكرها آنفاً، ولما ثبت عن رسول الله ﷺ، كحديث الثقلين الذي يعد من أوثق الأحاديث النبوية وأكثرها ذيوعاً، وغيره من الأحاديث الصحيحة والمتواترة التي تؤكد أنّ حزب عليّ عليه السلام هو حزب الله تعالى، وأنّ حزب الله هم المفلحون وهم الغالبون.



(١) شرح المقاصد في علم الكلام، ج ٥، ص ٢٧٠.



مقالة في رد شبهة فارسية التشيع

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- التشيع ولد في رحم الجزيرة العربية، ونشأ في مهد العرب.
- شعار الإسلام «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».
- النبي ﷺ أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام.
- دخول الفرس للتشيع بعد قيام الدولة الصفوية.

مقالة في رد شبهة فارسية التشيع

كتب بعضهم -تعمية على من لم يعلم حقيقة الحال- قائلاً: «لماذا دائماً نجد مراجع الشيعة وكبار علمائهم من إيران، وليس من العراق؟! ألا يدلّكم هذا على أن أصل التشيع فارسي؟»، وهو يرمي من وراء ذلك إلى القول بأنّ التشيع دخيل على الإسلام!!

وهذه شبهة داحضة من وجوه، ونجيب عليها بجوابين إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

إنّ التشيع ولد من رحم الجزيرة العربية، ونشأ في مهد العرب، والفرس إنّما يشكلون جزءاً من الشيعة كغيرهم من الهنود والترك والصينيين والأفغان والأكراد وغيرهم، بيد أنّ التاريخ أثبت صحة العكس في المدّعى؛ لأنّ التسنن كان شاملاً لبلاد فارس من القرن الأول وحتى العاشر، ولم يتشيعوا إلا بعد قيام الدولة الصفوية، وغير هذا وذاك، فإنّ أئمة الشيعة الاثني عشر ابتداءً من الإمام عليّ عليه السلام حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام هم سادة العرب ومن صميمهم، وبيت هاشم وذلك هو المعروف أشرف البيوتات العربية بلا منازع، يأتي بعد ذلك الرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت

وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع، وبشروا به، فإنهم من صميم العرب، وذلك ابتداءً من أقطاب مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبنو دراج وغيرهم.

ثم إنَّ النبي ﷺ هو أول مَنْ أطلق هذا الاسم (الشيعة)، فيعدّ أول مؤسس لهذا الخط الرسالي، ويشهد لذلك التراث السني نفسه، ومع ذلك كله فالشيعة الإمامية يتمسكون بكتاب الله جل وعلا القائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، وبسنة نبيه ﷺ، القائل: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى»، الذي رواه أحمد بن حنبل في مسنده، وعلّق عليه الشيخ ناصر الدين الألباني - أحد كبار أئمة الوهابية - بعد أن ذكره، بقوله: «وإن كنت ألبانياً، فإني مسلمٌ، والله الحمد».

(١) الحجرات: ١٣.

الجواب التفصيلي:

أولاً: التشيع ولد في رحم الجزيرة العربية، ونشأ في مهد العرب.

إنَّ التشيع ولد في رحم الجزيرة العربية، ونشأ في مهد العرب، وانتشر في جهات الدنيا الأربع، والفرس إنما يشكلون جزءاً من الشيعة كغيرهم من الهنود والترك والصينيين والأفغان والأكراد وغيرهم، يقول ابن خلدون: «اعلم أن مبدأ هذه الدولة -يعني دولة الشيعة- أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم»^(١).

وقال أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام: «والذي أرى -كما يدلنا التاريخ- أن التشيع لعلّ بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام»^(٢).

وجاء عن دائرة المعارف الإسلامية: «أنَّ أقدم الأئمة الكبار من الشيعة كانوا عرباً خلصاً»^(٣).

وإنَّ أئمة الشيعة الاثني عشر ابتداءً من الإمام عليٍّ عليه السلام حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام هم سادة العرب ومن صميمهم، وبيت هاشم -وذلك هو المعروف- أشرف البيوتات العربية بلا منازع، يأتي بعد ذلك الرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت

(١) العبر: ج ٣، ص ١٠٧-١٧١.

(٢) فجر الإسلام: ص ٢٩٨.

(٣) دائرة المعارف: ج ١٤، ص ٦٦.

وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع، وبشروا به، فإنهم من صميم العرب، وذلك ابتداءً من أقطاب مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبني دراج وغيرهم^(١).

ثم الطبقة التي تلي هؤلاء كالشيخ المفيد محمد بن النعمان، والشريف المرتضى علم الهدى علي بن أبي الحسين، والعلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر، وعبد العزيز بن نحرير البراج وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس وأُسرة آل طاووس، ومحمد بن أحمد بن إدريس العجلي، ونجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق وجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري، والشهيد الأول محمد بن مكي والشهيد الثاني زين الدين العاملي وغيرهم فإن كل هؤلاء من صميم العرب.

أما أصحاب الكتب الأربعة، وهم كل من محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي، ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بابن بابويه القمي، صاحب من لا يحضره الفقيه، ومحمد بن الحسن بن علي الشيخ الطوسي صاحب التهذيب والاستبصار، فإن هؤلاء لا يوجد نص على عدم عروبتهم، ومن وجد دليلاً على أعجميتهم فليدنا^(٢).

(١) يُنظر: طبقات ابن سعد ج ٦ تراجم من سكن الكوفة من التابعين.

(٢) يُنظر: هوية التشيع: ص ٨٩-٩٠.

ثانيًا: شعار الإسلام «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»

إِنَّ شعار الإسلام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، والشيعية الإمامية إنما يتمسكون بكتاب الله جل وعلا وبسنة نبيه ﷺ، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى»، وعلق الشيخ ناصر الدين الألباني -أحد كبار أئمة الوهابية- بعد أن ذكر الحديث الذي رواه أحمد بن حنبل، قائلاً: «وإِنْ كُنْتُ أَلْبَانِيًّا فَإِنِّي مُسْلِمٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»^(٢).

ثالثًا: النبي ﷺ أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام.

إِنَّ النبي ﷺ هو أول مَنْ أطلق هذا الاسم (الشيعية) وهو أول مؤسس لهذا الخط الرسالي، ويشهد لذلك التراث السني نفسه وسوف نستعرض قسم منه في ما يلي:

١ - قال السيوطي في "الدر المنثور" في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾: «أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إِنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، قال: وأخرج ابن مردويه عن علي، قال: قال لي رسول الله ﷺ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج ١، ص ٣٠٣.

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾. أَنْتَ وَشِيعَتُكَ، وَمَوْعِدِي وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ، إِذَا جَاءَتِ الْأُمَمُ لِلْحِسَابِ تَدْعُونَ غَرًّا مُحْجَلِينَ»^(١).

٢- ونقل ابن الأثير في "النهاية" ما نصه: «وفي حديث علي عليه السلام: ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويقوم عليك عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه، يريهم كيف الإقماح». ثم فسّر ابن الأثير الإقماح في الحديث برفع الرأس وغض البصر، يُقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه»^(٢).

٤- وقال ابن حجر: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. «أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس أَنَّ هذه الآية لما نزلت قال ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين». وعن أم سلمة قالت: «كانت ليلتي، وكان النبي ﷺ عندي، فأتته فاطمة، فتبعها علي - رضي الله عنهما - فقال النبي ﷺ: يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة»^(٣).

وقال ﷺ: «يا علي أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيمننا وشمالنا»^(٤).

(١) الدر المنثور: ج ٨، ص ٥٨٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٤، ص ١٠٦.

(٣) الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٤٦٨.

(٤) نفس المصدر: ج ٢، ص ٤٦٦.

٥- وروى الزمخشري في "ربيع الأبرار" أن رسول الله ﷺ قال: «يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله تعالى، وأخذت أنت بحجرتي، وأخذ ولدك بحجرتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يأمر بنا»^(١).

٦- أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: «كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾، فكان أصحاب النبي إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية»^(٢).

ألا يدل ذلك هذا على أن أصل التشيع إسلامي محمدي؟!

رابعاً: دخول الفرس للتشيع بعد قيام الدولة الصفوية.

إثبات صحة العكس، فالتسنن شمل بلاد فارس من القرن الأول وحتى العاشر، ولم يتشيعوا إلا بعد قيام الدولة الصفوية، ويقول ابن خلدون في تاريخه: «الفصل الثالث والأربعون في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبه فهو أعجمي في لغته

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ج ٢، ص ١٥٩.

(٢) تاريخ دمشق: ج ٤٢، ص ٣٧١.

ومرباه ومشيخته مع أنّ الملة عربيّة وصاحب شريعتها عربيّ»^(١). وقال أيضًا: «وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام، أكثرهم عجم أو مستعجمون باللّغة والمربى لا تتّسع الفنّ بالعراق. وكان علماء أصول الفقه كلّهم عجمًا كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسّرين. ولم يقدّم بحفظ العلم وتدوينه إلّا الأعاجم»^(٢)، ثم قال: «وأما العلوم العقليّة أيضًا فلم تظهر في الملة إلّا بعد أن تميّز حملة العلم ومؤلفوه. واستقرّ العلم كلّ صناعة، فاختصّت بالعجم، وتركتها العرب»^(٣).

وقد روى الحاكم في "معرفه علوم الحديث"^(٤)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"^(٥)، وابن الصلاح في "المقدّمة"^(٦)، والمزّي في "تهذيب الكمال"^(٧)، والذهبي في "سير أعلام النبلاء"^(٨)، والدميري في "حياة الحيوان"^(٩)، بالإسناد عن الزهري - واللفظ للأوّل - قال: «قدمت على عبد الملك بن مروان، فقال لي: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكّة. قال: فمن خلّفت يسود أهلها؟ قال: قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي. قال: وبم

(١) تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٧٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٤٩.

(٤) معرفة علوم الحديث، ص ١٩٨.

(٥) تاريخ دمشق، ج ٤٠ ص ٣٩٣ وج ٥٦ ص ٣٠٥.

(٦) المقدّمة، ص ٢٤٤.

(٧) تهذيب الكمال، ج ١٣ ص ٥١ - ٥٢.

(٨) سير أعلام النبلاء، ج ٥ ص ٨٥.

(٩) حياة الحيوان، ج ٢ ص ٨٩.

سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. ثم سأله عن أهل اليمن. فقال: طاووس بن كيسان. وأهل مصر. فقال: يزيد بن أبي حبيب. وأهل الشام. فقال: مكحول. وأهل الجزيرة. فقال: ميمون بن مهران. وأهل خراسان. فقال: الضحّاك بن مزاحم. وأهل البصرة. فقال: الحسن بن أبي الحسن البصري - وكلّهم من الموالي - إلى أن قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري فرّجت عني، والله ليسودنّ الموالي على العرب حتّى ينخطب لها على المنابر والعرب تحتها».





مقالة في رد شبهة أنَّ عمل الشيعة الإمامية بالتقية هو دليل ارتباطها بالماسونية العالمية.

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- التقيّة محلُّ اتفاق بين السنة والشيعة.
- عامل السريّة في نظر الشرع وسيلة لتحقيق المصالح المعتبرة شرعاً.

مقالة في رد شبهة أن عمل الشيعة الإمامية بالتقية هو دليل ارتباطها بالماسونية العالمية

كتب بعضهم في منشور له على صفحته الشخصية بضعة أسطر، وخلاصة ما جاء فيها: «إن ممارسة الشيعة الروافض للتقية مع المسلمين يؤكد كونهم خلية من الخلايا السرية التي ترتبط بالماسونية العالمية؛ إذ إن عامل السرية في التقية الماسونية أتاح لهم تأسيس تلك الجماعات التي باتت معروفة بإحكام الخطط، وترتيب المؤامرات، حيث عملت وما زالت تعمل على الكيد للأمة الإسلامية في الباطن، وتلبس رداء الإسلام، وترتدي ثوب المودة والطاعة لإمام المسلمين في الظاهر». انتهى.

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

إنّ من أسمى دواعي عمل الشيعة بالتقية هو الحفاظ على وحدة الصف بين المسلمين، ونبذ كل ما من شأنه خلق الشقاق والتفريق والخلاف، الذي يفضي إلى إراقة الدماء وإثارة الفوضى في الساحة الإسلامية، والسعي إلى سدّ كل ثغرة أمام الفكر الظلامي الذي حاول -وما يزال بشتى الأساليب والوسائل- النيل من تعاليم الإسلام

ورسالته الخالدة، بتقديمه على أنه دين قائم على القتل والتدمير، وهذه الشبهة لا تبني على علم ومعرفة، وإنما على إيجاد الفرقة والشقاق والخلاف وإقصاء الآخر، كما سيتضح في الجواب عنها تباعاً، ولكن قبل هذّ أركان هذه الشبهة، فنحن نتساءل أولاً: إن كانت هناك عناصر شيعية تقوم بإحكام الخطط وتشكيل خلايا تهدف إلى الكيد بالإسلام، وهو أمر غاية في الخطورة - كما لا يخفى - أفما كان ينبغي للكاتب ذكر أسماء هذه الخلايا وإثبات صدق مدّعاة لقراءه ومتابعيه؟! ترى هل مارس التقيّة في عدم الإفصاح عن ذلك، أو أنه افترى على الشيعة الكذب؟! ونتساءل ثانياً: إن كان الكاتب من المسلمين، فالمسلمون قد اتفقوا - سنةً وشيعةً - على مشروعية التقيّة قولاً وعملاً - وسيتضح ذلك قريباً -، وإن كان من أتباع ابن تيمية، فقد ثبت عن ابن تيمية جواز السجود للأوثان تقيّة، وستقف على نصّ كلامه قريباً.

الجواب التفصيلي:

أولاً: التقيّة محلّ اتفاق بين السنة والشيعة.

أ- معنى التقيّة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «وقي: وقاه الله وقياً ووقايةً: صانه... وفي الحديث: فوقى أحدكم وجهه من النار، ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى. وقوله في حديث معاذ: وتوقّ كرائم

أموالهم، أي تجنبها، ولا تأخذها في الصدقة؛ لأنها تَكْرُم على أصحابها وتعزُّ، فخذ الوسط لا العالي ولا النازل. وتوقى واتقى بمعنى، ومنه الحديث: تبَّقه وتوقَّه، أي استبقِ نفسك، ولا تعرضها للتلف، وتحرر من الآفات واتَّقها... ووقاه: صانه، ووقاه ما يكره: صانه منه^(١).

وقال الراغب في مفرداته: «وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه، ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ...﴾^(٢)، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٣)، ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٤)، ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٥). والتقوى جعل النفس في وقاية مما يُخاف... ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضي بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم»^(٦).

وقال ابن الأثير في النهاية: «"فوقى أحدكم وجهه من النار" وقيت الشيء أقيه، إذا صنته وسترته عن الأذى، وهذا اللفظ خبرٌ أريد به الأمر: أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة... ومنه الحديث "تبَّقه وتوقَّه" أي استبقِ نفسك، ولا تعرضها للتلف، وتحرز من الآفات، واتَّقها، وقد تكرر ذكر الالتقاء في الحديث، ومنه حديث عليٍّ "كنا إذا اشتد البأس اتقيناً برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم"

(١) لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٠١، فصل الواو.

(٢) الإنسان: ١١.

(٣) الدخان: ٥٦.

(٤) الرعد: ٣٧.

(٥) التحريم: ٦.

(٦) المفردات في غريب القرآن، ص ٧٠٧ - ٧٠٨، مادة وقى.

أي جعلناه وقاية من العدو. ومنه الحديث "من عصى الله لم تقه من الله واقية" ^(١).

ومما تقدم يتبين معنى التقية عند أهل اللغة بأنها وقاية النفس من الأذى.

ب- التقية في اصطلاح علماء المسلمين سنة وشيعة:

عرّفها السرخسي في المبسوط، قال: «والتقية أن يقي نفسه من العقوبة، بما يظهره وإن كان يضرر خلافه» ^(٢).

وقال ابن حجر في الفتح: «هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير» ^(٣).

وقال ابن القيم: «التقية أن يقول العبد خلاف ما يعتقد لالتقاء مكروه يقع به لو لم يتكلم بالتقية» ^(٤).

وعرّفها رشيد رضا في تفسيره، فقال: «ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق، لأجل توقي الضرر» ^(٥).

وقال العلامة الألوسي في تفسيره: «وعرفوها بمحافضة النفس، أو العرض، أو المال من شر الأعداء، والعدو قسمان: الأول من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم، والثاني من كانت

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢١٧.

(٢) المبسوط، ج ٢٤، ص ٤٥.

(٣) فتح الباري، ج ١٢، ص ٢١٤.

(٤) أحكام أهل الذمة، ج ٢، ص ١٠٣٨.

(٥) تفسير المنار، ج ٣٠، ص ٢٨٠.

عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والملك والإمارة»^(١).

وقال العلامة المراغي في تفسيره: «ويدخل في التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسقة وإلانة الكلام لهم والتبسم في وجوههم وبذل المال لهم لكف أذاهم وصيانة العرض منهم، ولا يعد هذا من الموالاة المنهي عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبراني قوله صلى الله عليه وسلم "ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة"»^(٢).

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: «ظاهر الآية يدل على أن التقيّة إنما تحل مع الكفار الغالبين، إلا أن مذهب الشافعي رضي الله عنه أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكافرين حلت التقية محامية عن النفس، وقال: التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله ﷺ: "حرمة مال المسلم كحرمة دمه"، وقوله ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد"»^(٣).

وعرّفها الشيخ المفيد رحمه الله، فقال: «التقية: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا»^(٤).

وقال الشهيد الأول في قواعده: «التقية مجاملة الناس بما يعرفون،

(١) روح المعاني، ج ٢، ص ١١٧

(٢) تفسير المراغي، ج ٣، ص ١٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ١٣.

(٤) تصحيح الاعتقاد، ص ٦٦.

وترك ما ينكرون، حذرًا من غوائلهم»^(١).

وقال الشيخ الأنصاري رحمته الله في بيان المراد من التقية: «التحفظ عن ضرر الغير بموافقة في قول أو فعل مخالف للحق»^(٢).

وبناءً على ما تقدم فإن من اعتقد أنه على الحق، وخشي مكر وغائلة مخالفه ما عليه حرج من العمل بالتقية لحفظ نفسه وعرضه وماله من الهتك، هذا ما اتفق عليه علماء المسلمين شيعة وسنة، فهل اعتقاد هؤلاء العلماء بالتقية قولاً وعملاً مما يؤكد للكاتب انتماءهم وارتباطهم بخلايا سرية ماسونية؟!!

ثانياً: عامل السرية في نظر الشرع وسيلة لتحقيق المصالح المعتبرة شرعاً.

إن كان عامل السرية في التقية -بحسب زعم الكاتب- الذي تمارسه الشيعة مع من يخالفها الرأي والمعتقد يؤكد ارتباطها بجميع الماسونية العالمية، فإن ذلك يجرُّ إلى التطاول على كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وآله وسلم، وعلى الصحابة والتابعين، وعلماء الأمة الإسلامية؛ لأن عامل السرية في نظر الشرع وسيلة لتحقيق المصالح المعتبرة شرعاً، ودفع المفسد عن الإنسان في دينه ودنياه، ودرء المفسدة أولى من جلب المصلحة، قال ابن حجر في الفتح: «أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، إلا

(١) القواعد والفوائد، ج ٢، ص ١٥٥.

(٢) التقية، تحقيق الشيخ فارس الحسون، ص ١١.

ما سُفِكَ فيه دَمٌ حرام، أو فَرَجٌ حرام، أو اقْتُطِع فيه مالٌ بغير حق»^(١).

١ - أما كونه من التناول على الكتاب، فلقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢). فهذه الآية الكريمة تقرر مبدأ السرية في الأمور البارزة التي تمس حياة الأمة وأمنها، وقد أشار إلى ذلك أبو القاسم جاز الله الزمخشري في تفسيره للآية بقوله: «هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمر، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به، وكانت إذاعتهم مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر منهم - وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرونهم - ﴿لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تدبير ما أخبروا به ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها»^(٣).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٤).

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٨٢.

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) الكشف، تفسير الزمخشري، ج ١، ص ٥٤١.

(٤) الفتح: ٢٥.

قال ابن كثير في تفسيره للآية عن هؤلاء المؤمنين: «أي: بين أظهرهم ممن يكتُم إيمانه، ويخفيه منهم خيفةً على أنفسهم من قومهم، لكنّا سلطانكم عليهم، فقتلتموهم، وأبدتم خضراءهم، ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل»^(١).

وقد ذكر الله تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢)، فمن حكمة كتّمه لإيمانه أنه إن أظهر موافقتهم، وكتّم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، ويسلم من أذاهم له^(٣).

فها هو القرآن الكريم يولي قيمة قصوى لعامل السرية في ما يخص أمن الأمة وأمانها، وما يحققه من مصالح معتبرة شرعاً، وما يندفع به من مفسد وأضرار مادية دنيوية ومعنوية دينية.

٢- أما كونه من التطاول على السنة فلا نّ عامل السرية - وذلك لا يخفى على مسلم - رافق السنوات الأولى من الدعوة الإسلامية، والتكتّم الذي تغير حسب الظروف والأحوال حتى قوي أمر الإسلام.

ولم يقتصر عامل السرية على بداية الدعوة، بل استمر حتى في الحروب والغزوات، ففي غزوة الأحزاب، حين كتّم نعيم بن مسعود إسلامه، ليتمكن من تغيير مجرى المعركة، بالوقعة بين الأحزاب وبين بني قريظة، وقد وجهه النبي ﷺ إلى الاستفادة من ذلك، بقوله: «إنما

(١) تفسير ابن كثير، ج ٧، ص ٣٤٤.

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ٦، ص ٥٢٢.

أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة»^(١).

وفي الغزوة نفسها أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد بكتان غدر بني قريظة عن المسلمين، وأن يُلحِنا له لئلا يعرف منه حقيقة الخبر^(٢).

وكذلك ما حدث في سرية عبد الله بن جحش، حين كتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه ثم يمضي، ولا يستكره أحداً من أصحابه، وذلك محافظة على معنويات المسلمين؛ لأن الأوامر كانت بأن يترصد قريشاً قرب مكة^(٣)، وما ذلك إلا محافظة على روح المسلمين المعنوية، فالسرية تكون في ما يضر إظهاره، أما ما لا يضر إظهاره فلا يصلح كتمانها.

قال ابن هشام في سيرته: أن النبي ﷺ، كان مغلوباً على أمره في مكة، لا يحلّ، ولا يحرم^(٤).

وعن ابن قتيبة في كتاب "المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير": «أن رسول الله ﷺ كان يتوقى بعض التوقي، ويستخفي ببعض ما يؤمر به على نحو ما كان عليه قبل الهجرة، فلما فتح الله عليه مكة، وأفشى بالإسلام أمره أن يبلغ ما أرسل إليه مجاهراً به غير متوقٍ ولا هائب،

(١) يُنظر: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم: ابن هشام، ج ٣، ص ٢٤٧، وعيون الأثر، ج ٢، ص ٨٩، وقد روى البخاري في صحيحه قوله ﷺ: الحرب خدعة، كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة، ج ٤، ص ٢٤.

(٢) يُنظر: عيون الأثر، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) يُنظر: سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٤) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٦٥٢.

ولا متألف، وقيل له: إن أنت لم تفعل ذلك على هذا الوجه لم تكن مبلغاً لرسالات ربك»^(١).

فها هو النبي الأقدس ﷺ أخفى الأحكام، ولم يبينها في مكة تقية على نفسه، بل لم يطبق بعض الأحكام حتى بعد تمكنه من فتح مكة خشية الفتنة من الناس، وترك بعض الأمور على ما هي عليه في أيام الجاهلية، مع أنه ﷺ صرح بأن الحق خلاف ذلك، فقد أخرج البخاري من طريق عبد الله بن مسيلمة، أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، أخبر عبد الله بن عمر أن عائشة قالت: أن رسول الله ﷺ، قال لها: «ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم؟ فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟ قال: لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»^(٢).

٣ - أما كونه من التطاول على الصحابة والتابعين، فلما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي الدرداء، أنه كان يقول: «إنا لنكشر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم»^(٣).

وأخرج ابن حزم الظاهري، عن الحارث بن سويد، قال: «سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما من ذي سلطان يريد أن يكلفني كلاماً يدرأ عني سوطاً أو سوطين إلا كنت متكلماً به». وقال معقّباً: «ولا يُعرف

(١) المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، ص ٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٩٠.

(٣) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣١، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس.

له من الصحابة رضي الله عنهم مخالف^(١). وهذا القول صريح باتفاق الصحابة على جواز التقية، ولو باحتمال الخوف من سوط واحد من سياط السلطان الظالم.

وقال السرخسي الحنفي في "المبسوط": «وقد كان حذيفة رضي الله عنه ممن يستعمل التقية على ما روي أنه يداري رجلاً، ف قيل له: إنك منافق!! فقال: لا، ولكنني أشترى ديني بعرضه ببعض مخافة أن يذهب كله»^(٢).

وقال ابن حجر في "الفتح": «صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرهما كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها، والآثار في ذلك مشهورة، منها ما رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء، قال: أخر الوليد الجمعة حتى أمسى «فجئت، فصليت الظهر قبل أن أجلس، ثم صليت العصر، وأنا جالس إيماء، وهو يخطب. وإنما فعل ذلك عطاء خوفاً على نفسه من القتل.

ومنها ما رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة من طريق أبي بكر بن عتبة، قال: صليت إلى جنب أبي جحيفة، فمسى الحجاج بالصلاة، فقام أبو جحيفة فصلى. ومن طريق ابن عمر أنه كان يصلي مع الحجاج، فلما أخر الصلاة ترك أن يشهدا معه. ومن طريق محمد بن أبي إسماعيل، قال: كنت بمنى، وصحف تقرأ للوليد، فأخروا الصلاة، فنظرت إلى سعيد بن جبير وعطاء يومئذ إيماء، وهما

(١) المحلى ابن حزم، ج ٨، ص ٣٣٦، مسألة ١٤٠٩.

(٢) المبسوط للسرخسي، ج ٢٤، ص ٤٦.

قاعدان»^(١).

٤ - أما كونه من التطاول على علماء الأمة الإسلامية، فلما رواه الخطيب في تاريخه عن سفيان بن وكيع، قال: «جاء عمر بن حماد بن أبي حنيفة، فجلس إلينا، فقال: سمعتُ أبي حماد يقول: بعث ابن أبي ليلى إلى أبي حنيفة، فسأله عن القرآن؟ فقال: مخلوق. فقال: تتوب، وإلا أقدمت عليك! قال: فتابعه، فقال: القرآن كلام الله. قال: فدار به في الخلق، يخبرهم أنه قد تاب من قوله: القرآن مخلوق. فقال أبي: فقلت لأبي حنيفة: كيف صرت إلى هذا، وتابعته؟ قال: يا بني خفت أن يقدم عليّ فأعطيته التقية»^(٢).

وقال السرخسي: «وعن الحسن البصري رحمه الله: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة، إلا أنه كان لا يجعل في القتل تقية، وبه نأخذ، والتقية أن يقي نفسه من العقوبة بما أظهره وإن كان يضر خلافه، وقد كان بعض الناس يأبى ذلك، ويقول: إنه من النفاق، والصحيح أن ذلك جائز لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وإجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقية، وقد بينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيه لعمار بن ياسر رضي الله عنه»^(٣).

وقال الشوكاني في معرض كلامه عن تقية أكابر العلماء المجتهدين

(١) فتح الباري، ج ٢، ص ١٤.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٣ ص ٣٨٠.

(٣) المبسوط للسرخسي ج ٢٤ ص ٤٥.

وسكوتهم عن بدع المقلّدة ومن يعضدهم من جهلة الملوك والأجناد: «إذا تقرر أن المحدث لهذه المذاهب والمبتدع لهذه التقليدات هم جملة المقلّدة فقط فقد عرفت مما تقرر في الأصول أنه لا اعتداد بهم في الإجماع وأن المعبر في الإجماع إنما هم المجتهدون، وحينئذ لم يقل بهذه التقليدات عالم من العلماء المجتهدين، أما قبل حدوثها فظاهر، وأما بعد حدوثها فما سمعنا عن مجتهد من المجتهدين أنه يسوّغ صنيع هؤلاء المقلّدة الذين فرقوا دين الله، وخالفوا بين المسلمين، بل أكابر العلماء منكر وساكت عنها سكوت تقية لمخافة ضرر أو لمخافة فوات نفع، كما يكون مثل ذلك كثيرًا، لا سيما من علماء السوء، وكل عاقل يعلم أنه لو صرح عالم من علماء الإسلام المجتهدين في مدينة من مدائن الإسلام في أي محل كان بأن التقليد بدعة محرمة لا يجوز الاستمرار عليه ولا الاعتداد به لقام عليه أكثر أهلها إن لم يقم عليه كلهم، وأنزلوا به الإهانة والإضرار بماله وبدنه وعرضه بما لا يليق بمن هو دونه إذا سلم من القتل على يد أول جاهل من هؤلاء المقلّدة ومن يعضدهم من جهلة الملوك والأجناد»^(١).

وقال في المصدر نفسه: «فالله سبحانه حافظ دينه بهم، وحجته قائمة على عباده بوجودهم وإن كتموا الحق في بعض الأحوال إما لتقية مسوغة كما قال تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أو بمداهنة أو طمع في جاه أو مال، ولكنهم على كل حال إذا عرفوا من هو طالب للحق راغب فيه سائل عن دينه سالك مسالك الصحابة والتابعين وتابعيهم

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، ص ٤٦.

لم يكتموا عليه الحق، ولا زاغوا منه»^(١).

ونقل القاسمي في تفسيره "المحاسن" عن كتاب "إيثار الحق على الخلق" لمرتضى اليماني، قوله: «خوف العارفين، مع قلتهم، من علماء السوء وسلاطين الجور، وشياطين الخلق، مع جواز التقية عند ذلك بنص القرآن وإجماع أهل الإسلام. وما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، ولا برح المحق عدوًّا لأكثر الخلق. وقد صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في ذلك العصر الأول: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين، فأما أحدهما فبشته في الناس، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم. وما زال الأمر في ذلك يتفاحش»^(٢).

وختامًا: ابن تيمية يُجوز استخدام التقية مع المشركين والمسلمين:

١ - أما تجويزه استخدامها مع المشركين، فلقوله في "مجموع الفتاوى": «فلو قدر أنه سجد قدام وثن، ولم يقصد بقلبه السجود له بل قصد السجود لله بقلبه لم يكن ذلك كفرًا، وقد يباح ذلك إذا كان بين مشركين يخافهم على نفسه، فيوافقهم في الفعل الظاهر، ويقصد بقلبه السجود لله كما ذكر أن بعض علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب فعل نحو ذلك مع قوم من المشركين حتى دعاهم إلى الإسلام، فأسلموا على يديه، ولم يظهر منافرتهم في أول الأمر»^(٣).

٢ - أما تجويزه استخدامها مع المسلمين، فذلك لما سُئل عمن

(١) المصدر نفسه، ص ٩٧-٩٨.

(٢) محاسن التأويل، ج ٦، ص ١٤٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ج ١٤، ص ١٢٠.

يبوس الأرض دائماً هل يَأْثِمُ، وَعَمَّنْ يفعل ذلك لسبب أخذ رزق، وهو مُكْرَهُ كَذَلِكَ، فَأَجَاب: «إِذَا أَكْرَهَ الرَّجُلُ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ لَأَفْضَى إِلَى ضَرْبِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ أَخْذِ مَالِهِ أَوْ قَطْعِ رِزْقِهِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الضَّرَرِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، فَإِنْ الْإِكْرَاهُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ يَبِيحُ الْفِعْلَ الْمَحْرَمَ كَشَرْبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِهِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عَنْ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَكْرَهُهُ بِقَلْبِهِ، وَيَحْرَصُ عَلَى الْامْتِنَاعِ مِنْهُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، وَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ الصَّدَقَ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ يُعَافَى بِبَرَكَةِ صِدْقِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ، وَذَهَبَ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَبِيحُ إِلَّا الْأَقْوَالُ دُونَ الْأَفْعَالِ، وَيُرْوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَنَحْوِهِ، قَالُوا: إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ، وَهُوَ الرِّوَايَةُ الْآخَرَى عَنْ أَحْمَدَ. وَأَمَّا فِعْلُ ذَلِكَ لِأَجْلِ فَضُولِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ فَلَا، وَإِذَا أُكْرِهَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَنَوَى بِقَلْبِهِ أَنْ هَذَا الْخُضُوعُ لِلَّهِ تَعَالَى كَانَ حَسَنًا، مِثْلَ أَنْ يُكْرِهَ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَيَنْوِي مَعْنَى جَائِزًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).





مقالة في رد شبهة أن البهائية ثاني أكبر دين انتشاراً في العالم

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الإسلام ثاني أكبر ديانة في العالم بعد الكاثوليك والأسرع انتشاراً.
- محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع.
- لا اليهود كانوا يعتقدون أن نبيهم خاتم الأنبياء والمرسلين ولا النصراني.

مقالة في رد شبهة أن البهائية ثاني أكبر دين انتشاراً في العالم

زعم بعض المتتمين للبهائية «أن دينهم البهائي ثاني أكبر دين انتشاراً في العالم بعد الديانة الكاثوليكية، وزعم بعض آخر منهم أن البهائية أسرع دين انتشاراً في العالم، وأن وحي الله مستمر، ولن ينقطع، وأن النبي محمداً إنما هو خاتم الأنبياء، وليس خاتم الرسل باعتراف القرآن: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١). وما من ديانة أو ملة إلا وادّعت أن نبيها هو خاتمة الأنبياء، فاليهود كانوا يعتقدون أن موسى هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والنصارى كانوا يعتقدون أن المسيح هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وكلها مزاعم باطلة لا يصحّ منها شيء».

ويجاب على ذلك بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - كون الإسلام ثاني أكبر ديانة في العالم بعد الكاثوليك وأنه الأسرع انتشاراً في العالم أمر لا نقاش فيه، ولا خلاف عليه، بل إن الإسلام تجاوز الديانة الكاثوليكية في الانتشار، وهنالك مواقع غير

(١) الأحزاب: ٤٠.

إسلامية تقرر هذا التسارع في الانتشار بين فينةٍ وأخرى، ومن تلك المواقع التي عُرفت بحقدها على الإسلام والمسلمين، موقع وكالة أنباء فوكس نيوز الأمريكية، وموقع قناة cnn الأمريكية، وموقع رويترز.

٢- يقرّ بهاء الله مبتدع الديانة البهائية في كتابه «لآلئ الحكمة» مصرّحاً أنّ محمداً ﷺ هو خاتم النبوة والرسالة، ويقرّ - أيضاً - بأنّ الرُّسل قد انتهت بهادي الرُّسل محمد ﷺ، وكلامه واضحٌ في ذلك، وهو يُكذّب دعوى استمرار الرُّسل بعد النبيّ الخاتم ﷺ، التي يروّج لها أتباعه.

٣- ما كان اليهود يعتقدون بأنّ موسى ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وما كان النصارى - أيضاً - يعتقدون أنّ عيسى ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، بل ولم يدّعِ نبيٌّ أنّه خاتم الأنبياء والمرسلين إلا النبيّ محمد ﷺ، وها هي كتبهم المقدسة التوراة والإنجيل - على رغم التحريف الفاحش الذي لحقهما - فإننا لا نجد فيهما ما يشير ولو تلميحاً إلى هذه العقيدة لا من قريب ولا من بعيد.

الجواب التفصيلي:

يقول صاموئيل زويمر في مؤتمر القدس المنعقد عام ١٩٣٥م، معترفاً بحقيقة نسخ الإسلام لكلّ الديانات السابقة التي سبقته، موصياً المؤتمرين بالعمل على القضاء عليه:

«إنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي تحطمتْ على صخوره كلّ محاولاتنا، لذلك يجب أن نعمل ما استطعنا على إبعاد المسلمين عنه،

وحملهم على التخلي عنه بأي وسيلة تُمكننا من ذلك، وعزله عن حياتهم العامة ليبقى منحصرًا محصورًا في المسجد، لا تأثير له خارجه»^(١)، ويمكن القول: إن من محاولاتهم اليائسة تلك اختلاق الأديان لتكون نداءً للدين الإسلامي، علّها تُطيح به كما أطاح بدياناتهم، ونسخها، وحل محلّها، فدخل العالم من جهاته الأربع، فكان من تلك الأديان المختلقة الأضعف وجودًا والأقل قدرة على إثبات صدق دعوته لمعتنقيه، بل هو معدوم القدرة على ذلك، وهو ما يسمّونه بالديانة البهائية. (وسياتي - إن شاء الله تعالى - في غير هذا المختصر التعريف بها وذكر تفاصيل بارزة عنها).

أدلى بعض أتباع البهائية المغرّرين بهم دلوّه، مجازفًا بالقول أنّ دينهم البهائي هو ثاني أكبر دين انتشارًا في العالم بعد الديانة الكاثوليكية، وأنّه أسرع انتشارًا!!

أقول: لم نسمع بهذا الزعم الغريب المضحك والمبكي في آنٍ معًا، وما اعتدنا قبل اليوم أن نسمع بالبهائية إلا عند التباكي عليها في فضاءات الإعلام الغربي والعربي العلّمانى فحسب، وفي أزمان مترامية الأطراف، وتحت مسمى الأقليات المضطهدة التي لا ملجأ ولا مأوى لأتباعها، والجدير بالذكر أنّ أغلب الدول الإسلامية ترفض وجود هذه المجاميع على أراضيها، لا سيّما بعد اتفاق علماء الإسلام بمختلف مذاهبهم ومشاربهم على كفرهم، إلا أنّ ما تقدّم لا يمنع من إرشاد من ضلّ طريقه إلى الصواب في إطار المجادلة بالحق والحوار البناء

(١) اعترافات بهائي مرتد، منذر الحايك، ص ٢٦٢.

الذي نص عليه القرآن الكريم في قوله عزّ ذكره: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١)، وهذا هو أحد أسباب قوة الإسلام في بقاءه وانتشاره، لذا نُجيبُ عن هذه الشبهة بنحو من التفصيل، ونردُّ عليها من عدة وجوه:

الأول: الإسلام ثاني أكبر ديانةٍ في العالمٍ بعد الكاثوليك والأسرع انتشاراً.

إنّ الكاثوليك أنفسهم اعترفوا أن الإسلام أسرع منهم انتشاراً في العالم، بل إنّ الإسلام تجاوز الديانة الكاثوليكية في الانتشار، وهنالك مواقع غير إسلامية تقرر هذا التسارع في الانتشار بين فينة وأخرى، ومن تلك المواقع التي عرفت بحقدها على الإسلام والمسلمين، موقع وكالة أنباء فوكس نيوز الأمريكية، فقد نشرت في ٣٠ مارس ٢٠٠٨، على موقعها الرسمي -وما زال التقرير مثبتاً- نقلاً عن الفاتيكان: «الفاتيكان: الإسلام يتفوق على الكاثوليكية الرومانية باعتباره أكبر ديانة في العالم».

Vatican: Islam Surpasses Roman Catholicism as World's Largest Religion

كما نشر Word news موقع قناة cnn الأمريكية في ١٤ أبريل

١٩٩٧ تقريراً جاء فيه: «الدين الأسرع نموًّا: يعتبر الإسلام ثاني أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية، وهو أيضًا الدين الأسرع نموًّا».

Fastest-growing religion kneeling The second-largest religion in the world after Christianity, Islam is also the fastest-growing religion.

ونشر موقع رويترز في ٣٠ مارس ٢٠٠٨ في موقعه الرسمي تقريراً جاء فيه: «الفاتيكان: عدد المسلمين أكثر من الكاثوليك. مدينة الفاتيكان (روترز)، قال الفاتيكان يوم الأحد: إن الإسلام تجاوز الكاثوليكية كأكبر طائفة دينية في العالم.

قال المونسنيور فيتوريو فورميتي، الذي جمع كتاب الإحصاءات السنوي لعام ٢٠٠٨ الصادر حديثاً عن الفاتيكان: إن المسلمين يشكلون ١٩,٢ في المائة من سكان العالم وإن الكاثوليك يشكلون ١٧,٤ في المائة.

Vatican: Muslims more numerous than Catholics

VATICAN CITY (Reuters) - Islam has overtaken Roman Catholicism as the biggest single religious denomination in the world, the Vatican said on Sunday.

Monsignor Vittorio Formenti, who compiled the Vatican's newly-released 2008 yearbook of statistics, said Muslims made up 19.2 percent of the world's population and Catholics 17.4 percent.

ثانيًا: محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع.

كتب «بهاء الله» مُخْتَلَق الدين البهائي، في كتابه "لآلئ الحكمة" يقول: «والصلاة والسلام على من ختم باسمه النبوة والرسالة الذي به ظهرت أحكام الله وأوامره وحججه وبرهانه وعلى آله وأصحابه الذين نبذوا ما عند الناس، وقاموا على خدمة الأمر»^(١). فبهاء الله كتب بلغة عربية واضحة، وقال بضرر س قاطع: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هو خاتم النبوة والرسالة.

ويقول بهاء الله - أيضًا - في نفس المصدر: «والصلاة والسلام على النقطة الأولية والألف القائمة المعطوفة والكلمة الجامعة الجبروتية والروح الملكوتية الإلهية الذي به بدئ الوجود، وخُتِمت مظاهر الغيب في الشهود محمد المصطفى»^(٢). والعبارة الأخيرة (مظاهر الغيب في الشهود محمد المصطفى) يستعملها البهائيون للدلالة على رسل الله بحسب قولهم، فالبهاء يصرّح باعتقاده بأنّ رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والبهاء هو صاحب الدين البهائي "وصاحب البيت أدري بالذي فيه".

ويقول البهاء في المصدر نفسه: «وقد انتهت الرسل بهادي السبل... المبدأ الذي طُرز بطراز الختم، والظاهر الذي ظهر به الباطن، مُظهر القَدَم، وفخر الأمم محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى

(١) لآلئ الحكمة، المجلد ١، ص ١١١.

(٢) المصدر نفسه، المجلد ١، ص ٨٣.

آله وأصحابه»^(١)، فهو يُقرر أنّ الرُّسل قد انتهت بهادي الرُّسل محمد ﷺ، وكلامه واضح، وهو يُكذّب دعوى استمرار الرُّسل بعد النبيّ الخاتم ﷺ.

ثالثاً: لا اليهود كانوا يعتقدون أنّ نبيّهم خاتم الأنبياء والمرسلين ولا النصارى.

يُبدى البهائيون اعتقادهم أنّ جميع الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن منزلة من الله سبحانه وتعالى، بل ويحثون أتباعهم من مختلف الخلفيات والمعتقدات على دراسة هذه الكتب السماوية والتمعّن فيها!!، فهل تمعّن البهائيون في القرآن الكريم، وتحديدًا في قوله عزّ ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢). ليتبينوا أن النصارى ما كانوا يعتقدون قط بأن عيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين بمقتضى تبشيره لهم بمجيء نبي بعده اسمه أحمد.

وهل تمعنوا في التوراة ليتبين لهم أنّ اليهود كانوا يعتقدون بأنّ موسى عليه السلام خاتم الأنبياء والرسل أو لا؟ فها هم اليهود في توراتهم المحرفة التي بين أيديهم ينصّون على أنّ موسى عليه السلام تلقى من الله وعداً، فقد جاء في سفر التثنية: «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم

(١) المصدر نفسه، المجلد ٣، ص ٨١.

(٢) الصف: ٦.

مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به»^(١). فأين اعتقد اليهود بأن موسى عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين، وتوراتهم - على رغم تحريفها - تنص على مجيء نبي بعده.

وها هو العهد الجديد ينقل عن اليهود في إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، العدد التاسع عشر: «وهذه هي شهادة يوحنا، حين أرسل اليهود من أورشليم كهنةً ولاويين ليسألوه: "من أنت؟" فاعترف، ولم ينكر، وأقر: "أني لست أنا المسيح" فسألوه: "إذا ماذا؟ إيليا أنت؟" فقال: "لست أنا". "النبي أنت؟" فأجاب: "لا" فقالوا له: "من أنت، لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟"».

ففي هذه النصوص دلالة واضحة على أن اليهود والنصارى كانوا ينتظرون ظهور نبي بعد موسى عليه السلام، والمحصلة في النهاية أنه لا اليهود ادّعوا أن نبيهم خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا ادّعى النصارى ذلك، بل ولم يدّع نبي أنه خاتم الأنبياء والمرسلين إلا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.





مقالة في رد شبهة وقوع الحروب والمقاتلات في المسجد الحرام تخالف إخبار القرآن ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الخبر في الجملة قد يرد بمعنى الأمر.
- الجملة الخبرية في الآية مسوقة لبيان حكم شرعي.

مقالة في رد شبهة وقوع الحروب والمقاتلات في المسجد الحرام تخالف إخبار القرآن ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾

نشر بعضهم على إحدى وسائل التواصل الاجتماعي شبهة ركيكة هزيلة بكامل أركانها، تنم عن جهل واضح من قائلها، يهدف من إثارتها إيهام الناس بأن القرآن الكريم يخبر عن أمور تخالف الواقع، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١)، في حين أن التاريخ يذكر أحداثاً وقعت في المسجد الحرام، ثم يعزز شبهته معتقداً أن الآية الكريمة جملة خبرية، وبناءً على أن الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فالآية بهذا اللحاظ لم تنبئ عن الواقع!

وهذا نص الشبهة: «وردت في القرآن آية استوقفتني كثيراً، وهي قول الله عن المسجد الحرام: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٢)، وهذه الآية -كما لا يخفى- جملة خبرية، والخبر -كما هو معلوم- يحتمل الصدق والكذب، وهذه الآية إخبار من الله عن أمن من يدخلون المسجد الحرام، ولكن ما فعله القرامطة من غزو للمسجد الحرام، وقتل للحجاج، ونهب للحجر الأسود؛ وما فعله الحجاج بن يوسف حين قام بوضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله، وغيرها من

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) آل عمران: ٩٧.

إحداث، يخالف بوضوح ما جاء في إخبار الله أن المسجد أماناً لمن دخله».

ويجاب على هذه الشبهة بجوابين، إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

أنَّ الجملة في اللغة العربية إما خبرية أو إنشائية، والأصل أن تكون لكل جملة منها دلالتها الخاصة بها، والتي لا تتداخل مع غيرها في المعنى الوظيفي، ولكن هنالك بعض المواضع التي تسمح بها اللغة، حيث يُعبّر عن الإنشاء بصورة الجملة الخبرية، والعكس بالعكس، فقد تأتي الجملة في صور الجملة الخبرية، ويكون المعنى الوظيفي لها معنىً إنشائياً، فالجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ هي جملة خبرية مسوقة لبيان حكم شرعي على نحو الأمر بأن يؤمن من دخل المسجد الحرام، وعليه، فالأمن في الآية الكريمة شرعي.

الجواب التفصيلي:

والجواب عن هذه الشبهة بنحو التفصيل في وجهين:

الوجه الأول: الخبر في الجملة قد يرد بمعنى الأمر.

إنَّ الجملة في اللغة العربية إما خبرية أو إنشائية، والجملة الخبرية هي التي تحمل خبرًا يحتمل الصدق والكذب في ذاته بصرف النظر عن قائله، نحو قولك: أشرقت الشمس، والجملة الإنشائية عكسها، وهي الجملة التي تتضمَّن كلامًا لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، كالاستفهام والدعاء والأمر والنهي.

والأصل أن تكون لكل جملة -خبرية كانت أم إنشائية- دلالتها الخاصة بها، والتي لا تتداخل مع غيرها في المعنى الوظيفي، ولكن هنالك بعض المواضع التي تسمح بها اللغة، حيث يُعبَّر عن الإنشاء بصورة الجملة الخبرية، والعكس بالعكس.

فقد تأتي الجملة في صور الجملة الخبرية، ويكون المعنى الوظيفي لها معنىً إنشائيًا، من قبيل ما ذكره الطبرسي في "مجمع البيان"، بقوله: «فقال ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ أي الأمهات ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ صيغته صيغة الخبر، والمراد به الأمر، أي ليرضعن أولادهن، كقوله ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ وجاز ذلك التصرف في الكلام مع رفع الإشكال إذ لو كان خبرًا لكان كذبًا؛ لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل»^(١)، وقال

(١) مجمع البيان: ج ٢، ص ٩٩.

السيوطي في "الإتقان": «القصْد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر، نحو: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾»^(١).

وقال الألوسي في "روح المعاني": «﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي ينتظرن، وهو خبر قصد منه الأمر»^(٢)، وقال أيضًا: «وقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ استئناف بياني كأنه قيل: ما هذه التجارة؟ دلنا عليها: فقيل: تُؤْمِنُونَ إلخ، والمضارع في الموضوعين - كما قال المبرد وجماعة - خبر بمعنى الأمر، أي: آمنوا وجاهدوا»^(٣).

الوجه الثاني: الجملة الخبرية في الآية مسوقة لبيان حكم تشريعي.

من البيان أولاً يتضح أن الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ هي جملة خبرية مسوقة لبيان حكم تشريعي على نحو الأمر بأن يؤمن من دخل المسجد الحرام، قال الشيخ المفيد: «قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فهو لفظ بصيغة الخبر، والمراد به الأمر بأن يؤمن من دخله»^(٤).

وقال السيد المرتضى في "رسائله": «من شأن أهل اللغة إذا أكدوا

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج ٣، ص ٢٥٨.

(٢) روح المعاني: ج ١، ص ٥٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ج ١٤، ص ٢٨٣.

(٤) التذكرة بأصول الفقه: ص ٣٣.

تحريم شيء، أدخلوا فيه لفظ النفي، لينبئ عن تحقيق التحريم وتأكيده وتغليظه، كما أن في مقابلة ذلك إذا أرادوا أن يؤكدوا، ويغلظوا الإيجاب، استعملوا فيه لفظ الخبر والإثبات. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وإنما أكد بذلك وجوب أمانه، وكان هذا القول أكد من أن يقول: فآمنوا من دخله ولا تخيفوه»^(١).

قال العلامة الطباطبائي في "الميزان": «فالحق أن قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: مسوق لبيان حكم تشريعي لا خاصة تكوينية، غير أن الظاهر أن يكون الجملة إخبارية يخبر بها عن تشريع سابق للأمن، وربما استفيد ذلك من دعوة إبراهيم المذكورة في سورتي إبراهيم والبقرة، وقد كان هذا الحق محفوظاً للبيت قبل البعثة بين عرب الجاهلية، ويتصل بزمان إبراهيم عليه السلام. وأما كون المراد من حديث الأمن هو الإخبار بأن الفتن والحوادث العظام لا تقع، ولا ينسحب ذيلها إلى الحرم، فيدفعه وقوع ما وقع من الحروب والمقاتلات واختلال الأمن فيه، وخاصة ما وقع منها قبل نزول هذه الآية، وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٢)، لا يدل على أزيد من استقرار الأمن واستمراره في الحرم، وليس ذلك إلا لما يراه الناس من حرمة هذا البيت ووجوب تعظيمه الثابت في شريعة إبراهيم عليه السلام، وينتهي بالأخرة إلى جعله سبحانه وتشريعه. وكذا ما وقع في دعاء إبراهيم المحكي في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾^(٣)، وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا

(١) رسائل الشريف المرتضى: ص ١٨٣.

(٢) العنكبوت: ٦٧.

(٣) إبراهيم: ٣٥.

آمِنًا»^(١)، حيث سأل الأمن لبلد مكة فأجابه الله بتشريع الأمن وسوق الناس سوقاً قلبياً إلى تسليم ذلك وقبوله زماناً بعد زمان»^(٢).

وقال ابن حزم: «قوله تعالى ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» فإنما هذا أمر لنا بأن نؤمن كل من دخل مقام إبراهيم، وليس هذا خبراً، ولو كان خبراً لكان كذباً؛ لأنه قد قتل الناس حوله ظلماً وعدواناً، قال أبو محمد: وموجود في كل لغة أن يرد الأمر بلفظ الخبر ولفظ الاستفهام كقول القائل: لعبده أ تفعل أمر كذا، أو ترى ما يحل بك، وإنما ذلك أن الخبر عن الشيء إيجاب لما يخبر به عنه، والأمر إيجاب لفعل المأمور به، فهذا اشتراك بين صيغة الخبر وصيغة الأمر»^(٣).

وقال الجصاص في "أحكام القرآن": «﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ كل هذا من طريق الحكم لا على وجه الإخبار بأن من دخله لم يلحقه سوء؛ لأنه لو كان خبراً لوجد مخبره على ما أخبر به لأن أخبار الله تعالى لا بد من وجودها على ما أخبر به، وقد قال في موضع آخر ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فأخبر بوقوع القتل فيه، فدل أن الأمر المذكور إنما هو من قبل حكم الله تعالى بالأمن فيه وأن لا يقتل العائد به واللاجئ إليه»^(٤).

(١) البقرة: ١٢٦.

(٢) تفسير الميزان: ج ٣، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٣) الأحكام في أصول الأحكام: ج ٤، ص ٧٢.

(٤) أحكام القرآن، ص ٩٠.

وقال ابن الجوزي في "مثير العزم الساكن": «قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١)، لفظُ هذه الآية لفظُ الخبر، ومعناها الأمر، والتقدير: ومن دخله فأمنوه»^(٢).

وقال ابن باز: «يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يعني وجب أن يؤمن، وليس المعنى أنه لا يقع فيه أذى لأحد ولا قتل، بل ذلك قد يقع وإنما المقصود أن الواجب تأمين من دخله، وعدم التعرض له بسوء»^(٣).



(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) مثير العزم الساكن: ج ١، ص ١٩١.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز: ج ١٧ / ص ١٨٧.



مقالة في رد شبهة دلالة تعدد الأديان على بشريتها

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الدين واحد والشرائع متعددة.
- الفرق بين الدين والشريعة.
- الإسلام دين ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين.
- ما توصل إليه السواد الأعظم من العقلاء العباقرة.

مقالة في رد شبهة دلالة تعدد الأديان على بشريتها

كتب بعضهم يقول: «قلما يجيب أحد من المسلمين على السؤال البدهي الآتي: لماذا تعددت الديانات السماوية - اليهودية والمسيحية والإسلامية - ألا يدل تعددها على أنها من وضع البشر؟».

ويجاب على ذلك بجوابين: إجمالي وتفصيلي:

الجواب الإجمالي:

١ - القول بتعدد الأديان السماوية خلط عجيب وفهم غريب، فالدين واحد وهو الإسلام، وإنما اختلفت وتعددت الشرائع (المناهج والسبل) بين نبي وآخر، قال الحق تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١)، أي جعلنا لكم أيها الرسل والأنبياء ديناً واحداً، لكننا جعلنا لكل منكم طريقاً وسبيلاً في تحديد سير هذا الدين بين الناس، وبدين الإسلام بُعث جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، لكن يظهر أن الكاتب خلط بين مصطلحي الدين والشرعة أو تعمد ذلك.

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) آل عمران: ١٩.

٢- الفرق بين الدين والشرعة أن الدين هو السنّة والطريقة الإلهية العامّة لجميع الأمم، والشرعة هي الطريقة الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها، وهي دون الدين بمعناه الواسع.

٣- لقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم أن الإسلام دين ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى مخبراً عن إسلام الأنبياء الذين تقدموا: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

٤- إن من يدّعون أن الدين من وضع البشر هم القلة القليلة على مرّ الزمان، بينما السواد الأكبر والأعظم من عقلاء وعلماء ومفكرين، وعباقر، وفلاسفة آمنوا بهذا الدين وبربانيته وعالميته بعد أن تفحصوا وتدققوا وتعمقوا.

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الحج: ٧٨.

الجواب التفصيلي:

أولاً: الدين واحد والشرائع متعددة.

القول بتعدد الأديان السماوية خلط عجيب وفهم غريب، فالدين واحد وهو الإسلام، وإنما اختلفت، وتعددت الشرائع (المناهج والسبل) بين نبي وآخر، قال الحق تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١)، أي جعلنا لكم أيها الرسل والأنبياء ديناً واحداً، لكننا جعلنا لكل منكم طريقاً وسبيلاً في تحديد سير هذا الدين بين الناس، والشرعة تختلف من نبيٍّ إلى آخر، وتباين من رسول إلى رسول، بحسب ظروف العصر وطبيعة البيئة.

وبدين الإسلام بُعث جميع الأنبياء والرسل -وستتناول ذلك بالتفصيل في فقرات هذا الجواب- قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣)، لكن يظهر أن الكاتب خلط بين مصطلحي الدين والشرعة أو تعمد ذلك، ولا بدّ -والحال هذه- من تعريفهما -بادئ ذي بدء- ليتضح له ما استعجم عليه فهمه:

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

١ - مفهوم الدين.

لفظ الدين يطلق في اللغة العربية على معانٍ متعددة: فيطلق تارة، ويراد به الجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) أي يوم الجزاء، وهو يوم القيامة. ويطلق تارة أخرى، ويراد به الحكم والسلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٢) أي في حكمه وسلطانه. ويطلق ثالثة، ويراد به العادة والشأن، ومنه قول الشاعر:

تقول وقد درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدًا وديني؟

أي شأنه وشأني، ويطلق رابعة، ويراد به الطاعة والانقياد، يقال: دان له دينًا وديانة: أي خضع، وذل، وأطاع، ويطلق خامسة ويراد به ما يتدين به الإنسان، يقال: دان بكذا، أي اتخذ دينًا وتعبد به^(٣).

وكلامنا في هذا البحث عن الدين بالمعنى الأخير، وهو ما يتدين به الإنسان، ولا شك أنه بهذا المعنى يدخل في مفهومه المعنى الذي قبله مباشرة، وهو الخضوع والذل والطاعة؛ لأن من دان بدين يخضع لتعاليمه، وينقاد لها، ولا يحيد عنها، وهذا المعنى ليس بعيدًا عن سائر المعاني الأخرى؛ لأنها كلها تدور حول معنى واحد، هو الانقياد والخضوع لسلطان معين.

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) يُنظر: مادة (دين) في القاموس المحيط، والمعجم الوسيط.

وأما في الاصطلاح فهو: الطريقة والسنة الإلهية لجميع الأنبياء وأممهم، تشتمل على «مجموعة العقائد والقواعد والآداب التي يستطيع الإنسان بها بلوغ السعادة في الدنيا، وأن يخطو في المسير الصحيح من حيث التربية والأخلاق الفردية والجماعية»^(١).

٢- مفهوم الشريعة:

الشريعة في اللغة: قال الراغب في المفردات: الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقاً، والشرع مصدر، ثم جعل اسماً للطريق النهج، ف قيل له: شرع وشرع وشرعة، واستعير ذلك للطريقة الإلهية، قال: شرعة ومنهاجاً إلى أن قال: قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تشبيهاً بشريعة الماء. ولو تصفحنا سائر كتب اللغة لعرفنا: أن ما في الأصل تطلق على الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء، وتطلق على مورد الشاربة الذي يشرعه الناس، أي ينحدرون إليه، فيشربون منه ويستقون، والعرب لا تسمي ذلك الموضع شريعة حتى يكون عدداً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء، وهي مشتقة من التشريع؛ وهو إيراد الإبل شريعة لا يحتاج معها إلى نزع بالعلق، ولا سقي في الحوض، فيقال في المثل: أهون السقي التشريع.

والشريعة في مصطلح القرآن: هي الطريقة الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها، كشرعية نوح وإبراهيم وشرعية موسى وشرعية عيسى وشرعية محمد ﷺ.

(١) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢، ص ٤٢٩.

ثانيًا: الفرق بين الدين والشرعة.

معنى الشريعة - كما عرفت - هو الطريقة، والدين كذلك، لكن الظاهر من القرآن أنه يستعمل الشريعة في معنى أخص من الدين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) إذا انضما إلى قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٣) وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾^(٤). فكأن الشريعة هي الطريقة الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها كشرعية نوح وشرعية إبراهيم وشرعية موسى وشرعية عيسى وشرعية محمد ﷺ، والدين هو السنة والطريقة الإلهية العامة لجميع الأمم، فالشرعية تقبل النسخ دون الدين بمعناه الواسع.

فالشرعية أخص معنى من الدين، وأما قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾^(٥) فلا ينافي ذلك، إذ الآية إنما تدلُّ على أن شريعة محمد ﷺ المشروعة لأمته هي مجموع وصايا الله سبحانه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى مضافاً إليها ما أوحاه إلى محمد ﷺ وعليهم، وهو كناية إمّا عن كون الإسلام جامعاً لمزايا جميع الشرائع

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) الجاثية: ١٨.

(٥) الشورى: ١٣.

السابقة وزيادة، أو عن كون الشرائع جميعاً ذات حقيقة واحدة بحسب اللب وإن كانت مختلفة بحسب اختلاف الأمم في الاستعداد كما يُشعر به أو يدلّ عليه قوله بعده: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(١). فنسبة الشرائع الخاصة إلى الدين - وهو واحد والشرائع تنسخ بعضها بعضاً - كنسبة الأحكام الجزئية في الإسلام، فيها ناسخ ومنسوخ إلى أصل الدين، فالله سبحانه لم يتعبد عباده إلا لدين واحد، وهو الإسلام له، إلا أنّه سلك بهم لنيل ذلك مسالك مختلفة، وسنّ لهم سنناً متنوعة على حسب اختلاف استعداداتهم وتنوعها، وهى شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم^(٢).

إذن فالدين هو السنّة والطريقة الإلهية العامّة لجميع الأمم، والشرعية هي الطريقة الممهدة لأمة من الأمم أو لنبي من الأنبياء الذين بعثوا بها، وهي دون الدين بمعناه الواسع.

ثالثاً: الإسلام دين ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين.

لا يخفى - على الباحث المتبع - التقارب الشديد والواضح بين الرسالات السماوية الثلاث في مجمل تعاليمها وشرائعها، وهذا واحد من أوكد الأدلة على أنّ الإسلام دين ودعوة جميع الأنبياء، ومن أقوى ما يُثبت وحدة مصدره، وهو الله عزّ وجلّ.

(١) الشورى: ١٣.

(٢) يُنظر: تفسير الميزان، ج ٥، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

ومن الجيد الإشارة إلى أنّ «اليهودية» اسم مستحدث لا أصل له، فليس هو اسم رسالة نبي الله موسى ﷺ وليس له ذكر لا في التوراة ولا في التلمود ولا حتى في "المشنا" (١)، بل ليس له وجود في الكتب اليهودية، وإنما سميت كذلك؛ لأنها أوحيت إلى يهود بني إسرائيل. ومن ثم، سميت باسمهم. مع أنّ اليهود أنفسهم لم يطلقوا على رسالتهم هذا العنوان، وإنما أطلقه غيرهم تمييزاً لهم عن باقي الرسالات السماوية.

فرسالة موسى ﷺ هي الخضوع والاستسلام لإرادة الله، وهو معنى الإسلام.

و«المسيحية» -أيضاً- عنوان مستحدث لا أصل له، ولا يمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد إلى رسالة نبي الله عيسى ﷺ، فهذا العنوان «المسيحية» لم يرد له ذكر في أناجيل العهد الجديد أصلاً، وإنما كانت رسالة عيسى تدعو إلى الخضوع والاستسلام لإرادة الله وهو معنى الإسلام.

أما عنوان «الإسلام» في أنه اسم للرسالة السماوية الخاتمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ فإن ما يميزه عن مسمى اليهودية والمسيحية أنه غير منسوب إلى جنس أو عرق معين، وهو ليس منسوباً إلى اسم النبي ﷺ المبعوث به، فتشترك فيه جميع الرسالات السماوية الحقّة، لأن معناه إسلام الوجه لله تعالى، وهذا المعنى يتيح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وعرقه ولونه ولغة لسانه، أن يسلم وجهه لله تعالى.

لقد ذكر الحق سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم،

(١) المشنا: هو تفسير التوراة.

أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينَ وَدَعْوَةَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ إِسْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تَقْدُمُوا: ﴿يَحْكُمُ بِهِمَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).

١- الإسلام دين نوح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣).

٢- الإسلام دين إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤). وَأَخْبَرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً^(٥).

٣- الإسلام دين يعقوب عليه السلام، وبنيه، في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٦).

٤- الإسلام دين يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) يونس: ٧٢.

(٤) البقرة: ١٣١.

(٥) البقرة: ١٢٧-١٢٨.

(٦) البقرة: ١٣٣.

وَلِيَّيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

٥- الإسلام دين موسى وهارون عليهما، في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (٢)، وأخبر القرآن الكريم عن موسى عليه السلام مخاطبًا قومه في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٣).

٦- الإسلام دين حوارِي عيسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَ إِِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

٧- الإسلام دين سليمان عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٥)، وأخبر القرآن الكريم عن إسلام ملكة سبأ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦).

بل حتى الطاغية فرعون كان يدرك أن دين موسى عليه السلام هو الإسلام، وذلك لما أدركه الغرق، فقد أخبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧).

(١) يوسف: ١٠١.

(٢) الأعراف: ١٢٦.

(٣) يونس: ٨٤.

(٤) المائدة: ١١١.

(٥) النمل: ٣٠-٣١.

(٦) النمل: ٤٤.

(٧) يونس: ٩٠.

رابعاً: ما توصل إليه السواد الأعظم من العقلاء العباقرة.

بعد أن بينا الخلط والاشتباه في مسألة تعدد الأديان، واتضح لكل عاقل منصف أن الدين واحد، وهو الإسلام، وأن مصدره واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وأنه ليس هناك دين اسمه اليهودية ودين اسمه المسيحية، وإنما هناك ما يسمى شريعة موسى عليه السلام، وشريعة عيسى عليه السلام، وشريعة محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، ذلك بعد أن بينا الفرق بين المصطلحين -الدين والشريعة- مسبقاً بتعريفهما وبيان المراد منهما لغة واصطلاحاً، فلا يبقى معنى للقول: إن الأديان من وضع البشر؛ لأنّ الشبهة مبنية على أساس تعدد الأديان، وقد فندناها، وهددنا أركانها، وثبت أن الدين واحد، وهو الإسلام، وأن الشرائع متعددة، ومع ذلك نقول:

إنّ من يدعون أن الدين من وضع البشر هم القلة القليلة على ممرّ الزمان، بينما السواد الأكبر والأعظم من عقلاء وعلماء ومفكرين، وعباقرة، وفلاسفة آمنوا بهذا الدين وبربانيته وعالميته بعد أن تفحصوا ودققوا وتعمقوا.

يقول الفيلسوف رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) صاحب نظرية «أنا أفكر إذن أنا موجود»، في كتابه الشهير «مقالة في المنهج»: «نحن والمسلمون في هذه الحياة، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية، ونحن لا نعمل بالثانية، ولو أنصفنا لكنا معهم جنباً إلى جنب؛ لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان، وصاحب شريعتهم محمد، عجز العرب عن مجازاة قرآنه وفصاحته، بل لم يأت التاريخ برجل أفصح منه لساناً، وأبلغ منه منطقاً،

وأعظم منه خُلُقًا، وذلك دليل على ما يتمتع به نبي المسلمين من الصفات الحميدة، التي أهّلته لأن يكون نبيًّا في آخر حلقات الأنبياء، ولأن يعتنق دينه مئات الملايين من البشر».

ويقول الفيلسوف يوهان غوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢): «يجب النظر إلى النبي محمد على أنه نبي لله، وليس شاعرًا. ويجب النظر إلى القرآن الذي جاء به على أنه قانون إلهي، وليس كتابًا من عنده».

وأما المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفنج، فقد أولى اهتمامًا كبيرًا لتاريخ المسلمين في الأندلس، حيث يقول: «كانت التوراة في يوم ما هي مرشد وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح ﷺ اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولًا وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، وحوى جميع القوانين؛ إذ إنه خاتم الكتب السماوية».

وغيرهم مما لا يسع هذا المختصر ذكرهم.





مقالة في رد شبهة أن إبليس كان كافراً، وليس بمشرك، فيدخل تحت المشيئة في آية المغفرة

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- الفرق بين الكفر والشرك.
- بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾.
- الكفر أعظم وأخبث من الشرك.
- مصير الكفار الخلود في النار.

مقالة في رد شبهة أن إبليس كان كافراً، وليس بمشرك، فيدخل تحت المشيئة في آية المغفرة

طرح بعضهم تساؤلات على إحدى منصات التواصل الاجتماعي، اقتبسنا منها ما كان أكثر قراءة من قبل المتابعين، وهذا نصه: «يقول الله في القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾، فما سر عدم شمول إبليس بهذا الغفران طالما لم يكن مشركاً؟»

ونجيب عن هذا التساؤل بجوابين إجمالي وتفصيلي، ونذكر في ذلك عدة أمور.

الجواب الإجمالي:

الكفر والشرك من المصطلحات التي إن اقترنت في اللفظ افرقت في المعنى، وإن افرقت في اللفظ اقترنت، واجتمعت في المعنى كالإسلام والإيمان، ويطلق كل منهما على الآخر من جانب، وعليه، فإن إبليس اللعين لم يكن في أول أمره مشركاً، ولكن كان كافراً، والكفر أعظم وأخبث من الشرك، فالشرك هو أن توجه العبادة إلى اثنين بحيث تشركهما فيها، كما في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «الشرك هو أن يضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شيء آخر»، وأن كل كافر

مشرك، وأن الكفر أعظم وأخبت من الشرك بحسب الروايات الواردة عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام التي أكدت ذلك، فإبليس وإن كان في بادئ أمره كافرًا، ولم يكن مشركًا؛ إذ لم يدعُ إلى عبادة غير الله سبحانه، إلا أنه دعا إليها بعد ذلك، وإثبات عدم المغفرة للمشرك لا ينفي عدمها للكافر، فإثبات شيء لشيء لا ينفي ما عداه، فكما أن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قد نصت على عدم دخول المشرك تحت المشيئة، فكذلك دلت عشرات الآيات على عدم دخول الكافر تحت المشيئة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١).

الجواب التفصيلي:

أولاً: الفرق بين الكفر والشرك.

الكفر والشرك من المصطلحات التي إن اقترنت في اللفظ اختلفت في المعنى، وإن اختلفت في اللفظ اقترنت واجتمعت، في المعنى كالإسلام والإيمان، ويُطلق كلٌّ منهما على الآخر من جانب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢).

والكفر خصال كثيرة، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان؛ لأن

(١) النساء: ١٦٧-١٦٩.

(٢) البينة: ٦.

العبد إذا فعل خصلة من الكفر فقد ضيع خصلة من الإيمان، والشرك خصلة واحدة وهو إيجاد آلهة مع الله أو دون الله، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى، ثم كثر حتى قيل: لكل كفر شرك، على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته، وأصله كفر النعمة، ونقيضه الشكر، ونقيض الكفر بالله الإيمان، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافر لتضييعه حقوق الله تعالى وما يجب عليه من شكر نعمه، فهو بمنزلة الكافر لها، ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص، ثم لما استعمل في كل كفر صار نقيضه الإيمان، ولا يجوز أن يطلق اسم الكفر إلا لمن كان بمنزلة الجاحد لنعم الله، وذلك لعظم ما معه من المعصية وهو اسم شرعي كما أن الإيمان اسم شرعي^(١).

وكل كافر مشرك، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، والكافر اسم لمن لا إيمان له، فإن أظهر الإيمان خص باسم المنافق، وإن أظهر الكفر بعد الإسلام خص باسم المرتد، لرجوعه عن الإسلام، فإن قال بإلهين فصاعداً خص باسم المشرك، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة خص باسم الكتابي، وإن كان يقول بقديم الدهر واستناد الحوادث إليه سمي باسم الدهري، وإن كان لا يُثبت الباري خص باسم المعطل، وإن كان مع اعترافه بنبوة نبينا محمد ﷺ وإظهار شرائع الإسلام، ويبطن عقائد من كفر بالاتفاق خص باسم الزنديق^(٣).

(١) يُنظر: معجم الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري، ص ٤٥٤.

(٢) آل عمران: ١٥١.

(٣) يُنظر: معجم الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري، ص ٤٤٤.

ثانياً: بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(١).

قال الشيخ الطوسي في "البيان": «أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغفر الشرك، وأنه يغفر ما دونه... وقيل: إنه عني بهذه الآية أبا طعمة الخائن حين أشرك، ومات على شركه بالله، غير أن الآية وإن نزلت بسببه، فعندنا وعند جميع الأمة أن الله لا يغفر لمن أشرك به بلا توبة: لتناول العموم لهم، فإن قيل: فعلى هذا من لم يشرك بالله بأن لا يعبد معه سواه، وإن كان كافراً بالنبي ﷺ من اليهود النصارى ينبغي أن يكون داخلاً تحت المشيئة؛ لأنه مما دون الشرك!

قلنا: ليس الأمر على ذلك؛ لأن كل كافر مشرك؛ لأنه إذا جحد نبوة النبي اعتقد أن ما ظهر على يده من المعجزات ليست من فعل الله، ونسبها إلى غيره، وأن الذي صدقه بها ليس هو الله، ويكون ذلك إشراكاً معه على أن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم قالوا: -يعني النصارى- "المسيح ابن الله، وقالت اليهود: عزيز بن الله" وذلك هو الشرك بالله تعالى على أنه لو لم يكونوا داخليين في الشرك لخصصناهم من جملة من تناولتهم المشيئة لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يغفر الكفر على وجه إلا بتوبة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ يعني من يجعل

(١) النساء: الآية ١١٦.

في عبادته مع الله شريكًا، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ذهابًا بعيدًا؛ لأنه بإشراكه مع الله في عبادته فقد أطاع الشيطان، وسلك طريقه، وترك طاعة ربه»^(١).

ثالثًا: الكفر أعظم وأخبث من الشرك.

إن إبليس -عليه لعائن الله- لم يكن في أول أمره مشرکًا، ولكن كان كافرًا، والكفر أعظم وأخبث من الشرك، فالشرك هو أن توجه العبادة إلى اثنين بحيث تشركهما فيها^(٢)، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «الشرك هو أن يضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شيء آخر»^(٣).

أما كون الكفر أعظم وأخبث من الشرك فقد دل عليه قول الإمام الباقر عليه السلام: والله إن الكفر لأقدم من الشرك، وأخبث وأعظم «ثم ذكر كفر إبليس حين قال الله له: اسجد لآدم، فأبى أن يسجد» فالكفر أعظم من الشرك، فمن اختار على الله عز وجل، وأبى الطاعة، وأقام على الكبائر فهو كافر، ومن نصب دينًا غير دين المؤمنين فهو مشرك^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام لما سئل عن الكفر والشرك أيهما أقدم؟ قال: الكفر أقدم، وذلك أن إبليس أول من كفر، وكان كفره غير شرك، لأنه لم يدع إلى عبادة غير الله، وإنما دعا إلى ذلك بعد فأشرك^(٥).

(١) يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٢) الرسائل التسع، المحقق الحلي، ص ٧٤.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢.

(٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٨٣.

(٥) البحار: ج ٧٢، ص ٩٦.

رابعاً: مصير الكفار الخلود في النار.

وقد نص القرآن الكريم على عدم مغفرة الله - جلّ وعلا - للكافر كما نص في ذلك بخصوص المشرك، فقد توعد الله سبحانه الكافر بأشد الوعيد، وجاء بالنص الواضح والصريح في عدة مواضع من القرآن الكريم أن الله توعد الكافرين بعدم المغفرة بل وبالخلود في نار جهنم، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿٢﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(١) النساء: ١٦٧ - ١٦٩.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) البقرة: ٢١٧.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾^(٥).

وباستعراض الأمور الأربعة وما اشتملت عليه من آيات وروايات، اتضح أن كل كافر مشرك، وأن الكفر أعظم وأخبر من الشرك بحسب الروايات الواردة في المقام عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام التي أكدت ذلك، فإبليس - عليه لعائن الله - وإن كان في بادئ أمره كافراً، ولم يكن مشركاً، إذ لم يدع إلى عبادة غير الله سبحانه، إلا أنه دعا

(١) آل عمران: ١١٦.

(٢) التوبة: ٦٨.

(٣) التوبة: ٨٠.

(٤) الرعد: ٥.

(٥) الكهف: ١٠٢.

إليها بعد ذلك، وإثبات عدم المغفرة للمشرك لا ينفي عدمها للكافر،
فإثبات شيء لشيء لا ينفي ما عداه، فكما أن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قد نصت على عدم
دخول المشرك تحت المشيئة، فكذلك دلت عشرات الآيات على عدم
دخول الكافر تحت المشيئة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١).





مقالة في رد شبهة اضطهاد الإسلام للمرأة وتحقيقه لمكانتها

عناصر المقالة:

- الجواب الإجمالي.
- الجواب التفصيلي.
- المرأة في المنظور الإسلامي.
- المرأة في المنظور الإلحادي.
- أين تجد مكانة المرأة؟

مقالة في رد شبهة اضطهاد الإسلام للمرأة وتحقيقه لمكانتها

دأب الملحدون على استهداف الإسلام والنيل من مصداقية تعاليم وحي السماء بترسيخ أفكارهم الهدامة في عقول شبابنا والتغريب بهم، ومحاولة عكس صورة مشوهة عنه، تقوم على أنه دين الاضطهاد والإرهاب والقتل والدمار، وما زالت رغبتهم جامحة في بث سمومهم في دين الله.

وبما أن المرأة المسلمة في المنظور الإلحادي الحديث تمثل محورًا بارزًا من محاور الصراع ضد الإسلام والمسلمين، وجدنا بعضهم ممن يتفاخر بإلحاده، ويظنه منقبة، وهو في الحقيقة مفسدة ومنقصة، يلوك ما لفظه غيره، فكتب -على موقع تويتر- يقول:

«يعتبر الدين الإسلامي -فضلاً عن باقي الأديان الأخرى- مصدر رئيسي لاضطهاد النساء وعدم المساواة، وتعاليمه قائمة على التحيز الجنسي وقمع النساء منذ ظهوره وإلى اليوم، فقد كان قاهرًا للمرأة ومقللاً من شأنها ومقيداً لحريتها راداً أمرها إلى الرجل، بل لربما أمرها بالسجود له وإلى غير ذلك من الأمور التي تفصح عن حقارة المرأة في الإسلام». انتهى.

الجواب الإجمالي:

المرأة من منظور إسلامي أمّ، برّها مقرون بحق الله عزّ وجلّ، وهي إنسانٌ شريف كريم، ذو عقل وإحساس، وأنها سكّنة للرجل، خُلِقا من نفس واحدة، وأنها من نفس طبيعة الرجل، أي أنهما جاءا من بوتقة واحدة، وهي على درجة واحدة مع الرجل في التكريم، وأنزل الله في المرأة قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة، يحذّر فيه من إشاعة السوء عن المرأة المسلمة، والمرأة قسيمة الرجل، لها ما له من الحقوق، وميزان التفاضل بينهما هو العمل الصالح والتقوى، وللمرأة من الحقوق مثل ما للرجل.

الجواب التفصيلي:

ونجيب عن هذه الشبهة بجوابين، أحدهما حلّي، وثانيهما جدلي نقضي:

الأول: المرأة في المنظور الإسلامي.

الإسلام جعل للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل، فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١). فهذه الآية تقول: كما أنّ للرجال حقوقًا على النساء، فكذلك للنساء حقوقًا على الرجال، فيجب عليهم مراعاتها؛ لأنّ الإسلام عني بالحقوق على نحو متعادل ومتقابل، ولم يتحيّز إلى أحد الطرفين، وتلك الدرجة هي درجة الرعاية لهن والإنفاق عليهن.

(١) البقرة: ٢٢٨.

والإسلام أخذ بنظر الاعتبار مسألة معاشرة الأزواج للنساء فأمرهم بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

فالمرأة في نظر الإسلام إنسانٌ شريف كريم، ذو عقل وإحساس، وأنها سكنٌ للرجل، خُلِقَا من نفس واحدة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢).

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن ضَمِنَ حقوقها في الميراث، قال تعالى: ﴿لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٣).

وزاد في تكريمها على الميراث وحقها فيه: أن أوجب على الزوج المهر لها ليكون دليلاً على صدق الرغبة فيها، وإكراماً لها، لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^(٤).

وبلغ الإسلام الغاية في تكريم المرأة حين شرع العقاب، وشدد على من أساء إلى سمعتها وعرضها، أو حاول النيل من منها وقذفها، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥)، بل توعده المسيئين إليها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ

(١) النساء: ١٩.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) النساء: ٧.

(٤) النساء: ٤.

(٥) النور: ٤.

لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

ففي أي دين أو نظام حظيت المرأة بمثل هذا التكريم وهذه الدرجة، إلى الحد الذي لم يذكر الله تعالى في كتابه سورة الرجال، بل ذكر سورة النساء، وهذا دليل على تكريم المرأة، وقد تحدثت هذه السورة عن أمور كثيرة تتعلق أغلبها بشؤون المرأة وبيان حقوقها وما لها وما عليها، وبعض الآيات فيها تحدثت عن الأسرة والدولة والمجتمع، لذلك سميت سورة النساء، والمتأمل لهذه السورة الكريمة يرى فيها تكريمًا للمرأة، فهل عرفت البشرية دينًا كدين الإسلام، عُني بالمرأة بمثل عنايته وتكريمه لها؟!!

الثاني: المرأة في المنظور الإلحادي.

يقول داروين في كتابه أصل الإنسان: (المرأة أدنى في المرتبة من الرجل وسلالتها تأتي في درجة أدنى بكثير من الرجل) (٢).

بل إن داروين ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال: (المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل وإضفاء البهجة على البيت، فالمرأة في البيت أفضل من الكلب للأسباب السابقة) (٣).

يقول المادّي كارل فوجوت أستاذ تاريخ الطبيعة بجامعة جنيف: (لقد أصاب داروين في استنتاجاته بخصوص المرأة، وعلينا صراحة أن

(١) النور: ٢٣.

(2) DARWIN, THE DESCENT OF MAN P. 326.

(3) CHARLES DARWIN, THE AUTOBIOGRAPHY OF CHARLES DARWIN 1809-1882, PP. 232-233.

نعترف بالأمر، فالمرأة أقرب طبيعياً للحيوان أكثر من قربها للرجل^(١).
ويقول فوجوت أيضاً: (المرأة بوضوح إعاقة تطورية حدثت
للرجل... وكلما زاد التقدم الحضاري كلما زادت الفجوة بين المرأة
والرجل... وبالنظر إلى تطور المرأة، فالمرأة تطوّر غير ناضج)^(٢).

وتقول الداروينية الشهيرة "ELAINE MORGAN": (استخدم داروين
تأصيلات علمية في تأكيد أن المرأة في رتبة أقل من الرجل بيولوجياً
بكثير، وأعطى إحساساً للرجل بأنه سيد على المرأة من منظور دارويني
مجرد).

يقول العالم التطوري الشهير جون ر. دورانت JOHN R. DURANT:
(كان داروين يؤمن إيماناً عميقاً بأن مرتبة المرأة أقل بكثير من مرتبة الرجل،
خاصة عند الحديث عن الصراع من أجل البقاء، وكان يضع البُله والمعاقين
والمتخلفين والمرأة في خانة واحدة، وكان يرى أن حجم منح المرأة وكمية
العضلات بها بالقياس بتلك التي لدى الرجل لا تسمح لها أن تدخل في
صراع من أجل البقاء مع الرجل، بل يرى فيها نوعاً من القصور البيولوجي
الذي لا يمكن تداركه)^(٣).

يقول العالم التطوري الشهير غوستاف لوبون GUSTAVE LE BON:

(1) CARL VOGT, LECTURES ON MANP. 192.

(2) STEPHANIE A. SHIELDS, "FUNCTIONALISM, DARWINISM, AND THE PSYCHOLOGY OF WOMEN: AP. 749.

(3) JOHN R. DURANT, "THE ASCENT OF NATURE IN DARWIN'S DESCENT OF MAN" P. 295.

(حجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا.. المرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان...).

ويقول GUSTAVE LE BON أيضاً: (المرأة أقرب بيولوجياً للهمج أكثر منه للإنسان الحديث المتحضر... لكننا نستطيع أن نستوعب المرأة كاستثناء رائع لحيوان مُشوّه أتى بنتيجة على سلم التطور)^(١).

أين تجد مكانة المرأة؟

الإلحاد: المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل وإضفاء البهجة، وهي في البيت أفضل من الكلب.

الإسلام: المرأة أمٌّ، برّها مقرون بحق الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۖ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الإلحاد: المرأة أقرب طبيعياً للحيوان أكثر من قربها للرجل.

الإسلام: المرأة إنسانٌ شريف كريم، ذو عقل وإحساس، وأنها سكن للرجل، خُلِقَا من نفس واحدة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢).

(1) GOULD, THE MISMEASURE OF MAN, P.105.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

الإلحاد: المرأة تطور غير ناضج.

الإسلام: المرأة مريم العذراء المطهرة والمصطفاة على نساء العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ.

الإلحاد: البُله والمُعاقون والمتخلفون والمرأة في خانة واحدة.

الإسلام: المرأة من نفس طبيعة الرجل، أي أنها جاء من بوتقة واحدة، قال الله في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.

الإلحاد: المرأة أقرب بيولوجيًا للهمج أكثر منه للإنسان الحديث المتحضر.

الإسلام: المرأة على درجة واحدة مع الرجل في التكريم والإجلال عند الله. قال الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

الإلحاد: المرأة استثناء رائع لحيوان مُشوّه.

الإسلام: أنزل في المرأة قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة، يحذر فيه من إشاعة السوء عن المرأة المسلمة، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا

لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾.

الإلحاد: مرتبة المرأة أقل بكثير من مرتبة الرجل.

الإسلام: المرأة قسيمة الرجل، لها مال له من الحقوق، وأن ميزان التفاضل بينهما هو العمل الصالح والتقوى، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

الإلحاد: الرجل سيد على المرأة.

الإسلام: للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) والدرجة هي درجة الرعاية لهن والإنفاق عليهن.



(١) النور: ٤.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

اعتراف

أعترف أن هذا الكتاب المتواضع لا يخلو من النقص الذي هو سمة البشر؛ لأنّ الكمال لله وحده وأنّ العصمة لمن عصمه الله من الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين، وسمة النقص قد تنطبق على كتابي هذا، وقد قيل قديماً: "أنّه لا يكتب إنسان كتاباً إلا قال في غده لو غيّرت هذا لكان أحسن، ولو زيد هنا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل"، وهذا من أعظم العبر ودليل على استيلاء النقص على بني البشر.

المؤلف

المحتويات

المقدمة.....	٤
مقالة في رد شبهة إثبات رؤية الله يوم القيامة في القرآن.....	١١
الأدلة العقلية والروائية على استحالة رؤية الله تعالى.....	١٤
كلمة (ناظرة) في الآية ليست مأخوذة من النظر.....	١٦
القرآن الكريم يثبت استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة..	١٩
مقالة في رد شبهة أن القرآن ينفي الاختلاف الكثير فيه، ويثبت اليسير....	٢٢
المراد من كلمة (اختلافًا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ..	٢٤
المراد من كلمة (كثيرًا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ..	٢٦
مقالة في رد شبهة تناقض القرآن بين غرق فرعون ونجاته.....	٣٠
بيان معنى التناقض.....	٣١
دعوى التناقض بين الآيتين.....	٣٣
تأكيد القرآن على غرق فرعون وجنوده.....	٣٦
مقالة في رد شبهة أن القرآن لا يكرم حامل الأمانة، ويصفه بالظلم الجهول.....	٤٠
معنى الأمانة لغةً واصطلاحًا.....	٤٢
بيان دلالة مفردة (الأمانة) الواردة في سياق الآية الكريمة.....	٤٣
وصف الإنسان بالظلم الجهول على رغم حمله الأمانة.....	٤٦

- مقالة في رد شبهة تأكيد الإمام علي عليه السلام معصية آدم عليه السلام..... ٥٠
- حكم العقل بعصمة الأنبياء عليهم السلام..... ٥٢
- الأوامر والنواهي الإلهية: مولوية وإرشادية..... ٥٢
- حمل الظاهر على مضمون الدليل..... ٥٣
- النهي عن الأكل من الشجرة نهى إرشادي لا مولوي..... ٥٥
- بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فباع اليقين بشكه»..... ٥٧
- مقالة في رد شبهة إقرار نبي الله موسى عليه السلام بالنسيان بشهادة القرآن..... ٦٠
- النسيان مشترك لفظي..... ٦٣
- الاستهداء بالقرائن على تحديد المعنى المقصود من المشترك اللفظي..... ٦٦
- الدليل العقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً..... ٦٩
- نسيان موسى عليه السلام نسيان ترك لا سهو ببيانات العلماء..... ٧٠
- مقالة في رد شبهة دلالة معاتبة الله لرسوله في القرآن على وقوعه في أخطاء تمنع من اتباعه..... ٧٣
- ظاهر الآية لا يدل على توجه الخطاب إلى النبي صلوات الله وسلامه..... ٧٥
- مضامين السورة لا تتناسب مع حديث القرآن عن شخصية النبي صلوات الله وسلامه..... ٧٧
- فرض توجه الخطاب إلى رسول الله صلوات الله وسلامه..... ٧٨
- مقالة في رد شبهة دلالة خلة الرسول على الأفضلية والخلافة..... ٨٢
- صراحة الحديث في نفي الخلة لا إثباتها..... ٨٤

- إشكال الحافظ ابن حجر على الحديث يدل على اختلاقه وبطلان أغراضه... ٨٥
- من لا يكون مؤهلاً للأخوة فبالأولى لا يكون مؤهلاً للخلة..... ٨٦
- الاستدلال بالحديث حجة على الخصم..... ٨٧
- مقالة في رد شبهة عدم دلالة فضل وأفضلية من باهل بهم النبي ﷺ..... ٩١
- يوم المباهلة يُعد اللحظة الحاسمة بين مبدأ التوحيد ومبدأ الشرك..... ٩٥
- استدعاء علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تدبير إلهي وقرار رباني..... ٩٧
- ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعل عليه السلام..... ٩٩
- مقالة في رد شبهة أنّ إخراج النبي ﷺ أهل بيته عليهم السلام للمباهلة لا يدلُّ على أنهم شركاؤه في رسالته..... ١٠٢
- المباهلة طلب اللعنة من الله على الكاذبين..... ١٠٥
- لا شك في صدق النبي ﷺ، كما لا شك في كذب النصارى..... ١٠٦
- إخراج النبي ﷺ أهل بيته للمباهلة إرادة إلهية..... ١٠٧
- ما الذي يراد إثباته في المباهلة؟..... ١٠٨
- مقالة في رد شبهة أن مصطلح (آل البيت) دخيل على اللغة العربية..... ١١٢
- (الآل والأهل) كلمتان بمعنى واحد باتفاق أهل اللغة..... ١١٤
- الشرع طارئ على اللغة وناسخ لها والحمل على الناسخ المتأخر أولى..... ١١٥
- استعمال الآل في الأتباع ليس على وجه الحقيقة بل المجاز..... ١١٨

- ١٢١.....مقالة في رد شبهة أن آل البيت هم جميع قرابة النبي ﷺ
- ١٢٣.....مصطلح (آل البيت) للأشرف الأخص دون الشائع الأعم
- ١٢٤.....النبي ﷺ بعث لبيان الشرعيات لا لبيان معاني الألفاظ اللغوية
- ١٢٥.....الشيعة يأخذون ما آتاهم الرسول ﷺ عملاً بكتاب الله عز وجل
- ١٢٨.....عنوان (أهل البيت) في نظر أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن
- ١٣٢.....مقالة في رد شبهة المماثلة بين آية التطهير وآية ١١ من سورة الأنفال
- الاستدلال بمجموع مفردات آية التطهير على عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام.....١٣٤
- المراد بالتطهير من الرجز في الآية ١١ من سورة الأنفال.....١٣٧
- ١٤١.....مقالة في رد شبهة نزول آية التطهير في خصوص نساء النبي ﷺ
- ١٤٣.....لا دليل على اختصاص آية التطهير في نساء النبي ﷺ
- ١٤٥.....لا يصح التمسك بالسياق مع وجود النص على خلافه
- ١٤٩.....آية التطهير آية مستقلة لا جزء آية
- ١٥١.....مقالة في رد شبهة تفضيل عائشة على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأمها
- السيدة خديجة عليها السلام.....١٥١
- ١٥٤.....الحديث من وجهة نظر كبار علماء أهل السنة
- علماء أهل السنة يدينون الله بأفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين
- مطلقاً.....١٥٦

- خديجة أفضل من عائشة بل أفضل نساء الأمة ١٥٩
- مقالة في رد شبهة أن الله ذكر في القرآن الأنبياء والصالحين ولم يذكر الأئمة المعصومين ١٦٤
- وما آتاكم الرسول فخذوه ١٦٦
- التوافق والتكامل بين الكتاب والسنة ١٦٨
- نقوضات تلزم أصحاب الشبهة الإجابة عنها ١٧١
- مقالة في رد شبهة أن الأنبياء والرسل كان لهم النصر وشهدوا هلاك الطغاة عكس أئمة الشيعة ١٧٦
- الغلبة على نحوين: غلبة باللسان والبيان، وغلبة بالسيف ١٧٧
- أئمة أهل البيت عليهم السلام شهدوا هلاك الظالمين واحداً بعد الآخر ١٨٠
- مقالة في رد شبهة عدم دلالة (إنما) على الحصر في آية الولاية، وإن دلت فعلى بطلان إمامة الأئمة بعد علي عليه السلام ١٨٣
- بيان معنى الحصر ١٨٤
- الحصر حقيقي وإضافي ١٨٥
- بيان طرق الحصر ووسائله ١٨٦
- أقوال أئمة اللغة والنحو والبلاغة والفقهاء بدلالة (إنما) على الحصر ١٨٧
- الحصر في الآية لا يضر بإمامة الأئمة من ولد الإمام علي عليه السلام ١٨٩

مقالة في رد شبهة مخالفة علي <small>عليه السلام</small> للكتاب والسنة، لتصدقه بخاتمه أثناء الصلاة.....	١٩٣
اتحاد المقصود في الصلاة والزكاة يرفع دعوى التشاغل.....	١٩٥
حكم الصلاة مع الفعل القليل أو الكثير عند علماء أهل السنة.....	١٩٥
أحاديث صحيحة تنص على عدم بطلان الصلاة بأكثر من ثلاث حركات.....	١٩٧
مقالة في رد شبهة خطورة حديث (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة) على المجتمع الإسلامي.....	٢٠٤
مصادر الحديث.....	٢٠٦
شرح الحديث وبيان معناه من قبل علماء الشيعة.....	٢٠٧
النفس البشرية ميالة بطبعها إلى ارتكاب المعاصي.....	٢٠٩
مقالة في رد شبهة مبايعة الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> لمعاوية.....	٢١٢
نظرة في سند الحديث.....	٢١٥
النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> هو من قال اقتلوا معاوية، وهو من أخبر عن الصلح معه.....	٢١٧
صلح وليس بيعه.....	٢١٩
الخلافه منصب إلهي ليس للإمام التنازل عنه.....	٢٢٢
مقالة في رد شبهة إمارة معاوية على الإمام الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> بمقتضى معاهدة الصلح.....	٢٢٦

- تعريف الصلح لغةً واصطلاحاً..... ٢٢٨
- (لا يَلَيْنَ مَفَاءً على مَفِيء) والمفاء معاوية بن أبي سفيان..... ٢٣٠
- شروط الصلح تقتضي أن يكون الحسن عليه السلام أميراً على معاوية..... ٢٣٣
- مقالة في رد شبهة كتابة معاوية للوحي..... ٢٣٨
- معاوية لم يكن سوى كاتب في ما بين النبي ﷺ وبين العرب..... ٢٣٩
- معاوية أسلم عام الفتح في أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي..... ٢٤٠
- كتابة الوحي ليست فضيلة ولا عاصمة من الوقوع في الموبقات..... ٢٤١
- النبي ﷺ يرسل إلى الكاتب - معاوية - مرتين فلا يجيبه..... ٢٤١
- مقالة في رد شبهة أن البكاء على الحسين عليه السلام لغو وباطل لأنه سيد الشباب في الجنة..... ٢٤٤
- البكاء على الميت من حالات الطبع البشري..... ٢٤٦
- الرسول ﷺ يخبر أن بعض صحابته من الشهداء في الجنة ومع ذلك بكى عليهم..... ٢٤٧
- من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد..... ٢٤٨
- إنكار عائشة لحديث الميت يعذب ببكاء أهله..... ٢٥٠
- مقالة في رد شبهة الشيعة ليست مذهباً إسلامياً وإنما حزب تحزب لعلي عليه السلام..... ٢٥٣
- مفهوم التحزب لغةً واصطلاحاً..... ٢٥٥

- التحزب لعلي تحزب لله ورسوله.....٢٥٨
- مقالة في رد شبهة فارسية التشيع.....٢٦٣
- التشيع ولد في رحم الجزيرة العربية، ونشأ في مهد العرب.....٢٦٥
- شعار الإسلام «إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم».....٢٦٧
- النبي ﷺ أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام.....٢٦٧
- دخول الفرس للتشيع بعد قيام الدولة الصفوية.....٢٦٩
- مقالة في رد شبهة أنّ عمل الشيعة الإمامية بالتقية هو دليل ارتباطها بالماسونية العالمية.....٢٧٣
- التقية محلّ اتفاق بين السنة والشيعة.....٢٧٤
- عامل السرية في نظر الشرع وسيلة لتحقيق المصالح المعتبرة شرعاً.....٢٧٨
- مقالة في رد شبهة أنّ البهائية ثاني أكبر دين انتشاراً في العالم.....٢٨٩
- الإسلام ثاني أكبر ديانة في العالم بعد الكاثوليك والأُسرع انتشاراً.....٢٩٢
- محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع.....٢٩٤
- لا اليهود كانوا يعتقدون أنّ نبيّهم خاتم الأنبياء والمرسلين ولا النصارى..٢٩٥
- مقالة في رد شبهة وقوع الحروب والمقاتلات في المسجد الحرام تخالف إخبار القرآن ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.....٢٩٨
- الخبر في الجملة قد يرد بمعنى الأمر.....٣٠٠
- الجملة الخبرية في الآية مسوقة لبيان حكم تشريعي.....٣٠١

- مقالة في رد شبهة دلالة تعدد الأديان على بشريتها..... ٣٠٦
- الدين واحد والشرائع متعددة..... ٣٠٨
- الفرق بين الدين والشرعية..... ٣١١
- الإسلام دين ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين..... ٣١٢
- ما توصل إليه السواد الأعظم من العقلاء العباقره..... ٣١٦
- مقالة في رد شبهة أن إبليس كان كافرًا، وليس بمشرك، فدخل تحت المشيئة
في آية المغفرة..... ٣١٩
- الفرق بين الكفر والشرك..... ٣٢٠
- بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾..... ٣٢٢
- الكفر أعظم وأخبث من الشرك..... ٣٢٣
- مصير الكفار الخلود في النار..... ٣٢٤
- مقالة في رد شبهة اضطهاد الإسلام للمرأة وتحقيره لمكانتها..... ٣٢٨
- المرأة في المنظور الإسلامي..... ٣٢٩
- المرأة في المنظور الإلحادي..... ٣٣١
- أين تجد مكانة المرأة؟..... ٣٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ